



كلية الآداب والعلوم
الإنسانية - مراكش
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines - Marrakech
مركز دراسات الدكتوراه - Centre d'Etudes Doctorales

تكوين الدكتوراه

النص دراسة لغوية ونقدية

بندية البحث: اللغة العربية أوصافها وأشكالها

أطروحة جامعية

لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

أحكام الصرف وأصول التفسير في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي

تحت إشراف فضيلة الدكتور:
حسن المازوني

إنجاز الطالب الباحث:
محمد حادف

الموسم الجامعي:

2023/2022

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل إلى أستاذي

الدكتور حسن المازوني

الذي أنار مسيرة هذا البحث بتوجيهاته السديدة وتصويباته المفيدة، فلقد كان لي

نعم المشرف، ونعم الموجه، فأشكره على ما قام به

من توجيه، ومتابعة، وتقويم، فأياديه البيضاء عندي وعند طلاب هذه الكلية،

تستحق مني المدح والثناء، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساندني وساعدني على إنجاز هذا العمل وأخص

منهم أساتذتي وأصدقائي،

الذين كان لهم الفضل في المتابعة والتصويب والتصحيح.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى عميد هذه الكلية،

والى أعضاء لجنة المناقشة، فجزى الله الجميع خير الجزاء

إهداء

أهدي ثمرة هذا البحث
إلى والدي الكريمين،
بارك الله في عمرهما، ومتعهما بالصحة والسلامة.
وإلى زوجتي، وأبنائي، وجميع أصدقائي
الذين تحملوا معي عناء المشقة،
وتقاسموا معي هموم البحث.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحق المبين، منزل الكتاب بلسان عربي مبين والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان، على أشرف المرسلين، محمد وآله وصحابه أجمعين، ومن تبعهم، واقتفى أثرهم،
وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن خير ما يشتغل به الباحثون، ويعتكف على لغته الدارسون، كتاب الله تعالى، الذي لا
يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، حفظه الله بحفظه، وحرسه بعنايته،
مصادقا لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)¹، وجعله سبحانه المعجزة
الخالدة الباقية، تحدى بلغته أرباب الفصاحة وفرسان البيان، وتحدى الإنس والجن، على مر
العصور واختلاف الأزمان، فقال تعالى: (فَلْيَبْشِرُوا بَلَدًا كَانَتْ هُمْ يَحْيَوْنَ)²،
بِمِثْلِ هَذَا الْفُرْعَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)².

وأمام هذا التحدي، هب كثير من العرب، يكشف خبايا لغته، ويسبر أغوار أسلوبه، وحقيقة
بيانه، فما كان منهم إلا الانصياع لتركيبه، والخضوع لبلاغته، والاعتراف بإعجازه، والانقياد
لتوجيهاته، وطرق تعبيره، لينزهوه عن أن يكون شعرا أو غيره، سواء آمنوا به أو لم يؤمنوا به.

¹ - سورة الحجر، الآية 9.

² - سورة الاسراء، الآية 88.

ولقد نالت العربية بالقرآن شرفها، وحصل لها به عزها وسؤدها، فامتازت عن سائر اللغات، وظلت شامخة مرتبطة بهذا الكتاب، الذي هو دستور الأمة، ومنار طريقها الى التقدم والرقى، وحوله وحول لغته أديررت موائد النقاش، واستمرت جهودها، بمدارسة ما وجد بين دفتيه من القضايا والمعارف، التي غدت بعد نزوله محل اهتمام، ومحطة إلمام.

هكذا اشتغل المسلمون بالقرآن وبلغته، واعتنوا به عناية فائقة، ورعوه رعاية سامية، بإقبالهم على قراءته، وحفظه، ومدارسته، من جميع جوانبه، مما استدعى إنشاء أكثر العلوم في رحابه، فكان منها علم النحو، والصرف، والتفسير، وأصول التفسير، وغيرها، ليدفعوا عنه ما قد يتبادر إليه من أسنة اللاحنين، وكيد المغرضين المشككين.

وتوالت عناية المسلمين في الذب عن القرآن، وإثبات إعجازه، وقوة بيانه، كل في مجال اشتغاله، فكان منهم في القرن الثامن الهجري، الإمام أبوحيان الأندلسي، صاحب الشهرة في علم العربية، وعلم التفسير، وذلك بفضل تمكنه من أصول العربية، وأصول التفسير، كيف لا يكون كذلك، وقد اعتبر التمكن من العربية من شروط المفسر، ومن أصول التفسير؟ وفقا لما جاء عن مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالما بلغات العرب»¹.

كما أن تفسيره "البحر المحيط في التفسير"، يعتبر تأليفا، لم يسبق إلى مثله، نظمه في غاية الحسن²، وهو المرجع الأول لمن أراد أن يقف على وجوه إعراب ألفاظ القرآن الكريم³، فيه مادة

¹ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 292/1.

² - غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، 286/2.

³ - التفسير و المفسرون، حسين الذهبي، 226/1.

غزيرة إلى جانب كشف معاني الآيات القرآنية، وتوضيحها، فقد اهتم فيه باللغة، والنحو، والصرف، والقراءات، واللهجات¹.

ولهذا وقع اختيارنا على تفسير البحر المحيط، لما ألفينا فيه من غزارة مادة متناثرة في مجموع أسفاره، وبين ثنايا صفحاته، فأثرنا تخصيص البحث فيه في موضوع "أحكام الصرف وأصول التفسير في البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي"، إيماناً منا بضرورة الانخراط في سلك الباحثين في لغة القرآن، وحقلها الصرفي، وعلاقتها بأصول التفسير، داخل البحر المحيط؛ ولنبين التصور المنهجي والعدة المعرفية، والقاعد الشرعية واللغوية التي بنى عليها أبو حيان صرح تفسيره البحر المحيط، وأن الحقل المعرفي اللغوي الصرفي، يأتي في مقدمة الحقول التي تسعف في تقريب المراد من الآيات في القرآن الكريم، لاسيما إذا علمنا، أن أكثر القواعد والظواهر المتعلقة بالحقل الصرفي، تشكل أصولاً تفسيرية لغوية، يصح إضافتها إلى الأصول التي اصطلاحنا عليها في ثنايا البحث بالأصول الشرعية، أضف إلى ذلك ما يحمله الموضوع من دوافع في ذاته، والتي تتحدد فيما تمتاز به لغة القرآن من خصوصيات على المستوى الصوتي والصرفي، وما تكنه من ظواهر لغوية، ذات الصلة بأحكام الصرف، وأصول التفسير.

ولم يكن لنا من سبيل إلى اجتراح هذا المكسب، لولا أن تفسير البحر المحيط، يزخر بموفر مادة لغوية قيمة نظرية وإجرائية، تتيح لنا إمكانية التوسيع من آفاق الدراسات اللغوية، وتجاوز حدود الشاهد النموذجي، الذي درجت عليه كثير من الدراسات اللغوية، ومن ثم ندفع رأي من اتهم المادة الصرفية ببعدها عن المعنى، وأنها لا تساهم بشكل أو بآخر في المساعدة على التوصل إلى المعنى، مع علمنا أن معرفة علم الصرف لدى العديد من العلماء، مقدمة على معرفة

¹ - أبو حيان النحوي، خديجة الحديثي، 149/1.

النحو؛ لأن "معرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب، مقدمة على معرفة أحواله بعد التركيب"¹، ولأن "التصريف أشرف شطري العربية"².

فعلم الصرف "يتماس مع علم الأصوات، حين النطق بالكلمة، ومع علم النحو، عند تحديد المواقع الاعرابية، ويؤثر في المستوى الأدائي، داخل سياق معين، وبينه وبين القراءات علاقة تأثير وتأثر، إذ أن استخدام اسم الفاعل يعطي معنى متغيراً لا يعطيه الفعل"³، وأن توظيف الفعل المضارع، يرشد الى معنى أدائي لا يؤديه الفعل الماضي. كما أن الأصول اللغوية ومنها علم الصرف، والأصول الشرعية، تعتبر بمنزلة الأساس الذي يقوم عليه البنیان، فمن خلالها يعرف المفسر صحة الأقوال وأرجحها؛ لأن "مثل أصول التفسير بالنسبة للتفسير، كمثال علم النحو بالنسبة للنطق العربي، والكتابة العربية، فهو ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنعهما من الوقوع في الخطأ أواخر الكلم، فكذلك أصول التفسير، هو ميزان للمفسر يضبطه، ويمنعه من الخطأ في التفسير، ليتبين التفسير الصحيح من التفسير الفاسد"⁴.

إن البحث - كما يظهر من عنوانه - يتجاذبه طرفان، طرف يتعلق بأصول التفسير، باعتبارها إطاراً، تتضح من خلاله معالم العدة المعرفية والمنهجية، التي يلجأ إليها أبو حيان، لمقاربة المعنى، وهي عدة تشكلت من مرجعيتين، المرجعية الأولى مرتبطة أساساً بقواعد مستمدة من أصول، يشكل القرآن والسنة والقراءات القرآنية والسياق عمدتها، أما المرجعية الثانية، فلغوية تعود هي الأخرى إلى معطيات لغوية وصرفية محض. وأما الطرف الثاني من العنوان، فهو شديد

¹ - المنصف شرح كتاب التصريف، ابن جني، 2/1.

² - الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، 31/1.

³ - المسائل الصرفية في البحر المحيط، مبروكة الهاشمي البوعيشي، ص، 16.

¹ - أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمان العك، ص 11.

الصلة، بما يعتري البنية الاسمية والفعلية من تلوينات داخل الخطاب القرآني، والتي يكون لها الأثر الواضح على توجيه المعنى المراد من الآية، في القرآن الكريم.

إن منطلق البحث في موضوع "أحكام الصرف وأصول التفسير في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي"، ليرتبط بإشكال محوري، وهو إلى أي حد يصح اعتبار المستوى الصرفي مدخلا من مداخل التفسير لدى أبي حيان الأندلسي، في تفسيره البحر المحيط؟ وما حدود التأويل اللغوي الصرفي التي التزم بها أبوحيان في معالجته الأحكام والظواهر الصرفية بحثا عن المعنى؟ وما العدة المنهجية والمعرفية التي انطلق منها أبو حيان في دراسته للغة الصرفية في القرآن الكريم؟ وهل يصح اعتبار الصرف أصلا لغويا من أصول التفسير؟

صحيح أن موضوع بحثنا يتقاطع ودراسات أخرى، أديرت مائدة نقاشها حول المتن التفسيري لأبي حيان الأندلسي، إلا أن الاختلاف بينها وارد في طريقة التناول، وفي الأهداف المسطرة، وعليه نرى أن ما يمكن رصده بشكل عام حول أغلب هذه الدراسات، أنها جاءت على صنفين؛ صنف عام تناول فيه الباحثون تفسير أبي حيان من حيث منهجه، وطريقته في التأويل، وصنف خاص كانت الركيزة فيه على مستوى لغوي أو صرفي أو هما معا، أو على الآليات المعتمدة لدى أبي حيان لترجيح معنى على غيره، أما بحثنا فقد جمع بين أحكام الصرف، وأصول التفسير في البحر المحيط.

ولبيان هذا المكسب، يلزمنا تتبع ما أمكننا العثور عليه من دراسات سابقة لموضوع بحثنا، والتي يمكن تقديمها على الشكل التالي:

1- أبو حيان النحوي، لخديجة الحديثي.

دراسة جادة في بابها "عملت فيها الكاتبة على جمع، وتنقيب، وفحص، ومحاولة استخراج آراء أبي حيان النحوية، واستنبطان مذهبه النحوي الذي تفرد به، للحكم على مدى تأثره بالمذهب

النحوي الظاهري"¹، والذي يظهر - بعد اطلاعنا على هذا الكتاب- أن الباحثة خديجة الحديثي، لم تكن تقصد من العنوان التوجه إلى المباحث النحوية فقط، وإنما كانت وجهتها المباحث الصرفية، المتعلقة بالأسماء والأفعال، لبيان رأي أبي حيان، وذلك لتشابك علم النحو بالصرف، لكن الباحثة في جل المباحث، ظلت مصرة على بيان آراء أبي حيان مقابل آراء غيره، من المدارس النحوية، غير مهتمة بما يحققه الصرف من دور هام في كشف المعنى.

2- "أبو حيان ومنهجه في التفسير، وفي إيراد القراءات فيه" لأحمد خالد شكري.

في هذا البحث، ظل الباحث في جميع المسائل، مرهونا بتقديم صورة دقيقة عن موقف أبي حيان من القراءات، بالتركيز على أنواع القراءات في البحر المحيط، وتوجيهها والاحتجاج لها، ثم منهجه في إيراد القراءات، ونحن في بحثنا لأحكام الصرف وأصول التفسير، قد خالفنا نهج الباحث باستقطاب القراءات، كرافد قوي، وأصل مهم، يصلح لتثبيت ما أوردناه من مسائل لغوية، وصرفية، داخل فصول ومباحث بحثنا.

3- "الجوانب اللسانية في تفسير البحر المحيط"، لزهرة سعد الله.

وهو بحث قاربت فيه الباحثة وجهة نظر أبي حيان اللسانية من زوايا التحليل اللغوي، كالزاوية الصوتية، والزاوية الإفرادية، والزاوية الصرفية، والزاوية التركيبية، وكذا من خلال مظاهر التماسك والانسجام النصيين، وهذه المقاربة لا تمت بصلة إلى الإجابة عن إشكال العلاقة بين أصول التفسير وأحكام الصرف.

¹ - أبو حيان النحوي، ص: 13. النص منسوب في هذا الكتاب لشوقي ضيف، في تقديمه لكتاب خديجة الحديثي.

4- "ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية 80 من سورة النحل الى آخر سورة مريم، "من خلال تفسير البحر المحيط"، جمعا ودراسة وموازنة". لبدرية بنت عطية الشريف.

هدف هذه الدراسة، هو إظهار مدى تمكن أبي حيان من أصول الترجيح والتوجيه، وأنه لم يكن مقلدا في اختياراته العلمية التفسيرية، بل كان مجتهدا، باعتماده الدليل والنظر، بعدته المعرفية والمنهجية، اللتين يستطيع بهما تأكيد قوته الاجتهادية، وشدة استقلالته العلمية في مجال التفسير، لكن الملاحظ أن هذا البحث، لم يتتبع المظاهر والقواعد الصرفية، المرتبطة بالأفعال والاسماء، واعتبارها أصولا في التفسير.

5- "الدارسات النحوية واللغوية في تفسير البحر المحيط"، لعبد العزيز علي مطلق الديلمي.

قسم الباحث دراسته الى خمسة فصول، تحدث في مجموعها على مرجعيات أبي حيان النحوية واللغوية، وأدلته الصناعية، كالسماع، والقياس، والإجماع، وعلى جهوده النحوية لضبط مصطلحه النحوي، ومقارنته مع المصطلحات البصرية والكوفية، لينتقل إلى دراسة الألفاظ، انطلاقا من ظاهرة المشترك اللفظي، والترادف، والتضاد، والحقيقة، والمجاز، وما يتصل بالاشتقاق والتعريب، ليختتم بحثه بالحديث عن قيمة تفسير البحر المحيط، وأثره في كتب التفسير واللغة.

إن الفرق بين هذا البحث، وما تقدمنا به في موضوعنا "أحكام الصرف وأصول التفسير"، يعود إلى طبيعة الظواهر التي تم التركيز عليها في بحثنا، وهي ظواهر تتصل كلها بما هو صرفي محض، كظاهرة التوافق والتغاير بين صيغ الأفعال، وظاهرة احتمال اللفظ دلالاته أكثر من صيغة، والدلالات التي تفيد بها المشتقات من غير دلالاتها الأصلية.

6_ المسائل الصرفية في البحر المحيط، " دكتوراه" لمبروكة الهاشمي البوعيشي، بينت فيه الباحثة الدور الذي قدمه ابوحيان لبيان أهمية توظيف علوم اللغة في خدمة وتوضيح القرآن وتبيان معانيه ، و التي كان من بينها علم الصرف الذي اهتم بالألفاظ وبنيتها، وما يحدثه وجودها وترابطها من تأثير في المعنى. وهو بحث أفدت منه لبيان طريقة أبي حيان في تناوله للمسائل الصرفية في البحر المحيط، كما أفدت منه في دراستي لبعض القضايا المتعلقة بالأفعال والاسماء في البحر المحيط.

7- قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي، من خلال القرن السادس الهجري،
لمسعود الركيتي.

حلل فيه الباحث القواعد التفسيرية، بالاعتماد على ثلاث تفاسير فقط، مما لم يتجاوز حدود القرن السادس الهجري، وهي "أحكام القرآن" لابن العربي" والمحرر الوجيز" لابن عطية، و"أحكام القرآن" لابن الفرس، لكننا حاولنا في بحثنا التركيز على تفسير البحر المحيط، فيما يتعلق بالمستوى الصرفي أصولا للتفسير.

8- قواعد التفسير الأسلوبية في السبع الطوال من خلال البحر المحيط، لرحيمة
أوسيف.

تناولت فيه الباحثة موضوع أصول التفسير من زوايا عديدة، فبعد أن ترجمت لأبي حيان، وبينت الطريقة التي انتهجها في التفسير، توجه مسار البحث الى دراسة القواعد التفسيرية، من نواح عدة:

1- القواعد التفسيرية المتعلقة بالنص القرآني.

2- القواعد التفسيرية المتعلقة بالسنة والآثار .

3- القواعد التفسيرية الدلالية.

4- القواعد التفسيرية الأسلوبية.

يلتقي هذا البحث مع بحثنا في الاهتمام بالأصول التفسيرية عامة، لكن موضوع بحثنا هو جمع بين الأصول والأحكام، واعتبار القواعد الصرفية المتعلقة بالأسماء والأفعال أصولاً لغوية تفسيرية، وجزءاً لا يتجزأ من القاعدة اللغوية العامة.

ولقد اعترضتنا خلال البحث صعوبات تعود في مجملها الى ثلاثة عناصر :

1- طبيعة المتن المدروس، والذي هو البحر المحيط في التفسير، فإن مسلكه وعر، وطريق ضبط مسالكه محفوفة بكثير من المخاطر؛ لأنه في الحقيقة بحر متلاطم الأمواج، يحتاج الغوص فيه إلى عدة منهجية ومعرفية.

2- تداخل المسائل الصرفية في البحر المحيط، وكثرتها وشرودها، فعند قراءة صفحات الكتاب لجمع مسألة من مسائل الموضوع، نشعر وكأن أبا حيان، قد خالف نهجه، وباين طريقته، التي أفصح عنها في مقدمة الكتاب، الأمر الذي جعلنا نعتقد أن ما احتواه البحر المحيط من مسائل صرفية، شيء كثير يصعب الإحاطة به في بحث مفرد، لذلك تقرر محاصرة الموضوع في بعض المظاهر، مما له علاقة بخدمة الأحكام والأصول، ليتضح أن أغلب ما أصدره أبو حيان من أحكام في حق الأفعال والأسماء، يعد أصولاً لغوية صرفية، تسعف في كشف الستار عن المعنى.

3- طريقة تناول الموضوع، فقد أشكل علينا أمر التفكير في وضع منهجية، نقنتع بفرادتها، واستقلاليتها، عما سبق موضوعنا من بحوث ودراسات، لكننا أصبحنا مقتدرين على تجاوز هذه

الصعوبة، بما أملاه علنا أستاذنا المشرف، حفظه الله، من تصويبات وتوجيهات علمية قيمة، تخص جودة التصميم المنهجي المحكم.

وقد اقتضى موضوع البحث، تقسيمه إلى مقدمة، ومدخل، وثلاثة أبواب، ثم خاتمة، خصصنا مدخل البحث لمعالجة ست مسائل، مما رأينا صلته بموضوع البحث، وحددنا أولى تلك المسائل للحديث عن التفسير الأندلسي، من حيث سياقه التاريخي، ومكانته العلمية، وعقدنا في المسألة الثانية ترجمة لأبي حيان الأندلسي، بالتركيز على شخصيته، ومقامه العلمي، لتأتي المسألة الثالثة، مخصصة لإبراز القيمة المعرفية لتفسير البحر المحيط، وكشف مساره المنهجي عامة، أما المسألة الرابعة، فقد بينا فيها العلاقة الرابطة بين علم الصرف والتفسير، لنثبت أهمية علم الصرف في حفظ اللسان العربي من اللحن، وفي المسألة الخامسة تمت مقارنة مفهوم الحكم، والحديث عن أقسامه، أما المسألة السادسة فجاءت لتبين مصطلح الصرف والتصريف.

ويأتي بعد المدخل ثلاثة أبواب، وسمنا الباب الأول بمسائل أصول التفسير في البحر المحيط، بالانطلاق من فصلين، في الفصل الأول، تمت دراسة المفاهيم النظرية بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث، في المبحث الأول، تعريف بالأصل من حيث اللغة والاصطلاح، وفي المبحث الثاني تقريب لمصطلح التفسير، أما المبحث الثالث فجاء لتحديد أصول التفسير، وبيان نشأته وأهميته. أما الفصل الثاني، فكان مخصصا لدراسة الأصول الشرعية في البحر المحيط، وذلك في أربعة مباحث، في المبحث الأول منها، ركزنا على مدارس ما يتعلق بالأصل الشرعي الأول، وهو القرآن، ببيان منهج أبي حيان في اعتماده هذا الأصل، ثم بتتبع أهم القواعد المتصلة بالقرآن كأصل تفسيري، والتمثيل لكل قاعدة بما يناسبها من البحر المحيط، ليأتي المبحث الثاني في الأصل التفسيري الثاني، وهو السنة النبوية، وفيه تم بيان منزلة السنة من القرآن، وصور بيان السنة للقرآن، كذا القواعد المتعلقة بالسنة كأصل ثان من أصول التفسير، أما المبحث الثالث فجاء ليعلم الضوء

على الأصل الثالث من أصول التفسير، وهو القراءات القرآنية، وذلك من خلال التعريف، والنشأة، والنوع، والأهمية، ثم بيان مواقف أبي حيان من القراءات بشكل عام، وبيان أهم القواعد المتعلقة بالقراءات، وفي المبحث الرابع والأخير من هذا الفصل، تمت مقارنة الأصل الرابع، وهو السياق بتعريفه وأهميته، وبيان أهم القواعد المتعلقة به.

لقد اخترنا التوجيه الصرفي لتعدد القراءات القرآنية في البحر المحيط "الأفعال"، عنوانا للباب الثاني، وجزأناه إلى ثلاثة فصول وسمنا الفصل الأول بالتوجيه والفعل بحث في المفهوم وأشكال التقسيم، وقسمناه إلى مبحثين خصصنا المبحث الأول منهما لتقديم حقيقة التوجيه وبيان أقسامه، أما المبحث الثاني، فكان خاصا بتحديد الفعل من حيث اللغة والاصلاح، وصغنا الفصل الثاني لدراسة أصول التحولات الداخلية في الأفعال وذلك في ثلاثة مباحث، في المبحث الأول منها تمت مدارس مسألة الزيادة في صورتين، خصصت الصورة الأولى للزيادة بالحرف والتضعيف، والصورة الثانية للزيادة بالتضعيف، وفي المبحث الثاني قدمنا نماذج، لتقريب صور الحذف، التي تقع في الأفعال، في التاء، والهمزة، والنون، لتكون مقارنة صور العدول، في الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، هي محل اهتمام المبحث الثالث. أما الفصل الثالث، فكان مخصصا لدراسة التحولات الداخلية في أبنية الأفعال من خلال مبحث الإبدال في بناء افتعل، ومبحث الإدغام في بناء افتعل وتفعّل، ومبحث بناء الفعل للفاعل والمفعول.

واخترنا التوجيه الصرفي لتعدد القراءات في البحر المحيط "الأسماء" عنوانا للباب الثالث، وضمناه فصلين، في الفصل الأول، تمت مقارنة التحولات الداخلية في أبنية الأسماء، بالوقوف، في المبحث الأول، على تعريف الاسم وذكر أقسامه، وفي المبحث الثاني تمت مدارس التوجيه بالإتباع، وفي المبحث الثالث ركزنا على التوجيه بالإعلال، أما المبحث الرابع فكان مخصصا للتوجيه بالإبدال، أما في الفصل الثاني والذي كان بعنوان وقوع اللفظ بين صيغة وأخرى، فقد تناولنا

فيه توجيه القراءات القرآنية، من خلال مقارنة احتمالية اللفظ بين صيغة وأخرى، بالتركيز على خمسة مباحث، في المبحث الأول، تمت النمذجة لوقوع اللفظ بين المصدر والاسم، وفي المبحث الثاني، قاربنا وقوع اللفظ بين المصدر والمشتقات، أما المبحث الثالث، فتم التركيز فيه على مقارنة وقوع اللفظ بين المصدر والجمع، ودراسة وقوع اللفظ بين المشتقات، وبين المفرد والجمع في المبحث الرابع والخامس.

ولدراسة مسائل البحث وظواهره، سلطنا منهاجا وصفيا، بوصف الظواهر الصرفية، مما له علاقة بالأسماء والأفعال، مع ما يتخلل ذلك من تحليل، يستوجه سياق الحديث عن تلك المسائل والظواهر، وكان هاجسنا في اعتماد الوصف والتحليل، هو التركيز على مبدأ النمذجة من البحر المحيط، باعتباره منطلقا أساسا لكل مسألة من موضوع البحث، مع الحرص على ما يوجد في كتب التفسير الأخرى، وكتب معاني القرآن، وتوجيه القراءات، من شرح، وبيان، للنماذج المختارة.

وفي خاتمة البحث أودعنا أهم النتائج والخلاصات، التي انتهينا إليها في الأبواب الثلاثة بفصولها ومباحثها، وقد رمنا في تشييدها الإيجاز والاختصار، مع الترتيب الذي اقتضته محاور البحث وفصوله.

ولسنا نزع الإتيان في هذا البحث بنهاية القول، وإنما هو مجرد إسهام، يسعى إلى مساهمة ركب البحث في لغة القرآن، في مستواها الصرفي، وبيان تشابكه مع أصول التفسير، والكشف عن حدود التأويل الصرفي للقرآن الكريم، من خلال تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

ولا ننسى في الختام، أن نجعل شكرنا موصولا لصاحب الفضل والإحسان، أستاذنا الجليل الدكتور حسن المازوني على ما قدمه لنا من توجيهات رشيدة، وتصويبات هادفة، إذ كان فضله علينا، وعلى هذا البحث بينا، مذكرا مقدما به إلى رحاب هذه الكلية العامرة، حتى صارت معالمه

واضحة، وقضاياه وظواهره مكتملة، كما لا يفوتنا شكره على تشجيعه لي، ولغيري من طلبته لتجاوز التعثرات، بمقترحاته الدقيقة، التي كانت دائما تزيحنا عن الشرود، والخروج عن جادة الصواب.

فالله سبحانه أسأل أن يمتعني بالصحة، والبركة في العمل والعمر، كما أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وصل اللهم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدخل

أولاً: التفسير الأندلسي سياقه التاريخي، ومكانته العلمية

1- السياق التاريخي:

لم يقف هم الدعوة الإسلامية، وتبليغ الدين الإسلامي الحنيف، عند حدود معالم الجزيرة العربية، وإنما تجاوزها إلى رقع أخرى من العالم، سواء كانت مجاورة أم بعيدة، فبعد فتح مصر المجاورة، اتجه المسلمون إلى شمالي إفريقيا، يبشرون برسالة السماء، وينشرون تعاليم الدين الإسلامي، الذي جاء ليجمع من البشر أمة واحدة⁽¹⁾، وظل البحر حاجزاً، بينهم وبين فتح الأندلس، لكن موسى بن نصير، حين كان عاملاً على إفريقيا، صمم أن يفتح الأندلس، فأرسل طارق بن زياد، الذي وقف بجنوده قائلاً: "البحر من ورائكم، والعدو أمامكم"، فليس لهم إلا أن يقتحموا هذه الجزيرة وينشروا فيها تعاليم الدين الإسلامي⁽²⁾.

وبعد انتصار المسلمين، وظفرهم بالفتح لبلاد الأندلس، التي غدت ولاية تابعة لدمشق عاصمة الخلافة، ودخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، إثر سقوط دولة بني أمية، سنة اثنتين وثلاثين ومائة للهجرة، ليقم فيها الدولة الأموية، التي ازدهرت بإقامة حضارة عربية، مرتبطة بحضارة العرب في بلاد الشرق، لكن سرعان ما دب الوهن والضعف إلى رقعة الأندلس، بسبب الفتن والحروب وسقوط القواعد على يد المسيحيين، ولم يبق من هذه الرقعة، إلا بقعة غرناطة، التي ظلت شامخة متحدية لهجوم المعتدين.

¹ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، صفاته وخصائصه: فهد الرومي، ص: 7.

² - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: المقري، 220/1.

وفي هذا السياق الزمني، والظرف التاريخي، شهدت مملكة غرناطة انتعاشا علميا، وحيوية فكرية، بتدارس العلم في المساجد، التي بناها الفاتحون، كما فعل موسى بن نصير، حين أسس مسجدا في مدينة الخضراء في الأندلس¹، فنشأ على إثر هذا عدد من العلماء والمفسرين، إذ لم يكن لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل كانوا يقرؤون جميع العلوم في المساجد²، ثم أصبحت بلاد الأندلس تعج بالمدارس والمعاهد، فكانت فيها حركة علمية واسعة النطاق، "وكانت منارة العلم في أوربا كلها زمنا طويلا"³.

في ظل هذا الحراك العلمي الواسع، استتارت الأرض الأندلسية بعلماء مفسرين بلغت أخبارهم الآفاق، وذاع صيتهم أرجاء المعمور الأندلسي، فأخذوا من مدارس التفسير المشهورة في المشرق، كمدرسة ابن عباس، ومدرسة ابن مسعود، ومدرسة أبي بن كعب رضي الله عنهم⁴ وأفادوا كذلك من كتب التفسير المشهورة في المشرق كتفسير الطبري، والماوردي، والزمخشري... لذلك كانت نشأة التفسير المشرقي، نشأة ولادة وتكوين، ونشأته في الأندلس، نشأة تلق وإضافة⁵، ساهم فيها علماء بلغهم القرآن فدرسوه، وتلوه، وحفظوه، وفسروه، فأعطوه من أعمارهم، وأعطاهم من هديه، فانكشف لهم من المعاني، وظهر لهم من المعارف، مالم يظهر لغيرهم، ولم يكن إقبالهم بأقل من إقبال أهل المشرق، فكتبوا ودونوا، فكانت تفاسيرهم رائدة التفاسير.

¹ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: عبد الرحمان الدباغ، 10/1.

² - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، ص: 7.

³ - أبو حيان النحوي: خديجة الحديثي، ص: 22.

⁴ - التفسير المفسرون: حسين الذهبي، 76/1.

⁵ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، ص: 9.

2- المكانة العلمية:

تأكد مما سبق أن التفسير الأندلسي، نشأ داخل تناسق معرفي، أطرته العلاقة العلمية بين المشرق والأندلس، كما أطرته استفادة علماء الأندلس من مدارس التفسير في المشرق، وإفادتهم من كتب التفسير المشهورة، وبفضل هذه العلاقة الحميمة، والصلة العلمية، كانت نشأة التفسير الأندلسي، فظهرت أسفار، أبانت عن قدرة علماء الأندلس، في تقريب مراد الله عز وجل من الآيات والسور القرآنية إلى العقول والأفهام، كتفسير عبد الرحمان بن موسى الهواري (ت228هـ)، وعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت239هـ)، وأبي إسحاق إبراهيم بن حسين بن خالد القرطبي (ت249هـ) وأبي عبد الرحمان بقي بن مخلد (ت276هـ)، يضاف إليها، في القرن السابع الهجري تفسير أبي عبد الله القرطبي (ت671هـ)، وفي القرن الثامن الهجري تفسير البحر المحيط لأبي حيان (ت745هـ) وتفسير ابن جزي الكلبي (ت741هـ).

لقد رسمت هذه التفاسير في مجموعها المكانة العلمية، التي حظي بها التفسير الأندلسي، لاحتوائها أكثر مناهج تفسير القرآن، كالمنهج الأثري، الذي اعتبره علماء علوم القرآن أفضل أنواع التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن، وبأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وهو ما اصطلح على تسميته بالتفسير بالمأثور.

عندما نطلع على كتب علماء التفسير الأندلسي، نجدهم قد وظفوا هذا المنهج "وأنزلوه منزلته، وعرفوا فضله"¹، دون إغفال ما يقتضيه "النظر والتفكير والموازنة والترجيح"²، فكان القرآن عمدتهم، في فهم الآيات، وتحديد المقاصد والأغراض، واستنباط الأحكام، الشرعية، والمسائل الفقهية والقضايا الفكرية.

¹ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، ص: 17.

² - م. نفسه، ص: 17.

وعدت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المدرسة ركيزة أساسية، فجمعت كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث، تبين المحكم، وتشرح المبهم، وتفسر اللفظ المشكل، وتبين الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، لكن على الرغم من اعتماد الأقوال المأثورة عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن بعض المفسرين من الأندلس، لم يكن يهمه الاشتغال بصحة الإسناد، ولا يذكر من الحديث النبوي، سوى موضع الشاهد، أو ما يناسب المقام، لكن ذلك لا ينفي كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي، إذ لو تصفحنا أصغر تفاسير أهل الأندلس، وهو تفسير ابن جزي، لوجدناه حافلاً بالأحاديث، وهذا ما يجعلنا نشيد بعناية المدرسة الأندلسية بالتفسير النبوي للآيات القرآنية.

أما أقوال الصحابة، رضي الله عنهم، فكانت مصحوبة في التفاسير الأندلسية، بالنقد والتمحيص، خاصة فيما يتعلق بالمتن، ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَأَلْفَىٰ أَلُتَّوَّاحٍ¹). "قال سعيد بن جبیر: عن ابن عباس، كان سبب القائه الألواح غضبه على قومه، في عبادتهم العجل، وغضبه على أخيه، في إهمال أمرهم، وقال قتادة -إن صح عنه- بل كان ذلك، لما رأى فيها من فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فرغب أن يكون ذلك لأمته، فلما علم أنه لغيرها غضب. قال القاضي أبو محمد: "وهذا قول رديء لا ينبغي أن يوصف موسى عليه السلام به، والأول هو الصحيح"².

ومن مظاهر انتقادهم لقول الصحابي، نفي حجة نسبة القول إليه: "في مثل قوله: "لا يصح عن ابن عباس "وما أراه يصح" كما قال القاضي أبو محمد: "قال ابن عباس "لما بين يديها" أي: مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ النَّاسِ لِيُحَذَّرَ وَيَتَّقَى. وما خلفها: لمن بقي منهم عبرة. وما أراه يصح عن ابن عباس؛ لأن دلالة ما بينَ اليد أنسب"³.

¹ - سورة الأعراف، الآية 150.

² - المحرر الوجيز: ابن عطية، 475/2.

³ - المحرر الوجيز، 161/1.

أضف إلى المنهج الأثري، المنهج الفقهي، الذي تبدو معالمه واضحة في تفسير القرطبي، حتى صنف ضمن كتب التفسير الفقهي¹؛ لأن اهتمامه كان منصبا بالأساس على آيات الأحكام، فكان القرطبي ينعت كتابه بـ"الجامع لأحكام القرآن". لكن هذا لا يعني أن باقي كتب التفسير الأندلسي، تنقد المنهج الفقهي المرتبط بآيات الأحكام، فقد أشار أبو حيان في كتابه "البحر المحيط في التفسير"، أنه ناقل أقاويل الفقهاء الأربعة، وغيرهم في الأحكام الشرعية، مما فيه تعلق باللفظ القرآني، محيلا على الدلائل التي في كتب الفقه².

ونتحدث في هذا الجانب، عن المنهج اللغوي، الذي أغنى به المفسرون الأندلسيون تفاسيرهم في البحث عن المعنى، وفي تقريب المراد من الآيات والسور، فقد علم هؤلاء المفسرون، أنه لا سبيل يوصل إلى معرفة المراد بالآيات إلا اللغة، وأكدوا أنه لا يجوز لأحد تفسير كتاب الله، ما لم يكن على علم بلغة العرب، وأساليبها في القول وطرقها في الكلام، فرسخوا بذلك ما جاء عن مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن على علم بلغات العرب"³.

إن الأندلسيين رغم بعدهم عن البيئة العربية، ومخالطة الأعراب، قد أثاروا جهود السابقين، وأضافوا إلى أقاويلهم كل جديد، واستحسنوا، ونقدوا، وانتقدوا، وصنفوا، لذلك عد الإمام ابن عطية، من أجل مفسري هذه الناحية، فَصَدَّرَ به إبراهيم ربيعة المرحلة الثالثة من مراحل التفكير النحوي في كتب التفسير⁴، كما عد كتاب "البحر المحيط" لأبي حيان، الأساس الذي قامت عليه المرحلة الرابعة من مراحل التفكير النحوي في كتب التفسير، لإمامة صاحبه في النحو، ومنهجه الشامل، الذي يقوم بشكل فريد على العودة إلى المنهج اللغوي، وعلى حشد أقوال أئمة النحو الكبار، حشدا زائدا عن

¹ - ينظر التفسير والمفسرون: حسين الذهبي، 319/2.

² - البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، 12/1.

³ - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، 292/1.

⁴ - ينظر، النحو وكتب التفسير: إبراهيم ربيعة، 565/1.

الحاجة، وعلى الاختيار والترجيح¹، "مبيناً أنه ينبغي أن تحمل اللفظة، أو الجملة، أو الآية، على أحسن إعراب، وأحسن تركيب"²، فالنظر في كتاب الله -حسب أبي حيان- لا يتم إلا من وجوه سبعة³. أما الإمام المفسر ابن جزي الكلبي "فقد رد التفاسير التي تحمل القرآن على خلاف ما تستوجبه اللغة العربية، في قوله: "ومنهم من توغل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية"⁴.

ويرجع إدراك رجال المدرسة الأندلسية في التفسير، إلى "التفنن في التعليم، وكثرة رواية الشعر، والترسل، ومدارسة العربية من أول العمر"⁵.

وعلى كل حال، فإن ما يميز التفسير الأندلسي، هو ما يمكن أن نصطلح عليه بما يلي:

التصريح المنهجي: إذ نجد في عتبة المقدمة لكل تفسير، تصريح صاحبه بما سيقدم عليه من اعتمادات تفسيرية، ترشده إلى كشف المراد من الآيات القرآنية.

السهولة في التعبير: التي نلمسها من تتبع الأسلوب، الذي تناول به كل مفسر شرح الآيات.

الإرث المعرفي: عن طريق إحالة المفسر اللاحق على المفسر السابق، كما نجد عند أبي حيان في إحالته على ابن عطية والزمخشري، في كثير من المواطن.

¹-ينظر، النحو وكتب التفسير: إبراهيم رفيعة ، 566/1.

²- البحر المحيط، 6/1.

³- ذكر أبو حيان في خطبة كتابه البحر المحيط وجوه النظر في كتاب الله، وأوصلها إلى سبعة وجوه، 14-15-16/1.

⁴- التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، 17/1.

⁵- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، 772/1.

الاستقلالية: التي تميز كل مفسر بطريقته الخاصة في التعامل مع التفسير¹.

هكذا يمكن أن تثبت هذه النقول المكانة العلمية، التي حظي بها التفسير الأندلسي، لكن ما دام البحث جاء مركزا على متن تفسير أبي حيان الأندلسي، فإننا سنفرده بالتعريف، من خلال مجموعة من المنافذ، التي تسعنا في التطلع إلى ما ورد في ثنايا كتابه البحر المحيط، من مباحث، ومسائل صرفية، فعلية، واسمية، وما يرتبط بها من أصول تفسيرية.

¹ - ينظر التفسير الأندلسي صفاته وخصائصه، ص: 63.

ثانيا: أبو حيان الأندلسي: شخصيته، ومقامه العلمي

1- شخصيته:

هو محمد، ابن يوسف، بن علي، أبو حيان أثير الدين، النفزي بكسر النون، وسكون الفاء، نسبة إلى نفزه قبيلة من البربر¹ النحوي، الحياتي، الجياني، المالكي، الأثري، المغربي، المصري، الظاهري، الشافعي².

ولد أواخر شوال، سنة أربع وخمسين وست مائة للهجرة³ بمطغشارش، مدينة من حظيرة غرناطة، ويذكر بعضهم، أنه ولد في غرناطة، والواضح أن بمطغشارش، حي كبير من أحياء غرناطة، وما يؤكد هذا كله، ما ذكره أبو حيان في إجازته للصفدي "ومولدي بغرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة"⁴.

تلقى أبو حيان علومه الأولى، في مسقط رأسه غرناطة، على يد شيوخها، فبدأ بدراسة القرآن، فأخذ القراءات، والعربية، وتقدم في النحو، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية، والإسكندرية،

¹ - ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، 62/6.

² - اتفق معظم من أرخ لأبي حيان على هذا النسب واللقب، ويمكن أن يراجع في هذا، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي، 325/5. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري. والدرر الكامنة، 65/6. وبغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة: السيوطي، 57/1. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي 251/8.

³ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 62/6 وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 251/8.

⁴ - الوافي بالوفيات: الصفدي، 185/5.

ومصر، والحجاز، من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً، وله إجازات من المغرب، والمشرق، وبرع في الحديث وأتقنه، وفي التفسير، والعربية والقراءات، والأدب والتاريخ¹.

غير أنه لم يتلق علوماً أخرى، كانت منتشرة في عصره كالفلك، والطبيعات، والرياضيات، والطب، والنبات، والكيمياء، ومرد ذلك إلى ما أورده السيوطي في كتابه "بغية الوعاة"، ونقله عنه ابن العماد، في كتابه "شذرات الذهب" من أن بعض العلماء بالمنطق، والفلسفة، والرياضي، والطبيعي، قال للسلطان: "إني قد كبرت، وأخاف أن أموت، فأرى أن ترتب لي طلبة، أعلمهم هذه العلوم، لينفعوا بها السلطان، من بعدي. قال أبو حيان: " فأشير إليّ أن أكون من أولئك، ويرتب لي راتب جيد، وكُسا، وإحسان، فتمنعت، ورحلت، مخافة أن أكره على ذلك"².

لقد توافر لأبي حيان الأندلسي عاملان، أثرا بشكل كبير في تكوين شخصيته وهما:
عامل الوراثة: إذ يعتبر أبوه عالماً من أعلام التفسير.

عامل البيئة العلمية: والتي ساعدته لنضوج فكره، وشموخ عقله، فبعد أن شب وترعرع، يرى من حوله نهضة علمية نشيطة، وحلقات علمية، تشمل ألواناً شتى في مجال المعرفة، كالفقه، والحديث، والتفسير، والأصول، واللغة...

في ظل هذا الجو العلمي نشأ أبو حيان، فمئذ نعومة أظفاره، ومقبل عمره، نشأ طالباً للعلم بجد ونشاط. يقول في كتابه "البحر المحيط": "ومازلت أتلّمذ للعلماء، وأنحاز للفقهاء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس من نفائسهم، أسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، أقتطف من أزهارهم، وأتبلج في صفحاتهم، وألقط من نثارهم، وأضبط من فضالة إيثارهم، وأفيد من شواردهم، وأنتقي من فرائدهم، فجعلت العلم بالنهار سحيري، وبالليل سميري"³. فلم يكن إلا "يسمع

¹ - ينظر، بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة، 280/1.

² - بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة، 280/1.

³ - شذرات الذهب 252/8.

أو يشغل، أو يكتب أو ينظر في كتاب"¹، فهو الطالب المجد الذي لم يرض بالدون، همته عالية، ونظراته دائما تصبو إلى الثريا، "لم يكتف بما أخذ، ولم يقنع بما درس، بل طوف في بلاد الأندلس، يبحث عن العلم والمعرفة، حتى إذا بلغ حظه منهما، اتجه إلى بلاد المشرق، باحثا عن الذين طار صيتهم، وقوي ذكركم ليجالسهم ويتلقى عنهم"².

2- مقامه العلمي:

يبدو من خلال تتبع النسب والنشأة، أن أبا حيان، كان ذا ثقافة عالية، وتطلع قوي، أطره تلقيه لكثير من العلوم، على يد شيوخ عصره، في مختلف الأمصار، غرناطة، ومالقة، وبلش، وبجاية، وتونس، والإسكندرية، ومصر، ومكة، والجزيرة الخضراء، وجبل الفتح³، وبهذه الثقافة المتنوعة الروافد، صار أبو حيان قمة في العلم والفكر، واسع الثقافة، أخذ من كل فن بطرف، ومن كل علم بنصيب، فتعددت معارفه، وتنوعت ثقافته، فبلغ الغاية في علم اللغة، وحاز قصب السبق في زمانه، ولعلنا لا نعجب بهذه الإحاطة، إذا ما تمعنا في قول الصفدي "لم أره قط، إلا يسمع، أو يشغل، أو ينظر في كتاب"⁴.

وبهذا التنوع المعرفي، والثراء العلمي، أصبح يشار إليه بعلو المكانة، وسمو المنزلة، إذ أصبح إمام النحاة في عصره، شرقا، وغربا، وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا، خدم هذا الفن مدة تقارب الثمانين، وسلك من غرائبه، وغوامضه، طرقا متشعبة الأفانين، كما كانت له اليد الطولى في

¹ - أعيان العصر وأعوان النصر، 325/5.

² - المدرسة النحوية في مصر والشام، عبد العال سالم مكرم، ص: 276.

³ - ينظر نفح الطيب، 560/2.

⁴ - أعيان العصر وأعوان النصر، 325/5.

التفسير، والحديث وتراجم الناس، ومعرفة طبقاتهم، وألحق الصغار بالكبار¹ "وَجَسَّرَ النَّاسَ عَلَى مصنفات ابن مالك، ورغبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وخاض بهم لججها"².

ولما وافت المنية ابن النحاس (ت698هـ)، شيخ النحويين في القاهرة، لم يكن أحد أولى بخلافته من أبي حيان، فجلس مكانه، وملاً فراغه، فكان يشغل منصب مشيخة النحويين، أكثر من خمسة وأربعين عاماً³. قال الإمام الذهبي: "وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم، تخرج به عدة أئمة، مد الله في عمره، وختم له بالحسنى"⁴

ويبرهن أبو حيان على هذه المكانة بطريقة واضحة المعالم، فيما خلفه من زاد علمي وافر، أغنى به المكتبة الإسلامية "لم يقتصر فيه على التأليف في اللغة، والنحو، بل تجاوزه إلى الدراسات القرآنية والتاريخية والنقدية"⁵، والتي أوصلها بعض الباحثين إلى ستة وأربعين كتاباً، بناء على ما ذكره أبو حيان، وهو يجيز تلميذه الصفدي⁶، كما يؤكد الإمام الرعيني، أن "تصانيفه تزيد على خمسين، ما بين طويل وقصير"⁷. وعدت خديجة الحديثي مصنفاته المطبوعة والمخطوطة، مع التعليق على كل مؤلف بمفرده، فبلغ إحصاؤها لكتبه ستة وستين مؤلفاً⁸.

¹ - ينظر، طبقات المفسرين: الداودي، 288/2.

² - أعيان العصر، 325/5.

³ - ينظر طبقات الشافعية: ابن القاضي شهبة، 67/3.

⁴ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، 387/1.

⁵ - أبو حيان النحوي، ص: 189.

⁶ - الوافي بالوفيات، 185/9.

⁷ - نفح الطيب: المقرئ، 563/2.

⁸ - ينظر أبو حيان النحوي، من ص: 101 إلى ص: 261.

ويمكننا في هذا الاطار، ذكر أهم مصنفات أبي حيان¹ في التفسير، والقراءات، والفقهاء، واللغة، والنحو:

■ في التفسير:

- ✓ البحر المحيط في التفسير.
- ✓ النهر الماد من البحر المحيط.

■ في القراءات:

- ✓ عقد اللآلئ في القراءات السبع العوالي.
- ✓ الحل الحالية في أسانيد القراءات العالية.
- ✓ المورد الغمر في قراءة أبي عمر.
- ✓ تقريب النائي في قراءة الكسائي.
- ✓ المزن الهامر في قراءة ابن عامر.
- ✓ الأثير في قراءة ابن كثير.
- ✓ النافع في قراءة نافع.
- ✓ الرمزة في قراءة حمزة.
- ✓ الروض الباسم في قراءة عاصم.
- ✓ غاية المطلوب في قراءة يعقوب.
- ✓ قصيدة النير الجلي في قراءة زيد بن علي.

■ في الفقه:

¹ - ذكر المقرئ مجموع مصنفات أبي حيان في كتابه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، 550/2.

- ✓ الوهاج في اختصار المنهاج.
- ✓ الأنور الأجل في اختصار المحلى.
- ✓ مسائل الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد.
- ✓ الإعلام بأركان الإسلام.

■ في اللغة والنحو:

- ✓ الإدراك للسان الأتراك
- ✓ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء.
- ✓ منطق الخرس في لسان الفرس.
- ✓ التذكرة، الشذا في مسألة كذا.
- ✓ الشذرة.
- ✓ غاية الإحسان في علم اللسان.
- ✓ النكت الحسان في شرح غاية الإحسان.
- ✓ اللحة البدرية في علم العربية.
- ✓ فضل النحو.
- ✓ إعراب القرآن.
- ✓ الهداية في النحو.
- ✓ الإسفار الملخص من كتاب الصفار.
- ✓ التجريد لأحكام سيبويه.
- ✓ تقريب التقريب.
- ✓ التدريب في تمثيل المقرب.
- ✓ الموفور من شرح ابن عصفور.

- ✓ المبدع الملخص من الممتع.
- ✓ التذيل والتكميل في شرح التسهيل.
- ✓ التكميل شرح التسهيل.
- ✓ التتخيل الملخص من شرح التسهيل.
- ✓ ارتشاف الضرب من لسان العرب.
- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك.

وإذا كان أبو حيان قد صنف في علوم مختلفة، ذاع صيتها مشرقا ومغربا، فهذا يرجع إلى مصادر تلقيه لهذه العلوم، ونقصد بذلك شيوخه في العلم، حيث تلقى العلم على المشايخ العلماء، في الأندلس، ومصر، وإفريقية، والحجاز، والعراق، والشام.

يقول أبو حيان: "وأما شيوخي، الذين رويت عنهم بالسماع، أو بالقراءة، فهم كثير، وأذكر الآن منهم جماعة: فمنهم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز ابن أبي الأحوص القرشي، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الأنصاري، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس، وأبو بكر ابن عباس بن يحيى بن غريب القواس البغدادي، وصفي الدين الحسين بن أبي منصور بن ظافر الخزرجي، وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي بن الدّهان، وقطب الدين محمد بن أحمد ابن علي بن محمد بن القسطلاني، ورضي الدين محمد بن علي ابن يوسف الأنصاري الشاطبي اللغوي، ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد ابن المؤيد الهمداني، ومكي بن محمد بن أبي القاسم ابن حامد الأصبهاني الصفّار، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير ابن الفارض، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله، بن الأنماطي، ومحمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم، المازني، ومحمد بن الحسين بن الحسن، بن إبراهيم الداري بن الخليلي ومحمد بن محمد بن عمر العنسي، وعبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز الطائي القرطبي، وعبد الله

بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزمي، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمي وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف ابن خطيب المزي، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الفيالي الصالحي الكتاني، وعبد المعطي ابن عبد الكريم بن أبي المكارم بن منجى الخزرجي، وعلي بن صالح بن أبي علي ابن يحيى بن إسماعيل الحسني البهنسي المجاور، وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي، والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن راحة الخزرجي، ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي، واليسر بن عبد الله ابن محمد بن خلف بن اليسر القشيري، ومؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بن شادي، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية، وزينب عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي.

وممن كتبت عنه من مشاهير الأدباء: أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي ابن الفرغ المالقي بن المرحل، وأبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجني، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن ذنون المالقي، وأبو عبد الله محمد بن عمر ابن جبير الجلياني العكي المالقي، وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصاري الجزار، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصري الوراق، وأبو الربيع سليمان ابن علي بن عبد الله بن ياسين الكومي التلمساني، وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي.

وممن أخذت عنه من النحاة: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأبدئي، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي ابن الضائع، وأبو جعفر أحمد بن

إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللّبي، وأبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن محمد بن نصر الحلبي ابن النحاس.

وممنّ لقيته من الظاهرية: أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاري الإشبيلي الزاهد، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري.

وجملة الذين سمعت منهم نحو من أربعمئة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني، فعالم كثير جداً، من أهل غرناطة، ومالقة، وسبّطة، وديار إفريقية، وديار مصر، والحجاز، والعراق، والشام¹.

كما تلقى عن أبي حيان خلق كثير لذيوع صيته، ومكانته بين العلماء، يقول السيوطي: "وتقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب"²، وهو "إمام النحو، الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب، الذي لكل سمع لديه الإصغاء، كعبة علم تُحجُّ ولا تُحجَّ ويقصد من كل فج، تضرب إليه الإبل آباطها، وتقد عليه كل طائفة سَفَرًا لا يعرف إلا نمارقُ البید بساطها"³ و"أن أعظم من تعلم في عصره، إنما تخرج على يدي أبي حيان، وأن أغلب مشايخ العصر والأقران أخذوا عنه"⁴.

ومن تلاميذه: علي بن عبد الكافي بن علي، وأحمد بن علي بن عبد الكافي، ومحمد بن عبد البر بن يحيى، وأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، وعبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله، ومحمد بن أحمد بن محمد، ومحمد بن يوسف بن أحمد، الحسن ابن القاسم بن عبد الله، ومحمد بن محمد بن علي، وأحمد بن محمد بن عبد المعطي، وعبد الرحمان بن أحمد بن علي الواسطي، ومحمد بن محمود بن أحمد البابرّي، وإبراهيم بن عبد الله بن علي المقرئ النحوي، وعبد المهيم بن محمد بن

¹ - نفح الطيب، 550/2.

² - بغية الوعاة، 280/1.

³ - ينظر، طبقات الشافعية، السبكي، 276/9.

⁴ - م، نفسه، 276/9.

عبد المهيمن، وأحمد بن سعد بن محمد العسكري، وعلي بن بلبان الفارسي، وسعيد ابن محمد بن سعيد الملياني، وأحمد بن محمد الفيومي، وعبد الرحيم بن الحسن ابن علي الأسنوي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي، وعبد الله بن يوسف ابن أحمد، ومحمد بن عبد الله بن محمد الصائغ، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر، وإسماعيل بن محمد بن علي اللخمي... وغيرهم كثير¹.

و بعد أن خدم أبو حيان العلم مدة تقارب الثمانين، وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الأفانين، ولم يزل على حاله إلى أن دخل في خبر كان، وتبدلت حركاته بالإسكان، توفي رحمه الله تعالى، بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة، في يوم السبت بعد العصر، الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبع مائة، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر².

ثالثا: البحر المحيط، قيمته المعرفية، ومساره المنهجي

1- القيمة المعرفية:

إن أعز ما تركه أبو حيان في مجال التفسير، كتابه الموسوم بـ "البحر المحيط في التفسير" وهو من أكبر كتبه، لذلك كان يسميه الكتاب الكبير³، اعتنى فيه بكشف البيان لسور

¹ - ينظر، بغية الوعاة:

* الجزء 1، الصفحات: 21-46-47-48-143-152-153-230-275-276-309-326-329-342-343-372-389-402-415-425-456-588.

* الجزء 2، الصفحات: 47-48-68-69-76-93-116-117-152-176-177.

² - ينظر، أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، طبعة دار الفكر، 327/5.

³ - أبو حيان النحوي، ص: 189.

وآيات القرآن الكريم، كما ضمنه زبدة ما تمكن منه من العلوم العربية، فعنوان الكتاب "البحر المحيط في التفسير"، يحمل وصفا حقيقيا غير مموه، لما يوجد فيه من أصناف العلوم في ثنايا صفحاته، فهو بحر، لتضمنه أشباه ما يوجد في البحر من لآلىء، وصدف، وعجائب المخلوقات، الحية والجمدة والنباتية، ومحيط لما يوجد فيه من متفرقات تلك العجائب.

ولم يستسغ أبو حيان أن يكون كتاب أو تأليف آخر، يفوق البحر المحيط، لذلك كتب حاشية على البحر، سماها "النهر الماد" احتراما للبحر، اختصر فيه بحره المحيط، كما لم يستطع تلميذه ابن مكتوم، التعالي على عنوان كتابه فجاء بتأليف جديد سماه "الدر اللقيط من البحر المحيط". ولم يكن تفسير أبي حيان، مجرد تفسير بارز في مرحلة من مراحل التفسير، بل كان يمثل مرحلة مستقلة، بنفسه، لما أحدثه من مراجعات هامة في كتب التفسير بصفة عامة.

ويثني أكثر العلماء على هذا التفسير أحسن ثناء، إذ يعدونه من أمهات التفسير الموسوعية، التي اهتمت بالجوانب اللغوية؛ لأنه جاء بديعا في عرضه، غنيا في مادته، دقيقا في أسلوبه، تتبع فيه أبو حيان تفسير جل آيات القرآن الكريم، فقرب معانيها، بما يملكه من علوم عربية، وشرعية دقيقة، فكان عرضه للفوائد وافٍ، وذكره للطرائد متناه.

قال شمس الدين ابن الجزري: "وله التفسير الذي لم يسبق إلى مثله، نظمه في غاية الحسن"¹، فيه "مادة غزيرة إلى جانب كشف معاني الآيات القرآنية، وتوضيحها، فقد اهتم فيه باللغة والنحو، والصرف، والقراءات واللهجات، ورد على الفرق المختلفة، وذكر معلومات كثيرة عن الأندلس وغيرها من الأقطار الإسلامية والعربية، وبذلك يكون هذا التفسير مهما في كثير من الدراسات الدينية والعقائدية واللغوية والتاريخية"². وكيف لا يكون في غاية الحسن، وقد بذل فيه

¹ - غاية النهاية في طبقات القراء، 2/286.

² - أبو حيان النحوي، 1/149.

مؤلفه كل جهوده، خدمة للقرآن الكريم، حيث اعتكف على تصنيفه بقية عمره، فقد ألفه ابتغاء وجه الله وخدمة لتفسير كتابه العزيز، يقول: "فما لمخلوق بتأليفه قصدت، ولا غير وجه الله به أردت"¹.

وتحولت عزمته إلى واقع محقق، إذ كان يعتزم إذا بلغ ستين سنة، أن يتفرغ لتفسير كتاب الله والنظر فيه، وفي هذا يقول: "وما زال يختلج في ذكري، ويعتلج في فكري، أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الأديم، ويتغصص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين، فأياه وإيا الشواب، ألوذ بجناب الرحمن، وأقتصر على النظر في تفسير القرآن، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرسا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور، قدس الله مرقدته"².

وكيف لا يكون فريدا، وقد "اعتبره العديد من العلماء المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه إعراب ألفاظ القرآن الكريم"³، ويصنفه الإمام السيوطي ضمن من اعتنى عناية شديدة بالنحو والإعراب إلى جانب الزجاج والواحدي⁴، ويرجع الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون سبب اقتصار بعض المفسرين في تفسيره على فن من فنون العلم إلى براعة المفسر في ذلك الفن، "فالنحوي تراه لا هم له إلا الإعراب، وذكر ما يحتمل في ذلك من وجوه، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافياته، وذلك كالزجاج، والواحدي في البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط"⁵.

لكن رغم غلبة الناحية النحوية في تفسيره، لم يهمل ما عداها من النواحي الأخرى، التي لها صلة بالتفسير، فتصفح كتابه، وتتبع ما ورد في ثنايا ورقاته، يفصح عن منهجه، الذي تجاوز فيه

¹ - البحر المحيط، 11/1.

² - البحر المحيط، 10/1.

³ - ينظر، التفسير والمفسرون، 226/1.

⁴ - ينظر، الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، 243/4.

⁵ - التفسير والمفسرون، 109/1.

حدود وجوه الإعراب، للاعتناء بآليات لغوية، وأصول شرعية، هدفه من خلالها، هو الوصول إلى كشف حقائق التأويل، وفحص أسرار التنزيل، والذي يوضح هذا غاية التوضيح، ما جاء في قوله في مقدمة كتابه "البحر المحيط": "فلنذكر ما يحتاج إليه علم التفسير من العلوم على الاختصار، وننبه على أحسن الموضوعات، التي في تلك العلوم المحتاج إليها فيه، فنقول: "النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه"، وعدد أبو حيان أكثر من سبعة أوجه، ورسم للقارئ معالم الطريق التي يحسن بالمفسر سلكها، وحذر من أمور ينبغي الابتعاد عنها وتجنبها"¹ وبين أن "من اقتصر على غير هذا من العلوم، أو قصر في إنشاء المنثور والمنظوم، فإنه بمعزل عن فهم غوامض الكتاب، وعن إدراك لطائف ما تضمنه من العجب العجائب، وحظه مع علم التفسير، إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ على مر الأعصار"².

والذي يزيد من قوته العلمية، ما أقيم حوله من دراسات علمية، كثر عددها، واختلفت موضوعاتها، وطرائق تناولها، للقضايا الثاوية فيه.

2- المسار المنهجي:

لقد كفانا أبو حيان الأندلسي، في عتبة المقدمة مؤونة البحث عن الطريقة، التي سلكها في تأليفه كتاب "البحر المحيط"، لتفسير كتاب الله عز وجل، إذ يعتبر هذا التصريح المنهجي من خصوصيات التفسير الأندلسي عموماً، وتفسير البحر المحيط خصوصاً.

يقول أبو حيان "وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية، التي أفسرها لفظة لفظة، وما يحتاج إليه من اللغة، والأحكام النحوية، التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان، أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها

¹ - ينظر، البحر المحيط، 14/1-15-16.

² - البحر المحيط، 17/1.

من تلك المعاني، في كل موضع تضع فيه فيحمل عليه ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكرًا سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها، وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات، شاذها، ومستعملها، ذاكرًا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلًا أقاويل السلف والخلف، في فهم معانيها متكلمًا على جليها وخفيها، بحيث أني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت، حتى أتكم عليها، مبدئًا ما فيها من غوامض الإعراب، وحقائق الآداب، من بديع، وبيان، مجتهدًا أنني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آيات فسرت، بل أذكر في كثير منها الإحالة على الموضوع، الذي تكلم فيه على تلك اللفظة، أو الجملة، أو الآية، وإن عرض تكرير، فمزيد فائدة، ناقلًا أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم، من الأحكام الشرعية، مما فيه تعلق باللفظ القرآني، محيلًا على الدلائل، التي في كتب الفقه، وكذلك ما تذكره من القواعد النحوية، أحيل في قررها والاستدلال عليها على كتب النحو، وربما أذكر الدليل، إذا كان الحكم غريبًا، أو خلاف مشهور، ما قال معظم الناس بادئًا بمقتضى الدليل، وما دل عليه ظاهر اللفظ، مرجحًا له لذلك، ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه، منكباً في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبينًا أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن تحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة، في شعر الشماخ والطِّرِمَاح وغيرهما، من سلوك التقادير البعيدة، والتراكيب القلقة، والمجازات المعقدة، ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفرادًا وتركيبًا، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصًا، ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور، أشرح به مضمون تلك الآيات، على ما أختاره من تلك المعاني، ملخصًا جملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معان، لم تتقدم في التفسير، وصار ذلك أنموذجًا لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن، وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله، وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية، مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنب كثيرًا من أقاويلهم ومعانيهم، التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحد الباطنية، المخرجين الألفاظ القريبة عن

مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى، وعلى علي كرم الله وجهه، وعلى ذريته ويسمونه علم التأويل¹.

لقد احتوى هذا النص أهم المراحل المنهجية، التي سار عليها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، من بدايته إلى نهايته، كما وردت على لسانه، نبينها فيما يلي:

- البدء بالكلام على مفردات الآية القرآنية، وشرحها كلمة كلمة، وبيان معانيها.
- ذكر سبب نزول الآية، إن كان ثمة سبب لنزولها، والشروع في تفسير الآية كاملة
- ذكر تناسب الآية مع ما قبلها من الآيات.
- ذكر أوجه القراءات القرآنية الواردة في الآية، مع توجيهها، وفق مقتضيات اللغة العربية.
- نقل أقوال السلف والخلف، الواردة في معاني الآيات، واختيار الأقوى دليلاً، والأصح ثبوتاً.
- بيان النواحي البلاغية في الآية التي يريد تفسيرها، إذ نجده يبين أوجه البلاغة فيها غاية البيان.

- نقل أقوال الفقهاء في المسألة موضع البحث، أثناء معالجته لآيات الأحكام، وترجيح ما يؤيده الدليل، ويصوبه العقل.
- عدم تحميله النص القرآني ما لا يحتمل، بإخراجه عن ظاهره، إلا لدليل يقتضي هذا الإخراج، إذ وجدناه لا يعرض في تفسيره لأقوال أهل الفلسفة، ولا يُعرج على أقوال الفرق الباطنية، التي تعتمد التأويل المرجوح لآيات القرآن الكريم

¹ - البحر المحيط، 12/1-13.

بهذا التصريح المنهجي، أراد أبو حيان أن ينال تفسيره القبول والاستمرار، وألا يكون ممثلاً لمرحلة محددة من مراحل تفسير القرآن الكريم، أضف إلى ذلك، أنه لم يكتف ببيان منهجه، والتصريح به في المقدمة، وإنما برهن على ذلك إجرائياً وعملياً، فجل المسائل التي رسم معالمها في المقدمة، نجدها حاضرة، أثناء تعامله مع الآية الواحدة داخل التفسير، ولو شئنا الاستدلال على هذا الطرح، لاتسع مقام البحث، وانتحى منحى آخر، لكن تصريحاته النظرية السابقة، كافية للإلمام بمنهجه، والإحاطة بطريقته في التعامل مع تفسير كتاب الله عز وجل.

أما المسائل الصرفية¹، فقد اجترح فيها أبو حيان منحى، حتم على القضايا، أن تتغلغل داخل كتاب البحر المحيط، الأمر الذي يصعب معه جلب تلك المسائل، ما لم تكن مصحوبة بقراءة متأنية لتفسيره، ففي بعض الأحيان، ترتبط المسائل الصرفية بشكل مختصر بتناول المفردات، كما في قوله: "الهبة: العطية المتبرع بها. يقال: وهب يهب هبة. وأصله أن يأتي المضارع على يفعل، بكسر العين؛ ولذلك حذف الواو، لوقوعها بين واو وكسرة، لكن لما كانت العين حرف حلق، فتحت مع مراعاة الكسر المقدر، وهو نحو: "ضع يضع" إلا أن هذا فُتح لكون لامه حرف حلق، والأصل فيهما "يوهب" و"يوضع" ويكون "وهب" بمعنى "جعل"، ويتعدى إذ ذاك إلى مفعولين، تقول العرب: "وهبني الله فداك؛ أي جعلني الله فداك"².

وقوله: "لحد" و"ألحد" لغتان قيل: بمعنى واحد، وهو العدول عن الحق، والرباعي أشهر في الاستعمال من الثلاثي³.

¹ - ينظر: المسائل الصرفية في تفسير البحر المحيط، دراسة وصفية تحليلية، مبروكة الهاشمي البوعيشي، الصفحات: 17-18-19-20.

² - البحر المحيط، 7/3.

³ - البحر المحيط، 214/5.

وقد يكون اختصاره للمسألة الصرفية، داخل تفسيره للآية الواحدة، كما في قوله وهو يفسر قوله تعالى: (يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ)¹: "وجاء يخادعون بلفظ المضارع، لا بلفظ الماضي؛ لأن الماضي يشعر بالانقضاء، بخلاف المضارع، فإنه يشعر في معرض الذم والمدح بالديمومة، نحو: زيد يَدْعُ اليتيم، وعمر يقرى الضيف"².

وقد يأتي عرضه للمسألة الصرفية بشكل موسع، فيذكر الآراء ويتبعها بالنقد، ثم يبدي رأيه فيها، نحو قوله: "والأصل في (كل) أَوَّل، الهمزة الأولى المجتلبة للوصل، والثانية هي فاء الكلمة، فحذفت الثانية، لاجتماع المثليين، حذف شذوذ، فوليت همزة الوصل الكاف، وهي متحركة، وإنما اجتلبت للساكن، فلما زال موجب اجتلابها، زالت هي. قال ابن عطية وغيره، "وحذفت النون من "كُلًا" للأمر. انتهى كلامه، وهذا الذي ذكر، ليس على طريقة البصريين³. ثم يسترسل أبو حيان في هذه المسألة إلى أن ينتهي منها في حدود قوله: فأصل كُلا لتأكلا، وكان قبل دخول لام الأمر عليه فيه نون، إذ كان أصله تأكلان، فعلى قولهم يتم قول ابن عطية وغيره: "وحذفت النون من كلا للأمر"⁴.

ويكتفي أبو حيان - في بعض الأحيان - بالإحالة على المسألة الصرفية، دون إعادتها، بقوله: "وقد تقدم ذكرها"، ففي تفسيره قوله تعالى: (يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)⁵، يقول: "وفي قراءة "وما يخدعون" فالتشديد إما للتكثير بالنسبة للفاعلين، أو للمبالغة في نفس الفعل، إذ هو مصير إلى عذاب الله، وإما لموافقة فعل، نحو

¹ - سورة البقرة، الآية 9.

² - البحر المحيط، 95/1.

³ - البحر المحيط، 254/1.

⁴ - البحر المحيط، 255/1.

⁵ - سورة البقرة، الآية 8.

قدر الله، وقدر الله، وقد تقدم ذكر معاني فعل، وقراءة من قرأ "وما يخدعون" أصلها يخذعون فادغم، ويكون افتعل فيه موافقا لفعل، نحو اقتدر على زيد، وقدر عليه، وهو أحد المعاني التي جاء لها افتعل، وهي اثنا عشر معنى، وقد تقدم ذكرها¹.

يضاف إلى الإحالة على السابق، الإحالة على شيء لا حق، بقوله "وسياتي الكلام على لفظة اليهود، حيث انتهينا إليها في القرآن، إن شاء الله"²، وفي قوله "المساجد معروفة، وسياتي الكلام على المفرد، أول ما يذكر في القرآن"³.

وفي بعض الأحيان، تكون إحالة أثير الدين في تفسيره على المسائل الصرفية، إحالة مقامية خارج سياق النص، كما في قوله: "وقد تكلمنا على هذه المسألة في كتاب التكميل لشرح التسهيل من تأليفنا"⁴. وفي قوله: "ووجه من أجاز ذلك قوله: "بأن مثوبة مصدر، يقع للماضي والمستقبل، فصح لذلك من حيث وقوعه للماضي، وقد تكلمنا على هذه المسألة في كتاب التكميل، من تأليفنا بأشبع من هذا"⁵.

وقد يستفيض في تتبع المسائل الصرفية من خلال القراءات، بإيراد أقوال العلماء في المسألة، وانتقاداتها، وبيان وجهة نظره فيها، وفي هذا يقول: "وقرأ الجمهور من السبعة: تتساءلون. وقرأ الكوفيون: بتخفيف السين، وأصله تتساءلون. قال ابن عطية: وذلك لأنهم حذفوا التاء الثانية تخفيفاً، وهذه تاء تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في أخرى لاجتماع حروف متقاربة". قال أبو

¹ - البحر المحيط، 94/1-95.

² - البحر المحيط، 385/1.

³ - م. نفسه، 568/1.

⁴ - م. نفسه، 195/1.

⁵ - البحر المحيط، 195/1.

علي: وإذا اجتمعت المتقاربة خفت بالحذف والإدغام والإبدال، كما قالوا: طست، فأبدلوا من السين الواحدة تاء، إذ الأصل طس.

أما قول ابن عطية: "حذفوا التاء الثانية، فهذا مذهب أهل البصرة. وذهب هشام ابن معاوية الضرير الكوفي: إلى أن المحذوفة هي الأولى، وهي تاء المضارعة، وهي مسألة خلاف ذكرت دلائلها في علم النحو. وأما قوله: وهذه تاء تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في أخرى، كان ينبغي أن ينبه على الإثبات، إذ يجوز الإثبات، وهو الأصل، والإدغام وهو قريب من الأصل، إذ لم يذهب الحرف، إلا بأن أبدل منه مماثل ما بعده وأدغم، والحذف، لاجتماع المثليين. ظاهر كلامه، اختصاص الإدغام والحذف بتفاعلون، وليس كذلك. أما الإدغام فلا يختص به، بل ذلك في الأمر والمضارع والماضي واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر. وأما الحذف فيختص بما دخلت عليه التاء من المضارع، فقوله: لاجتماع حروف متقاربة، ظاهره تعليل الحذف فقط لقربه، أو تعليل الحذف والإدغام، وليس كذلك. أما إن كان تعليلًا فليس كذلك، بل الحذف علة اجتماع متماثلة لا متقاربة. وأما إن كان تعليلًا لهما فيصح الإدغام لا الحذف كما ذكرنا. وأما قول أبي علي: إذا اجتمعت المتقاربة فكذا، فلا يعني أن ذلك حكم لازم، إنما معناه: أنه قد يكون التخفيف بكذا، فكم وجد من اجتماع متقاربة، لم يخفف لا بحذف ولا إدغام ولا بدل. وأما تمثيله بطست في طس، فليس البدل هنا للاجتماع، بل هذا من اجتماع المثليين كقولهم في لص لصت. ومعنى يتساءلون به: أي يتعاطون به السؤال، فيسأل بعضهم بعضا. أو يقول: أسألك بالله أن تفعل، وظاهر تفاعل الاشتراك أي: تسأله بالله، ويسألك بالله. وقالت طائفة: معناه تسألون به حقوقكم وتجعلونه معظما لها. وقرأ عبد الله: تسألون به مضارع سأل الثلاثي. وقرئ: تسألون بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى السين. قال ابن عباس: معنى تساءلون به أي تتعاطفون. وقال الضحاك والربيع: تتعاقدون وتتعاهدون¹

¹ - البحر المحيط، 477/476.

رابعاً: علم الصرف والتفسير

لقد أُولِيَ كثير من الباحثين لسلامة اللغة العربية عامة، والقراءة القرآنية خاصة، الاهتمام بالإعراب والنحو، لأنهم اعتقدوا أن الاعتناء بالمستوى الإعرابي والنحوي، يورث السلامة من اللحن في لغة القرآن، لكن يمكن أن يشمل اللحن مستويات أخرى من مستويات اللغة، وفي مقدمتها المستوى الصرفي؛ "لأن الأخطاء الشائعة في غالب الأحوال، لم تكن مقصورة على هذا النوع من أنواع الأخطاء"¹، بل تجاوزتها إلى حدود البحث في الأخطاء التي تشمل اللفظة في نفسها وذواتها، والتي تمثلت في تحريف بنية الصيغة، أو في الإلحاق والزيادة²

¹ - المسائل الصرفية في الدراسات القرآنية: خيرة غانم، ص: 32.

² - م. نفسه، ص: 32.

ولهذا السبب هب كثير من العلماء الأوائل، إلى صرف أنظارهم، نحو تقعيد اللغة وتقنينها، ووضع أصولها، حتى يسلم من الخطأ أقدم نص عربي، وهو النص القرآني، وتسلم ألسنة الناس من وضعية نطقه، نطقا يخالف الصحة والصواب، لذلك كان الاهتمام بالصرف العربي وضوابطه موجودا، منذ بداية ظهور اللحن، وإشارات العلماء إلى التصويبات الإعرابية والنحوية، كانت تعني تحذير الناس من الوقوع في اللحن الصوتي والصرفي والنحوي على حد سواء¹.

وفي هذا السياق، أفاد علماء التفسير من الوضع الجيد، والتقعيد النهائي، الذي وصل إليه علم العربية، في جميع فروعها، ومجالاته، النحوية، والصرفية، والصوتية، فعلموا أنه لا بد من استحضار علوم اللغة عامة، لإدراك مراد الله تعالى من القرآن.

ويبدو أن الإفادة من علوم اللغة في تدارس الآيات القرآنية، كانت على يد جماعة من المقرئين، حين اعتنوا بالنطق الصحيح للقرآن الكريم، ومبانيه الإفرادية، فقد جمعوا بين قراءة القرآن، والاطلاع الواسع على لغة العرب، فكانوا يوجهون القراءة القرآنية، في كثير من الأحيان، وفق ما تمليه عليهم الضوابط الصرفية، والنحوية، والدلالية، للغة العربية.

ولما جمعت القراءات القرآنية في كتب العلل والحجج، صارت القراءة تشكل رافدا قويا من روافد البحث في معاني القرآن، وصار علم الصرف من العلوم التي يتحاكم إليها في بيان صحة القراءة للفظ داخل الآية الواحدة، يشهد لذلك ما نَبَّه عليه علماء توجيه القراءات، من المعاني التفسيرية التي تحيل عليها كل قراءة، من ذلك ما جاء في كتاب أبي علي الفارسي: "قرأ أبو عمر وابن عامر (حتى يصدر) بنصب الياء، ورفع الدال من صدرت، وقرأ الباقر "حتى يُصدر الرعاء"

¹ -المسائل الصرفية في الدراسات القرآنية، ص: 32.

برفع الياء وكسر الدال"¹، فتوجيه القراءة الأولى، حتى يَصْدُرُون بأغنامهم، وتوجيه القراءة الثانية، حتى يَصْدُرُون مواشيهم.

وممن كان لهم الحظ الأوفر في تثبيت العلاقة بين القراءة والمعنى، علماء التفسير، كابن عطية والزمخشري، وأبي حيان، ومحمد الطاهر بن عاشور، وغيرهم. ففي قوله تعالى: (هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ)²، يذكر أبو حيان - بعد أن سرد ثمانية أقوال، في بيان المقاصد المعجمية لكلمة الفرقان - أن "الفرقان مصدر في الأصل، وهذه التفاسير تدل على أنه أريد به اسم الفاعل، أي الفارق، ويجوز أن يراد به المفعول أي المفروق، قال تعالى (وَفَرَّءَ أَنَا بَرَفْنَهُ لِيَتَفَرَّأَهُ، عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)³".⁴

إن كلمة الفرقان مصدر في الأصل، لكن أبا حيان يوجهها توجيهين، ليحصل لها معنيان:

✓ المعنى الأول: وقوعها موقع اسم الفاعل (أي الفارق)

✓ المعنى الثاني: وقوعها موقع اسم المفعول (أي المفروق)

ويوجه الفعل المضارع "نعلم"، فيجعله دالا على الماضي، في قوله تعالى: (لَوْ نَعْلَمُ

فِتَالًا لَا تَبْغُنَكُمْ)⁵ بقوله: "ونعلم هنا في معنى: علمنا؛ لأن (لو) من القرائن التي تخلص

المضارع لمعنى الماضي، إذا كانت حرفا لما كان سيقع، لوقوع غيره، ومضمون جوابهم، أنهم

¹ - الحجة للقراء السبعة، الفارسي، 412/5.

² - سورة آل عمران، الآية 4.

³ - سورة الإسراء، الآية 106.

⁴ - البحر المحيط، 18/3.

⁵ - سورة آل عمران، الآية 167.

"علقوا الاتباع على تقدير وجود علم القتال، وعلمهم للقتال منتف فانتهى الاتباع، وإخبارهم بانتفاء علم القتال منهم، إما على سبيل المكابرة والمكايدة، وإما على سبيل التخطئة للمؤمنين، في كون قتالهم في سبيل الله، فقد علموا، أنه لا مقاومة لهم بحرب الكفار لكثرتهم، وقلة المؤمنين¹.

من هذه النقول، نستطيع إثبات العلاقة بين الصرف والتفسير، كما نستطيع القول بأن علم الصرف، يساعد على فهم ما تقصد إليه نصوص الشريعة، وخاصة النص القرآني، ومعرفة الحكم الشرعي، وهذا ما يمكن أن نبين معالمه، ونكشف خباياه، من خلال البحث عن المعاني، والأحكام التي تفيدها اللفظة الواحدة، فعلا كانت أو اسما، داخل الآية، وما قد تؤثر به في المعنى العام لتلك الآية.

خامسا: الحكم، وأقسامه.

قال ابن فارس: "الحاء، والكاف، والميم، أصل واحد، وهو المنع. وأوّل ذلك، الحكم: وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها. يقال: حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفينة، وأحكمتها إذا أخذت على يديه. والحكمة: هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلانا تحكيما، منعه عما يريد².

¹ - البحر المحيط، 424/1.

² - معجم مقاييس اللغة، مادة "حكم".

والْحُكْمُ: قال الليث: العلة والفقہ "وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" أي علما وفقها. والعرب تقول: حكمت وأحكمت، وحكمتُ بمعنى منعت ورددت. ومن هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم¹.

وفي الاصطلاح: إسناد أمر لآخر إيجابا أو سلبا، ويطلق على الفصل والبت والقطع على الإطلاق².

والحكم في العرف، إسناد أمر لآخر إيجابا أو سلبا، أي إثبات أمر لأمر، أو نفيه عنه، كإثبات القرب للصلاة، فالحكم هو الوجوب أثبتناه للصلاة، وإثبات اللزوم والتعدي للفعل، وغير ذلك.

ويلاحظ أن جل تعريفات القدماء، لم تربط الحكم بمستوى من مستويات الدرس اللغوي، لكن هذا حاصل لدى بعض المتأخرين، إذ يرى أن الأحكام جمع حكم، وهو القضاء، واستعمله النحاة فيما يلزم من الأمور لزوم الحكم المقضي به، والذي لا يجوز أن يتخلف أو يتأخر، فقرروا أن للفاعل أحكاما منها الرفع، وكونه عمدة، ووجوب تأخيره عن الفعل، أو ما في قوته، وكذلك نائب الفاعل³.

وترى خديجة الحديثي أن الحكم النحوي: هو ما يحكم به على الظاهرة النحوية الموجودة من حيث فصاحتها، وشيوعها، وقلتها، أو ضعفها⁴.

¹ - تهذيب اللغة، مادة "حكم".

² - التعريفات: الشريف الجرجاني، 92/1. والكلبيات: أبو البقاء الكفوي، ص: 380.

³ - معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد اللبدي، ص: 65.

⁴ - المدارس النحوية: شوقي ضيف، ص: 298.

يمكن أن نقيس على ما سبق الحكم الصرفي فنقول: "الحكم الصرفي هو ما يحكم به على الظاهرة الصرفية الموجودة، فيتقرر التعدي وال لزوم للأفعال، ويتقرر الإعلال والإبدال والحذف والزيادة والتسهيل للأسماء.

وعليه؛ فإن الظواهر الصرفية كلها، متوقفة على العلم بالأحكام، وهو المقصود عندهم من التصريف، كما أن الظواهر المرتبطة بالفعل والاسم، تعود لغرضين أساسيين، غرض لفظي، كالتخلص من الثقل، والتسهيل، والإدغام، والإبدال... وغرض معنوي، كتحويل المصدر للفعل أو الوصف، واستعمال اسم الفاعل بدلا من الفعل والعكس، ولهذين التغييرين أحكام صرفية، تسمى علم التصريف¹.

وللحكم أقسام أوردها أبو البقاء الكفوي في الكليات وأوصلها إلى خمسة أنواع:

1- **الحكم الشرعي**: وهو ما لا يدرك لولا خطاب الشارع، سواء ورد هذا الخطاب في عين هذا الحكم، أو في صورة يحتاج إليها هذا الحكم، كالمسائل القياسية، إذ لولا خطاب الشارع في المقيس عليه، لا يدرك المقيس.

2- **الحكم العقلي**: إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، من غير وقوف على تكرار، ولا وضع واضح، وينحصر في الوجوب، والاستحالة، والجواز، إذ النسبة في الحكم العقلي مستفادة من العقل، كقولنا: الجزء أكبر من الكل.

3- **الحكم العادي**: إثبات ربط بين أمر وآخر، وجودا وعدما، بواسطة تكرار القران بينهما على الحس، مع صحة التخلف، وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة.

¹ - أثر ابن مالك في الصرف، محمد آدم الزركي ص: 56.

4- **الحكم العادي القولي:** كرفع الفاعل، ونصب المفعول ونحو ذلك من الأحكام اللغوية والنحوية. ويسمى هذا بالحكم الوضعي لأن النسبة فيه مستفادة من الوضع.

5- **الحكم العادي العقلي:** كقولنا في الإثبات: (شراب السكنجبين¹ مسكن للصفراء)، وفي النفي: (الفطير من الخبز، ليس بسريع الانهضام) وقد يطلق العادي على ما يستند إلى شيء من العقل والنقل، ويطلق أيضا على ما استقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة، وعلى ما استمر الزمان على حكمه وعاد إليه مرة بعد أخرى، وعلى ما وقع في الخارج على صفة اتفاقا².

سادسا: الصرف، والتصريف، نظرة موجزة.

تتنظم المعاني اللغوية داخل المعاجم العربية للكلمات، التي يمكن التوصل إليها، والمأخوذة من مادة "صرف" وفق تسلسل قد يصل إلى أربع وثلاثين حالة³، لكن ما يهمنا من هذه المعاني، هو ما له صلة بإفادة المعنى الاصطلاحي، ومنه صرف الألفاظ: اشتق بعضها من بعض، وصرف الشيء صرفا: رده عن وجهه، وصرف الأمر: دبره. يقال: "صرف الله الرياح، وصرف

¹ - السكنجبين: شراب مركب من حامض وحلو. (المعجم الوسيط، ص: 440).

² - الكليات، ص: 381.

³ - ينظر، مجموع هذا الترتيب في المعجم الوسيط، مادة (صرف).

الأمر: بينه. قال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)¹، وصرف الشيء: بالغ في رده عن وجهه².

ففي هذا الكلام صيغتان، صيغة على زنة الثلاثي المجرد 'فَعَلَ' ومصدره الصرف، وصيغة 'فَعَّلَ' الثلاثي المزيد بالتضعيف، ومصدره التصريف، وكلاهما يعود إلى أصل واحد، (الصاد/ والراء/ والفاء)، والذي يدل "معظم بابه على رَجْع الشيء، من ذلك: صرفتُ القوم صرفاً وانصرفوا، إِذَا رَجَعْتَهُمْ فَرَجَعُوا"³، ثم نقل المصدران، ليكونا مصطلحين لعلم واحد، لذلك شابه الصرف التصريف في كثير من الأحوال، فالأول يدل على التغيير والتوجيه، ويراد به "رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال صرفته فانصرف، قال تعالى (ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ)⁴"⁵، والثاني يدل على التقلب، قال الفيروز آبادي: "وصرفته في الأمر تصريفاً، فتصرف قلبته فتقلب"⁶.

وعلى معنى التغيير والتقلب، يدور فلك المفهوم الاصطلاحي للصرف والتصريف، فقد تواتر لدى القدماء استعمال مصطلح التصريف، وهم يريدون الصرف والتصريف، ودمج المحدثون بين الصرف والتصريف، فسووا بين المصطلحين.

ولبيان ذلك نرى ضرورة تتبع مسار المصطلح لدى القدماء بدءاً من سيبويه، ولدى المتأخرين بدءاً من ابن مالك.

¹ - سورة الاسراء، الآية 89.

² - تهذيب اللغة للأزهري. لسان العرب، مادة (صرف).

³ - معجم مقاييس اللغة: ابن فارس مادة "صرف".

⁴ - سورة آل عمران، الآية 152.

⁵ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، ص: 482.

⁶ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مادة (صرف).

ويعرف سيبويه التصريف بقوله: "هذا ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل، الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل¹."

فقد حصر سيبويه في هذا التعريف مفهوم التصريف في مسائل التصريف² ولم يتجاوز به بعض أبوابه³، ويفهم السيرافي من مصطلح التصريف عند سيبويه، أنه تغيير الكلمة بالحركات، والزيادات، والقلب للحروف، التي رسمنا جوازها حتى تصير على مثال كلمة أخرى، والفعل بمثلها بالكلمة ووزنها به، كقوله: ابن لي "من ضرب مثل جَلَجَل، فوزنا جلجل بالفعل، فوجدناه فَعَلَل، فقلنا ضَرَبَب، فتغير الضاد إلى الضم، وزيادة الباء، ونظم الحروف في ضَرَبَب على الحركات التي فيها، هو التصريف⁴."

فمراد سيبويه من مصطلح التصريف، إنما هو تصيير الكلمة على خلاف ما كانت عليه في الصيغة، أو هو التغيير الذي يلحق الكلمة، كالزيادة، والإعلال، والإبدال والإدغام، أو هو بحث في الكلمة حال أفرادها؛ بمعنى أن التصريف عنده هو علم بأبنية الكلم العربية، اسما كانت، أو

¹ - الكتاب، سيبويه، 242/4.

² - أثر ابن مالك في الصرف، ص: 53.

³ - استعمل رضى الدين الأستر بادي، مصطلح "مسائل التمرين" في كتابه شرح شافية ابن الحاجب، وهو مصطلح وارد لدى القدماء، ويرادف لديهم مصطلح مسائل التصريف، أو مسائل البناء، أو بنية الصرف، وكلها مصطلحات تتصل بالمعاني اللغوية؛ لأنه صوغ أمثلة لم ترد عن العرب قياسا على ما جاء عنهم، وإدخالها في كلامهم (ينظر كتاب مناهج الصرفين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع للهجرة لحسن هنداي ص: 15).

⁴ - شرح كتاب سيبويه، أبي سعيد السيرافي، 133/5-134-135.

صفة، أو فعلا، وما لحروفها من أصالة وزيادة، وصحة، وإبدال، وإعلال، وإدغام، يحدث لسبب الإعلال والإبدال¹.

ويربط ابن السراج في كتابه "الأصول" التصريف بكل ما عرض في أصول الكلام وذواتها من التغيير²، ولأبي الفتح ابن جني تحديد، ألفيناه في كتابه "المنصف" وهو قوله: "التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة، فتصرفها على وجوه شتى، مثال ذلك، أن تأتي إلى ضَرَبَ، فتبني مثل "جَعَفَر" فتقول ضَرَبَ [...] ومثل ظُرِفَ ضَرَبَ³.

فكان ابن جني في شرحه على كتاب المازني، الذي لم يضع فيه حدا للتصريف - رغم سبقه إلى التأليف فيه، ومعالجته أكثر قضاياها ومسائله - يؤكد تعريف سيبويه السابق، فينزع إلى ما يقتصر على مسائل التمرين، ولا عجب في ذلك؛ لأن "معظم العلماء، ممن جاء بعد سيبويه، لم يزدوا شيئا على ما أورده سيبويه في الكتاب، إلا شيئا من التنظيم، اقتضته ضرورة تطور العلوم"⁴. ويرى ابن عصفور أن المراد بالتصريف "معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب"⁵ فهو هنا يميز بين الصرف كعلم مستقل، وبين النحو في قوله: من غير تركيب. ويزيد ابن مالك من توسيع مفهوم التصريف، فيربطه تارة "بتحويل الكلمة من بنية إلى غيرها، لغرض لفظي أو معنوي، ولا يليق إلا بمشتق، أو بما هو من جنس المشتق"⁶، ويقرنه تارة أخرى "بعلم يتعلق ببنية الكلمة، وما لحروفها من أصالة وزيادة، وصحة، وإعلال، وشبه ذلك"⁷. ويرشد أبو حيان الأندلسي، في معرض

¹ - التصريف عند سيبويه وموقف الرضي منه في شرحه للشافية، محمد إحسان الله ميا، ص: 22.

² - الأصول في النحو، ابن السراج، 231/3.

³ - المنصف شرح كتاب التصريف، ابن جني، ج1، ص: 3.

⁴ - التصريف عند سيبويه وموقف الرضي منه في شرحه للشافية، محمد إحسان الله ميا، ص: 22.

⁵ - الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، 33/1.

⁶ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ص: 290.

⁷ - م. نفسه، ص: 290.

حديثه عن أحكام الكلم العربية، حالة الإفراد "أنها على ثلاثة أقسام، الأول: ما يكون لها في أنفسها، والثاني: ما يلحقها من أولها، والثالث ما يلحقها من آخرها، فأما القسم الأول: فهو المسمى بعلم التصريف، وينقسم إلى قسمين: أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، والآخر تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، وينحصر في الزيادة، والحذف، والإبدال، والقلب، والنقل، والإدغام...¹.

نصل بعد هذا التتبع إلى الخلاصات الآتية:

* أن التصريف والصرف، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالتغيير، والتحويل، سواء أكان هذا التغيير بإضافة حروف أم نقصانها.

* أن التغيير والتحويل ضربان: ضرب لغرض معنوي، إذ يلتصق بتغيير بنية الكلمة تغيير في المعنى الدلالي لها، ويندرج ضمنه المشتقات بأنواعها والنسب والتصغير والزيادة، ومعانيها، والجمع، والتنشئة، وتغيير لغرض لفظي لا يلتصق بتغيير بنية الكلمة تغيير في المعنى، ويدخل فيه الإدغام والإمالة²، وإلى هذين التغيريين أشار العلماء المتقدمون، منهم أبو الفتح ابن جني وابن عصفور الإشبيلي، وابن مالك في حده المرتبط بما هو عملي. وينضاف إليهم "أبو حيان".

* أن حقيقة مصطلح التصريف، تدرك من زاويتين: الزاوية الأولى علمية، والثانية عملية، فمن العلماء من ركز على الزاوية العملية؛ لأن مدلول علم التصريف: الأحكام المتعلقة به إيجاباً وسلباً، كسيبويه، حين حصر تعريف التصريف في مسائل التمرين، وإلى هذا نزع ابن جني، وأما ابن الحاجب، فقد اكتفى بالمعنى العلمي³، وجنح ابن عصفور إلى حد الصرف بمعناه العملي، لكن ابن

¹ - ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الاندلسي، 22/1.

² - التوجيه الصرفي وأثره الدلالي في تفسير القرآن الكريم تفسير ابن عطية نموذجاً: محمد حسن طويلة، ص: 14.

³ - الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب، 6/1.

مالك جمع بين المعنيين العلمي والعملي، وركز على ضرورة التفريق بينهما، وهو تركيز دقيق؛ لأن مفهوم التحويل مباين -عنده- لمفهوم العلم بكيفية التحويل، فالأول عمل ينشأ من ممارسة القواعد وتطبيقها، والثاني علم بالأصول والقواعد، فثمة فرق -حسب ابن مالك- بين الصرف وعمل المصرف.

* استعمال وتوظيف مصطلح البنية في التعريف الاصطلاحي، والذي يراد به الهيئة التي تكون عليها كلمة من الكلمات، مُراعَى فيها التشكيل الداخلي من حركات ضمة/ فتحة/ كسرة/ سكون؛ أي الجانب العملي، والعلم ذو القواعد والأحكام المقررة؛ أي الجانب العلمي. وتأثر بابن مالك من جاء بعده من العلماء والشرح وغيرهم كابن الناظم¹، ورضي الدين الاسترابادي²، وابن هشام، والوقاد خالد الجرجاوي الأزهري³، وابن القيم⁴، فقد جمع كما فعل ابن مالك بين المفهومين، وفي شرح السيوطي لألفية ابن مالك بدا هو الآخر متأثراً به، وابن عقيل⁵، والمكودي⁶، والحملاوي⁷.

لقد أثبتت كثير من النقول، والروايات عن العلماء المؤلفين في مجال التاريخ والطبقات، أن أبا الأسود الدؤلي، هو أول من وضع علم العربية⁸، وأن مصطلح العربية⁹، كان يشار به إلى علم النحو، الذي شمل الصرف في بداية أمره وبقيت كلمة العربية مستعملة إلى قرون متأخرة، شاملة

¹ - شرح الأشموني لألفية ابن مالك: الأشموني، 40/4.

² - شرح شافية ابن الحاجب: الاسترابادي، 653/1.

³ - التصريح على التوضيح، خالد الجرجاوي، 653/2.

⁴ - إرشاد السالك لحل الفية ابن مالك، ابن القيم، 984/2. فقد جمع بين المفهومين العلمي والعملية، كما فعل ابن مالك.

⁵ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عقيل، 191/4.

⁶ - شرح المكودي، المكودي أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح، 366/1.

⁷ - شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص: 11.

⁸ - يراجع كتاب تاريخ دمشق، ابن عساكر، 189/25. وطبقات النحويين اللغويين، الزبيدي، 22/1.

⁹ - طبقات النحويين واللغويين، 18/1. والفهرست، ابن النديم، 89/1.

لعلمي النحو والصرف، ولعل أوضح ما يدل على أن العربية يراد بها صوت اللسان العربي من علمي النحو والصرف، ما قاله ابن عصفور من أن التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما¹، وكان النحو يشمل لدى القدماء الصرف، ولم يعرف الصرف استقلاليتته، إلا بعد مرور مرحلتين من نشأته، ويقال إن معاذاً الهراء - كما أشار السيوطي - هو "أول من وضع التصريف"²، وينقل الأشموني اتفاق العلماء، على أن أول من وضع التصريف معاذ ابن مسلم الهراء³ والذي حمل السيوطي والصبان على نسبة وضع علم التصريف له، هو ما نقل عنه من براعته في مسائل التمرين⁴.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن بواكير العمل الصرفي، كانت على يد رجال الطبقة الأولى، من أصحاب أبي الأسود الدؤلي، وأنه ليس لمعاذ الهراء أثر في وضع علم الصرف، بله أن يكون واضعه، وأن تلك الطبقة وضعت مصطلحات صرفية، ما زالت مستعملة إلى اليوم⁵.

فنفى صحة نسبة وضع الصرف لمعاذ الهراء مَرَدُّهُ إلى "أن كل من ترجم له، لم ينسب إليه كتاباً ولم يعرف له أثراً"⁶، فقد كان يقال عنه: "كان صالح العلم بالعربية، ولكنه ليس من أعلام النحويين"⁷.

¹ - الممتع الكبير في التصريف، 31/1.

² - بغية الوعاة، 291/2.

³ - حاشية الصبان على شرح الاشموني، ص: 291.

⁴ - التوجيه الصرفي وأثره الدلالي في تفسير القرآن الكريم تفسير ابن عطية نموذجاً، محمد حسن طويلة، ص: 15.

⁵ - مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية تاريخ علم الصرف، مازن المبارك، ص: 295.

⁶ - م. نفسه، ص: 296.

⁷ - إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، 290/3.

وعلى أي حال، فالصرف نشأ مصاحبا لعلم النحو، ثم تطور إلى أن استقل بنفسه ووصل ذروة نضجه، بعد أن مر من ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: امتزاج النحو والصرف، إذ كانت موضوعاتهما متداخلة ومجمعة، كما هي مبثوثة في الآثار العربية النحوية الأولى، وفي مقدمتها "كتاب سيبويه" فالصرف أو التصريف في هذه المرحلة، لم يكن معروفا بكتاب مستقل، ولم يتميز النحو عن الصرف، وقد صرح النحاة بأن علم النحو يشتمل على علم الصرف¹.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التأليف في موضوع جزئي من موضوعاته، وفيها بدأ الصرف يشق طريقه نحو استقلاله، فبدأت معالم وإنتاجات تأليفية، في موضوعات صرفية منفردة، تخص قضايا صرفية بحتة، مثل كتاب "المصادر" لعلي ابن حمزة الكسائي، وكتاب "المقصود والممدود" ليحيى بن المبارك اليزيدي، وكتاب "الهمز" لمحمد بن المستنير قطرب، وكتاب "المصادر في القرآن" ليحيى بن زياد الفراء و"الجمع والتثنية في القرآن" و"المقصود والممدود" و"فعل وأفعل" له كذلك، وكتاب "الهمز" والمقصود والممدود و"القلب والإبدال" لعبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي².

المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة بلغت الدراسات الصرفية أوجها، وسارت إلى قمة نضجها، فاكتمل صرح التصريف، وبلغ فيها التأليف ذروته، "وقوي التمييز بين النحو والصرف، فصار للصرف مباحث محددة، لا يشاركه فيها غيره، ومصنفات مفردة لقضاياها ومسائله"³.

وإذا كان الصرف في أحد شقيه، يرتبط بما هو عملي، وهو تحويل وتغيير الكلمة عن أصل وضعها لمعان مختلفة، لا يمكنها أن تؤدي إلا بذلك التحويل، فإن مجال بحثه يشخص - حسب المستوى العملي - في صياغة الأفعال من مصادرها، والإتيان بالمصادر وفق أفعالها، وبناء

¹ - الخصائص، ابن جني، 28/1.

² - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص: 78.

³ - التوجيه الصرفي وأثره الدلالي في تفسير القرآن الكريم، ص: 17.

فَعَالٌ وفَعُولٌ من فَاعِلٍ للمبالغة، إذ إن تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة، كالتثنية، والجمع، والنسب، والتكسير، ضروري لإفادة المعاني المختلفة، ولا يمكن أن يجري هذا التحويل، إلا على الأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة؛ لذلك يرى ابن جني أن "الحروف لا يصح فيها التصريف، ولا الاشتقاق؛ لأنها مجهولة الأصول، وإنما هي كالأصوات نحو "صه ومه" ونحوها، فالحروف لا تمثل بالفعل، لأنه لا يعرف لها اشتقاق، فلو قال لك قائل: ما مثال هل أو قد أو حتى أو هلا، ونحو ذلك من الفعل، لكنت مسألته محالا، وكنت تقول له: إن هذا ونحوه لا يمثل؛ لأنه ليس بمشتق، إلا أن تنقلها إلى التسمية بها، فحينئذ يجوز وزنها بالفعل، فأما وهي على ما هي عليه من الحرفية فلا تصرف¹.

ويذهب ابن عقيل مذهب ابن جني فيرى أن موضوع علم التصريف "هو الألفاظ العربية، والأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، وما ورد من تثنية الأسماء الموصولة، وكذلك أسماء الإشارة، وجمعها، وتصغيرها وينفي عن الحروف تعلقها بعلم التصريف "أما الحروف فلا تعلق لعلم التصريف بها"²، ففي هذا تأكيد لما قرره ابن مالك في قوله: التصريف تحويل الكلمة من بنية إلى غيرها لغرض لفظي أو معنوي، ولا يليق ذلك إلا بمشتق، أو ما هو من جنس المشتق. وفي قوله من ألفيته³:

حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرِيٍّ وَمَا سَوَاهُمَا بِتَصْرِيفِ حَرِيٍّ

فكل من جاء بعد ابن مالك من الشراح، يرى أن التحويل في علم الصرف، لا يجري إلا على مشتق، أو من جنس المشتق، إذ "لا يتعلق التصريف إلا بالأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة، أما الحروف وشبهها، فلا تعلق لعلم التصريف بها... والمراد بشبه الحرف، الأسماء

¹ - المنصف شرح كتاب التصريف، 7/1.

² - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 191/4.

³ - تسهيل القواعد، وتحليل المقاصد، 290/4.

المبنية، والأفعال الجامدة وذلك (على) و(ليس) ونحوها، فإنها تشبه الحرف في الجمود"¹، وسار على هذا أبو حيان في كتابه "المبدع في التصريف" حيث أكد أن موضوع علم الصرف، "يختص بالأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة، فالحرف بجميع أنواعه، والاسم المبني، والأفعال الجامدة، لا تبحث فيه"².

لقد كان علم الصرف في مرحلته الأولى -كما سبقت الإشارة إليه- متداخلا مع علم النحو ومرتبطا به، ثم بدا في مرحلته الثانية، منفصلا عنه بشكل جزئي، وفي المرحلة الثالثة، حاز على استقلالية، فأصبح لدى العلماء علما متميزا من علوم العربية "يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة وبهم إليه أشد فاقة"³، بل إن "من الواجب على من أراد معرفة النحو، أن يبدأ بمعرفة التصريف"⁴.

إلا أن هذا الضرب من العلم، لما كان عويصا، صعبا، بدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال"⁵، إذا لا بد حسب ما تضمنه الكلام السابق من التسلح بمسائل الصرف أولا، لضبط مسائل النحو، لذلك يرى ابن يعيش أن حاجة النحوي إليه ضرورية⁶.

¹ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، 40/4.

² - المبدع في التصريف: أبوحيان، 3/4.

³ - المنصف شرح كتاب التصريف، 2/1.

⁴ - م. نفسه، 2/1.

⁵ - شرح التصريف الملوكي: ابن يعيش، ص: 18.

⁶ - صاحبني في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس، 143/1.

ويرجع ابن عصفور الإشبيلي سبب تأخير العلماء الصرف، وتصنيفه بعد علم النحو إلى "لطفه ودقته، ويعتبره أشرف شطري اللغة العربية، وأغمضها" والذي يبين شرفه "احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية، من نحوي ولغوي، إليه أيما حاجة، لأنه ميزان العربية"¹.

وتعد وجهة النظر الحديثة، الصرف مقدمة للنحو، أو خطوة تمهيدية له، فهو ليس غاية في ذاته، إنما هو وسيلة، وطريق من طرق دراسة التركيب والنص، فدراسة الكلمة تعد مدخلا لدراسة التراكيب النحوية فقولنا: "أكرم زيد الضيف" اقتضت صيغة أكرم وجود مفعول به، فإذا ما غيرناها إلى صيغة المبني للمجهول قلنا "أكرم الضيف" فإن تركيب الجملة بكاملها يحدث فيه تغيير، وهذا التغيير تبع تغيير صيغة الفعل "أكرم" من المعلوم إلى المجهول².

والصيغة أيضا داخل التركيب، لا تساهم فقط في تغيير وتوجيه التركيب من المعلوم إلى المجهول، بل تتحكم في معنى الآية، وتوجهه، ففي قوله تعالى: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)³، توظيف لصيغة اسم الفاعل "لأنه يدل على الثبوت، ولم يأت بالفعل الذي هو دال على التجدد والتكرار، ولا تكرر، إذ لا تجدد فيه، لأنها قصة واحدة معروفة، فلذلك لم يأت بالفعل"⁴، وغير هذا كثير مما سيأتي بيانه في مظانه من مباحث.

¹ - الممتع في التصريف، 31/1-32-33.

² - الجرجاني والصرف، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: علي توفيق الحمد، ص14.

³ - سورة البقرة، الآية 71.

⁴ - البحر المحيط، 419/1.

الباب الأول
مسائل أصول التفسير
في
البحر المحيط

الفصل الأول
في الحدود
والمفاهيم النظرية

المبحث الأول: الأصل

قال ابن فارس: الهمزة والصاد واللام، ثلاثة أصول متباعد بعضها من بعض

أحدها: أساس الشيء، والثاني: الحية، والثالث: ما كان من النهار بعد العشي، فأما الأول فأصل الشيء، قال الكسائي في قولهم: "لا أصل له ولا فصل له": إن الأصل الحسب، والفصل اللسان، ويقال: مجد أصيل، وأما الأصله فالحية العظيمة، وفي الحديث في ذكر الدجال: «كأن رأسه أصله»، وأما الزمان فالأصيل بعد العشي، وجمعه أصل وأصال. ويقال: أصيل وأصيلة، والجمع أصائل¹. وجاء في تاج العروس "... أصل الشيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه..."⁽²⁾. وقال: "أصل كل شيء قاعدته"³.

فالأصل أسفل كل شيء، ويطلق على مبدأ الشيء، وما يبنى عليه غيره، وما يفتقر إليه غيره، ولا يفتقر هو إلى غيره⁴.

أما في الاصطلاح، فيراد بالأصل "الراجح بالنسبة للمرجوح، والقانون، والقاعدة المناسبة المنطبقة على الجزئيات، وعلى الدليل بالنسبة للمدلول، وعلى ما يبنى عليه غيره، وعلى المحتاج إليه، كما يقال: الأصل في الحيوان الغذاء، وعلى ما هو الأولى، كما يقال: الأصل في الإنسان العلم، أي: العلم أولى وأحرى من الجهل، والأصل في المبتدأ التقديم، أي: ما ينبغي أن يكون المبتدأ عليه، إذا لم يمنع مانع، وعلى المتفرع عليه كالأب بالنسبة إلى الابن وعلى الحالة القديمة،

¹ - مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة "أصل".

² - تاج العروس: الزبيدي، مادة "أصل".

³ - م. نفسه.

⁴ - لسان العرب، مادة "أصل". التعريفات، 28/1.

كما في قولك: الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، والأصل في الأشياء العدم، أي: العدم فيها مقدم على الوجود"¹.

ويطلق الأصل -كذلك- على الكتاب، الذي يرجع إليه المؤلف، والمصدر الذي يعتمد في تأليفه. فالأصول جمع أصل، وهي القواعد الكلية العامة المعتمدة.

¹ - الكليات: أبي البقاء الكفوي، ص: 122.

المبحث الثاني: التفسير

التفسير: يطلق في اللغة، ويراد به الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ

بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)¹.

قال الفراهيدي: "فسر: الفسر، التفسير، وهو البيان، وتفصيل الكتاب، وفسره يفسره فسرا، والتفسير مثله، والتفسرة اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدل به على مرض البدن، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو التفسرة"². وقال ابن فارس: الفاء والسين والراء، كلمة واحدة، تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه"³. وقال أيضا: وأما اشتقاقه فمن الفسر، ثم ساق بسنده إلى الخليل قال: "الفسر: البيان، واشتقاقه، من فسر الطبيب للماء: غدا نظر إليه، ويقال لذلك التفسرة أيضا"⁴. ونقل الأزهرى عن الليث: "وكل شيء يعرف به تعرفُ تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته"⁵. وفي القاموس المحيط: "الفسر الإبانة، وكشف المغطى، كالتفسير، والفعل كضرب ونصر"⁶. وفي اللسان: "الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"⁷.

وقال أبو حيان الأندلسي: "التفسير في اللغة: الاستبانة والكشف. قال ابن دريد: ومنه يقال للماء الذي ينظر فيه الطبيب "تفسرة"، وكأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر فعل جاء أيضا على

¹ - سورة الفرقان، الآية 33.

² - معجم العين: الفراهيدي، وتاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة "فسر".

³ - مقاييس اللغة، مادة "فسر".

⁴ - صاحبى في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس، ص: 145.

⁵ - تهذيب اللغة: الأزهرى، مادة "فسر".

⁶ - القاموس المحيط، مادة "فسر".

⁷ - لسان العرب، مادة "فسر".

تفعلة، نحو جرب تجربة، وكرم تكرمة، وإن كان القياس في الصحيح من فعل التفعيل، كقوله تعالى: (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)¹. ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق. " قال ثعلب: "تقول فسرت الفرس، عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره، لهذا الذي يريده منه من الجري"². ويرى الطوفي أن التفسير تفعيل من فسرت النورة³، إذا نضحت عليها الماء، لتتحل أواخرها، وينفصل بعضها من بعض، وأن التفسير يفصل أجزاء المفسر بعضها من بعض، حتى يتأتى فهمه، والانتفاع به، كما أن النورة لا يأتيها الانتفاع بها إلا بتفصيل أجزائها بتفسيرها"⁴. ويرجع السيوطي اشتقاق كلمة التفسير إلى ثلاثة أقوال: الأول أنها "تفعيل" من الفسر، وهو البيان والكشف. الثاني أنها من مقلوب السفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاء. الثالث أنها من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

نستنتج أن التفسير - حسب التعريفات اللغوية السابقة - يرتبط بخمس وحدات لغوية وهي:

أولاً: التفسرة أي نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه.

ثانياً: التفصيل.

ثالثاً: كشف المغطى.

رابعاً: فسر النورة.

خامساً: فسر الفرس.

¹ - سورة الفرقان، الآية 33.

² - البحر المحيط، 26/1.

³ - النورة: الحجر الذي يحرق، ويسوى منه الكلس، ويخلق به الشعر، لسان العرب، مادة "نور".

⁴ - الإكسير: الطوفي، 1-2.

وكلها وحدات اللغوية، ترجع إلى معنى الإبانة، والكشف، والتوضيح.

ويراد بالتفسير في الاصطلاح: "شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه"¹.

واعتبره أبو حيان "علما يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك"².

فقولنا: "علم" هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هذا هو علم القراءات. وقولنا: "ومدلولاتها"، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية" هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب" شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالاته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهرة شيئاً، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا: "وتتمت لذلك"، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك"³.

لقد حسن السيوطي تعريف أبي حيان للتفسير، واعتبره أجود التعاريف، بقوله: "وأما التفسير في الاصطلاح، فللعلماء فيه عبارات وتعريفات، أحسنها، قول أبي حيان"⁴، أي تعريفه؛ لأن فيه مراعاة مقتضيات علم التفسير، والوظائف التي يتطلبها، عمل المفسر.

¹ - التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الكلبي، 15/1.

² - البحر المحيط، 26/1.

³ - البحر المحيط، 26/1.

⁴ - التعبير في علم التفسير، ص: 15.

ويرى الزركشي، أنه علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه¹. ويقول في موضع آخر: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيا ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعداها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وهذا الذي منع فيه القول بالرأي"².

ويقدم الزرقاني تعريفا ملخصا للتفسير في الاصطلاح يقول فيه: "علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية"³. وخرج بقوله: "يبحث فيه عن أحوال القرآن" العلوم الباحثة عن أحوال غيره، وخرج بقوله: "من حيث دلالاته على مراد الله تعالى" العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن من جهة غير جهة دلالاته، كعلم القراءات، فإنه يبحث عن أحوال القرآن من حيث ضبط ألفاظه، وكيفية أدائها ومثل علم الرسم العثماني، فإنه يبحث عن أحوال القرآن الكريم، من حيث كيفية كتابة ألفاظه. وخرج بهذه الحثية أيضا، المعارف التي تبحث عن أحوال القرآن، من حيث إنه مخلوق أو غير مخلوق، فإنها من علم الكلام وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن، من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها، فإنها من علم الفقه. وقوله: "بقدر الطاقة البشرية" لبيان أنه لا يقدر في العلم بالتفسير، عدم العلم بمعاني المتشابهات، ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر⁴.

¹ - البرهان في علوم القرآن، 13/1.

² - البرهان في علوم القرآن، 148/2.

³ - مناهل العرفان: الزرقاني، 3/2.

⁴ - مناهل العرفان: الزرقاني، 3/2.

تتفق هذه التعاريف، في كون التفسير علماً موصلاً إلى دلالة الآيات القرآنية، بإزالة المعنى المبهم عن النص، وإفادة المعنى المقصود، وما يتعلق بالجوانب العامة التي تدور خارج النص، باستحضار وسائل شرعية، وأخرى لغوية، تمثل أصولاً ضرورية، لاستكمال صورة التفسير. يتبين أن الفارق بين التفسير وأصوله، هو أن الأصول تعني المناهج التي تحد وتبين الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسير الآيات الكريمة، وأما التفسير فهو إيضاحها مع التقيد بهذه المناهج¹.

¹ - أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، ص: 30.

المبحث الثالث: أصول التفسير

أصول التفسير مكون إضافي، يساهم فيه المضاف إليه بإخراج المضاف من الشيع والذيع، وتطلق أصول التفسير على "القواعد العامة، التي ينبني عليها التفسير ويعتمدها.

وعلم أصول التفسير، هو العلم الذي يبين المناهج التي انتهجها، وسار عليها المفسرون الأوائل في استنباط الأسرار القرآنية، عند تعاملهم مع كتاب الله. فهو إذن، مجموعة من القواعد والأصول العامة التي تبين للمفسر طرق الاستنباط، وتكشف له مراتب الحجج والأدلة من آياته الكريمة، بحسب الطاقة البشرية¹، بمعنى أن أصول التفسير، هي تلك الأسس التي يقوم عليها تفسير كلام الله، ويرجع إليها عند الاختلاف فيه². ويدخل ضمن أصول التفسير كل ما يمكن أن يحكم خطة المفسر، ويحول بينه وبين الخطأ في الفهم والاستنباط، ويعينه على أداء مهمة التفسير على الوجه الأفضل³.

ومثل أصول التفسير بالنسبة للتفسير، كمثل علم النحو، بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فهو ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنعهما من الوقوع في الخطأ أواخر الكلم، فكذاك أصول التفسير هو ميزان للمفسر يضبطه، ويمنعه من الخطأ في التفسير، ليتبين التفسير الصحيح من التفسير الفاسد⁴.

لكن قد يراد بأصول التفسير ثلاثة معان:

-
- ¹ - أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمان العك، ص: 11.
 - ² - فصول في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، ص: 13.
 - ³ - التيسير في أصول التفسير: عماد علي عبد السميع حسين، ص: 10.
 - ⁴ - أصول التفسير وقواعده، ص: 30.

أ- قواعد التفسير .

ب- الفوائد المعينة على الفهم.

ج- مصادر التفسير¹.

من خلال هذه المعاني، يمكن تعريف أصول التفسير، بأنه علم يحدد مصادر التفسير لكتاب الله تعالى، ويضع قواعده، ويحدد شروط المفسر، لبيان الطريقة المثلى في التفسير، وفق مقاصد المفسر².

ويقسم الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه "دراسات في أصول التفسير"³، أصول التفسير إلى ثلاثة أقسام: أصول لغوية، وأصول نقلية، وأصول عقلية.

أ- **الأصول اللغوية:** وهي تلك القواعد اللغوية الكلية التي استمدها العلماء، مما تقرر عند أئمة اللغة العربية في دلالة الألفاظ والأساليب على المعاني.

وبما أن القرآن نزل بلغة العرب، كان لابد لفهمه من مراعاة مقتضى الأساليب في اللغة العربية، ومراعاة مصطلحاتها، وقواعدها، فبدون معرفة اللغة العربية وموضوعاتها، يستحيل الوصول الى المراد من كلام الله سبحانه.

ب- **الأصول النقلية:** وقد حددها الدكتور محسن عبد الحميد في ثلاثة أصول: القرآن، والسنة، وتفسير الصحابة.

¹ - ينظر علم أصول التفسير، محاولة في البناء: مولاي عمر بن حماد، ص: 36.

² - م. نفسه، ص: 54.

³ - أدت هذا التقسيم من مجموع صفحات كتاب "دراسات في أصول التفسير"، لمحسن عبد الحميد.

ج- القرآن الكريم: وهو أهم الأصول النقلية الأولى، التي يُعتمد عليها في التفسير؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ويوضح بعضه بعضاً. ولقد كان أبو حيان صريحاً في اعتماد هذا الأصل في التفسير، حين قرر أنه لا ينبغي أن يُعتمد إلا على ما صح في كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

د- السنة النبوية الصحيحة: وتعتبر السنة، الأصل النقلية الثاني من أصول التفسير؛ لأنه من المعلوم بالضرورة عند محققي علماء الأمة من المفسرين، والمحدثين، والفقهاء، والمتكلمين، أن السنة تفسر القرآن². وأن سنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد، ودليل على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله³.

ولم يُعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه:

➤ أحدهما: ما أنزل الله فيه نص كتاب، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب.

➤ الآخر: ما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبين عن الله معنى ما أراد، وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.

➤ الثالث: ما سن رسول الله، فيما ليس فيه نص كتاب⁴.

فالسنة تبين ما أجمل، أو أبهم في القرآن، مما لم يتبين في القرآن ذاته، وأن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

¹ - ينظر، البحر المحيط، 619/1.

² - دراسات في أصول التفسير، ص: 117.

³ - الرسالة: الشافعي، ص: 45.

⁴ - التفسير والمفسرون، ص: 54/1.

أَلَكِتَبَ بِالْحَقِّ لِيَتَحَكَّمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرِيكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُ لِلْحَآئِنِينَ حَصِيماً¹.
وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)².
ولقد ألفينا أبا حيان في البحر المحيط، شديد الاهتمام بهذا الأصل التفسيري، إذ كان حرصه منصبا على تطبيق القواعد المرتبطة بتفسير القرآن بالسنة والآثار.

ب- تفسير الصحابة: لأن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا أعلم الناس بكتاب الله وبتفسيره، فبلغتهم نزل، وقد عرفوها، وفقهوا ألفاظها، وأساليب تعبيرها، بالإضافة إلى ما شاهدوه من القرائن والأحوال، التي رافقت نزول الوحي، مما يجعل فهمهم أدق وأتم. من هذا اعتُبر تفسير الصحابة من الأصول النقلية الثابتة، التي يجب الرجوع إليها، حتى لا يجانب الصواب، لذلك ينبغي "النظر في تفسير الصحابي، فإن فسر من حيث اللغة، فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتمادهم، وإن فسر بما شاهد من الأسباب والقرائن، فلا شك فيه"³.

ج- الأصول العقلية: وتشكل أصلا ثابتا، يعتمد كل من أراد العبور إلى تقريب المراد من كلام الله جل في علاه، حيث أدرك العلماء بهذا الأصل كثيرا من حقائق القرآن، واستنبطوا أحكامه وحكمه. قال تعالى: (أَقْبَلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا)⁴ وقال سبحانه: (أَقْبَلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْبَالُهَا)⁽⁵⁾، "فإن الله جل ثناؤه من على العباد بعقولهم، فدلهم على الفرق بين المختلف، وهداهم السبيل إلى الحق"⁶.

¹ - سورة النساء، الآية 105.

² - سورة النحل، الآية 44.

³ - البرهان، 172/2.

⁴ - سورة النساء، الآية 82.

⁵ - سورة محمد، الآية 24.

⁶ - الرسالة، ص: 218.

لذلك كان التفسير العقلي، عبارة عن النتاج الفكري، الذي ينتج عن الاجتهاد في تفسير كتاب الله عز وجل، فإن كان مضبوطاً بأصول التفسير وقواعده، فهو الرأي المحمود، وإلا فهو المذموم¹.

وانطلاقاً من معنى أصول التفسير، وأقسامه نرى إمكانية تقسيمها إلى أصليين أساسيين، أصل شرعي، وأصل لغوي، واللذين يجعلهما أبو حيان طريقاً، يسهل عليه عملية الوصول إلى معنى اللفظ القرآني داخل سياقات متعددة.

ولقد نشأت أصول التفسير مقترنة بعلم التفسير، إذ لا يمكن التفسير، دون ضبط أصوله اللغوية، والشرعية، وقد جاء هذا ملاحظاً في عدم تصرفات الصحابة رضي الله عنهم، مع معاني القرآن، بدون علم، فقد سئل أبو بكر، وهو من أفصح قريش، عن الأب فقال أبو بكر: "أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم، وقرأ عمر سورة عبس، فلما بلغ الأب قال: الفاكهة قد عرفناها، فما الأب، ثم قال لعمر ك يا ابن الخطاب، إن هذا لهو التكلف. وروي عنه أيضاً، أنه قال: "آمنا به كل من عند ربنا"، وفي رواية قال: "فما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا. وما ذاك بجهل منهما لمعنى الأب، وإنما يحتمل -والله أعلم- أن الأب من الألفاظ المشتركة في لغتهما، فخشياً إن فسراه بمعنى من معانيه، أن يكون المراد غيره، ولهذا اختلف المفسرون في معنى الأب على سبعة أقوال، فقليل: ما ترعاه البهائم، وأما ما يأكله الآدمي فالحصيد، والثاني، التبن خاصة، والثالث، كل ما نبت على وجه الأرض، والرابع، ما سوى الفاكهة، والخامس، الثمار الرطبة، وفيه بعد؛ لأن الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة، ولا يقال أفردت للتفصيل إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو: (فِيهِمَا بَلَكَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)². والسادس أن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأب والسابع أنه للأنعام كالفاكهة للناس.

¹ - التيسير في أصول واتجاهات التفسير، ص: 14.

² - سورة الرحمان، الآية 67.

ويحتمل قول عمر في ما سبق وجهين، أحدهما، أن يكون خفي عليه معناه، وإن شهر، كما خفي على ابن عباس معنى فاطر السموات، والثاني، تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لا يعلم، كما كان يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شريككم، يريد الاحتراز، فإن من احترز قلت روايته¹. فقد كانوا "يتخرجون عن القول في القرآن بآرائهم"².

وفي عهد أواخر عهد بني أمية، وأول عهد العباسيين، كانت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين، حيث دونت السنة النبوية، وهي تضم بين جنباتها تفسيراً للقرآن الكريم، ومناهج تفسيره، ثم سرعان ما اتجه العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض، فأصبح لكل علم علماء ومصنفاته، ثم أخذ العلماء يضعون لكل هذه العلوم تفصيلات، تكون قواعد، وضوابط، وأصولاً، لإدراك تلك العلوم، فوضع علم أصول الفقه للفقه، وقواعد النحو للغة العربية... وقواعد علم التفسير للتفسير، حيث كان المفسرون، يضمنون مقدمات تفاسيرهم وفي غضونهما أهم تلك القواعد والأصول³.

ومن أهم المقدمات مقدمة الطبري، وكذلك القرطبي، ثم ظهرت مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، وكانت توجد أصول التفسير متناثرة في بطون كتب علوم القرآن، أما في العصر الحاضر، فقد كتب غير واحد من العلماء في أصول التفسير، جمعاً للمتناثر في القرآن تقريباً وتسهيلاً على الطلاب⁴.

وليس من السهل معرفة أول من دون قواعد علم التفسير، وضوابطه وأصوله، ولكن هذه القواعد، كانت حصيلة بحوث طويلة، قام بها العلماء الأفاضل، من عهد التدوين وبواكير زمن التصنيف، ونذكر هنا ما قام به الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة" التي تعتبر أول إخراج علمي في أصول الفقه، وقواعد التفسير، ففيها تحدث عن الكتاب والسنة ومراتب البيان، والناسخ والمنسوخ،

¹ - البرهان في علوم القرآن، 1/295.

² - مناهل العرفان، 2/57.

³ - أصول التفسير وقواعده، ص: 34.

⁴ - التيسير في أصول واتجاهات التفسير: عماد علي حسين، ص: 17.

والعموم والخصوص، والمجمل والمقيد، والأمر والنهي، وهي مباحث مشتركة بين أصول الفقه، وأصول التفسير¹. إذ لم يسبق أحد الإمام الشافعي، في تصانيف الأصول ومعرفتها².

وتتحدد أهمية أصول التفسير، في كونه يضبط الطرق التي يتم بها تحصين العلم بالقرآن، والدفاع عنه برد شبه الطاعنين، ويساعد على معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن، وما يقبل منها وما يرد، وعلى ضبط سبل الاطلاع على جهود العلماء السابقين، للمحافظة على القرآن لفظاً ومعنى، والاقتراء بهم والسير على نهجهم³.

¹ - ينظر أصول التفسير وقواعده، ص: 35.

² - م. نفسه، ص: 35.

³ - بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد الرومي، ص: 12.

الفصل الثاني
الأصول الشرعية
في
تفسير البحر المحيط

المبحث الأول: الأصل الأول القرآن

1- منهج أبي حيان في اعتماده أصل القرآن.

يعتبر بيان القرآن بالقرآن، من أجل أنواع التفسير، وأفضلها، إذ القرآن يفسر بعضه بعضا، فما أجمل في مكان، وبين وفسر في مكان آخر¹. وكان أبو حيان صريحا في اعتماد هذا الأصل في التفسير، حين قرر أنه لا ينبغي أن يعتمد إلا على ما صح في كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم².

ويتلخص منهج أبي حيان في هذا الجانب، في كونه يعتني بتوضيح معنى آية بمعنى آية أخرى، أو يشرح معاني المفردة أو المفردات القرآنية بمفردة أخرى، أو يبين ما أجمل في آية بآية أخرى؛ لأنه قد يتردد المعنى بين محامل كثيرة، يتساوى بعضها مع بعض، ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة أو إجماع الأمة. ففي شرحه مفردة قرآنية بمفردة أخرى توضحها وتبينها، ما جاء في قوله تعالى: (فَلِالرُّوحِ مِمَّنْ أَمَر رَبِّي)³. "ومعنى من أمر ربي: فعل ربي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها، والأمر بمعنى الفعل وارد، قال تعالى: (وَمَا أَمْرٌ إِلَّا فَرَعُونَ بِرَشِيدٍ)⁴ أي فعله"⁵.

¹ - البرهان في علوم القرآن، 175/2.

² - البحر المحيط، 619/1.

³ - سورة الإسراء، الآية 85.

⁴ - سورة هود، الآية 97.

⁵ - البحر المحيط، 107/7.

وفي قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَمِينَةٍ غَضْبًا)¹. يقول أبو

حيان: "ولا خلاف عند أهل العربية، أن "وراء" يجوز بمعنى "قدام"، وفي التنزيل قال تعالى: (مِّنْ

وَرَأَيْهِمْ جَهَنَّمُ)². وقال تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)³ وقال: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ

(⁴5.

2- القواعد التفسيرية المتعلقة بالقرآن.

أ- ترد بعض الآيات مجملة، ثم تبين في موضع آخر، أو في نفس الموضع.

فقد يشكل فهم الآية، لأن ما ذكر فيها مجمل، يحتاج إلى تبيين وتوضيح، إذ لا يكفي
المجمل وحده في العمل، بل يحتاج إلى بيان يصيره واضحاً، لكن بيان المجمل قد يكون متصلاً،
وهو الذي يقع فيه الاتصال بين المبيّن والمبيّن⁶.

ومن البیان بالمتصل ما ورد في قوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)⁷، إذ أن ظاهر قوله تعالى: (الْخَيْطُ

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) ، "أنه الخيط المعهود؛ ولذلك كان جماعة من الصحابة، إذا

¹ - سورة الكهف، الآية 79.

² - سورة الجاثية، الآية 10.

³ - سورة إبراهيم، الآية 17.

⁴ - سورة المؤمنون، الآية 100.

⁵ - البحر المحيط، 213/7.

⁶ - قواعد التفسير جمعاً ودراسة: عثمان السبب، 111/1.

⁷ - سورة البقرة، الآية 187.

أرادوا الصوم، ربط أحدهم في رجله خيطاً أبيض، وخيطاً أسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيناً له، إلى أن نزل قوله تعالى: (مِنْ أَلْبَجْرِ) ، فعلموا أنما عنى بذلك، من الليل والنهار¹. "واكتفى ببيان الخيط الأبيض عن بيان الخيط الأسود؛ لأن المقصود بالتبين الحكم من إباحة المباشرة والأكل والشرب، ولقلق اللفظ لو صرّح به، إذ كان يكون، حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر من الليل، فيكون من الفجر، بيانا للخيط الأبيض، ومن الليل، بيانا للخيط الأسود، ويكون من الخيط الأسود جاء فضلة فناسب حذف بيانه"².

ويتبين الإجمال الوارد في قوله: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ)³ بقوله: (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ)⁴. فالمثل في قوله "كمثل آدم"، مفسر بقوله: "خلقه من تراب" والمعنى: قدره جسداً من طين، ثم قال له كن، أي أنشأه بشراً⁵.

أما بيان المنفصل، فقد ورد في تفسير أبي حيان، لقوله تعالى: (أَجَلْتُ لَكُمْ بِهِيمَةً أَلَا تَنعَمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ)⁶. "إلا ما يتلى عليكم، هذا استثناء من بهيمة الأنعام، والمعنى إلا ما يتلى عليكم تحريمه، من نحو قوله: (حرمت عليكم الميتة). وقال القرطبي: ومعنى يتلى عليكم، يقرأ في القرآن والسنة، ومنه (كل ذي ناب من السباع حرام). وقال أبو عبد الله الرازي: ظاهر هذا الاستثناء مجمل، واستثناء الكلام المجمل من الكلام المفصل، يجعل ما بقي بعد الاستثناء مجملاً، إلا أن المفسرين أجمعوا على أن المراد من هذا الاستثناء، هو المذكور بعد هذه الآية، وهو قوله تعالى: (

¹ - البحر المحيط، 215/2.

² - البحر المحيط، 218/2.

³ - سورة آل عمران، الآية 59.

⁴ - سورة آل عمران، الآية 59.

⁵ - البحر المحيط، 186/3.

⁶ - سورة المائدة، الآية 1.

حَرِّمْتُ عَلَيْكُمْ) إلى قوله (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)¹². فالمذكورات في هذه الآية الكريمة كالموقودة والمتردية، وإن كانت من الأنعام، فإنها تحرم بهذه العوارض³.

وقد تتضمن الآية الواحدة بيانين، متصل، ومنفصل، كما في قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)⁴. فالمقصود بالذين أنعم الله عليهم، هم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، كما أن هذه الآية مبينة، في مجموعها، لما أجمل في قوله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)⁵. قال أبو حيان: "وقوله: مع الذين أنعم الله عليهم، تفسير لقوله تعالى، صراط الذين أنعمت عليهم، وهم من ذكر في هذه الآية، والظاهر أن قوله تعالى من النبيين، تفسير لقوله تعالى: الذين أنعم الله عليهم، فكأنه قيل: من يطع الله ورسوله منكم، ألحقه الله بالذين تقدمهم، ممن أنعم عليهم"⁶ب- يأتي الأمر مبهما في موضع، ثم يتبين المراد منه في موضع آخر.

وذلك مثل قوله تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ)⁷ أي وإن أردت الحكم بالقسط، أي بالعدل، كما تحكم بين المسلمين.

¹ - سورة المائدة، الآية 3.

² - البحر المحيط، 4/159.

³ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، 1/326.

⁴ - سورة النساء، الآية 69.

⁵ - سورة الفاتحة، الآية 7.

⁶ - البحر المحيط، 3/699.

⁷ - سورة المائدة، الآية 42.

والقسط: هو المبين في قوله تعالى: (وَأَنْ حَكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)¹

وهو صلى الله عليه وسلم، لا يحكم إلا بالعدل، لأنه معصوم من اتباع الهوى، وفيه حث على توخي القسط وإنشاره، حيث ذكر الله أنه يحب من اتصف به².

وأفاد الأمر معنى الخبر، في قوله تعالى: (فَلْيُلْفِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)³. قال أبو حيان:

فليلقه أمرٌ معناه الخبر، وجاء بصيغة الأمر مبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها، ومن حيث خرج الفعل مخرج الأمر، حسن جوابه كذلك، وهو قوله: يأخذه⁴.

ج- القول الذي تؤيده آيات قرآنية، مقدم على ما عدم ذلك.

قد يختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله، ويكون أحد الأقوال مؤيدا بآية، أو آيات أخرى من القرآن الكريم، إذ هو أولى الأقوال بحمل الآية عليه؛ لأن تقوية القرآن له، يدل على صحته واستقامته، وكونه أقرب في تفسير كلام الله تعالى إلى الصدق والصواب⁵.

وقد وظف أبو حيان هذه القاعدة في تفسيره قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ)⁶.

إذ ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالروح، الروح التي تسري في الجسد، وهي من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا رب البرية، وحجتهم في ذلك، ما أخرجه الطبري، من طريق العوفي، عن ابن عباس، أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: "أخبرنا عن الروح؟ وكيف تعذب الروح التي

¹ - سورة المائدة، الآية 49.

² - البحر المحيط، 265/4.

³ - سورة طه، الآية 39.

⁴ - البحر المحيط، 331/7.

⁵ - قواعد الترجيح المتعلقة بالنص، عند الطاهر ابن عاشور، ص: 154.

⁶ - سورة الإسراء، الآية 85.

في الجسد؟ وإنما الروح من الله عز وجل، فنزلت الآية...¹. ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَبَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا)². فقد اختلف العلماء في المراد بلفظة الإنسان الواردة في الآية على أقوال:

- أن المراد بالإنسان شخص بعينه، وهو الوليد بن المغيرة، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما.

- أن المراد جنس الكافر، لدلالة السياق عليه، فالكافر يعمل على شاكلته، أي أن الكفار بهذه الأوصاف والمؤمنون بخلافها، وكل يعمل على ما يليق به.

- أن المراد نوع الإنسان، من شأنه أنه إذا فاز بمقصوده، ووصل إلى مطلوبه، اغتر، وصار غافلاً عن عبودية الله، متمرداً عن طاعة الله، كما قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ رءاه استغنى).

ورجح أبو حيان، أن المقصود بلفظ الإنسان هنا، هو جنس الإنسان لذلك قال: "والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه، بل المراد الجنس كقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)³. وقوله: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا)⁴ وهو راجع لمعنى الكافر"⁵.

¹ - ينظر ترجيحات أبي حيان، ص: 364.

² - سورة الإسراء، الآية 83.

³ - سورة العاديات، الآية 6.

⁴ - سورة المعارج، الآية 19.

⁵ - البحر المحيط، 105/7.

فالإنسان هنا جنس، باعتبار بعض أفرادهِ، وهم الكفار، وليس المراد به فرداً بعينه، لأن الآيات القرآنية لا تعضده، بل يعضد القول الأول، وهو أولى من غيره، مما عدم ذلك.

وفي قوله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا)¹. يرجح أبو حيان أن يكون الدعاء هنا حقيقة، أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم، وهو النفخة الأخيرة، كما قال تعالى: (يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ)². فهذا القول مقدم؛ لأن الآيات تؤيده³.

وفي قوله تعالى: (وَلَفَدْ خَلْفَنَا أَلَانَسَرَ مِنْ صَلَاحٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ)⁴. اختلف المفسرون في تفسير "صلصال" فذهب بعضهم إلى أنه الطين اليابس، الذي لم تصبه النار، إذا نقر يسمع له صلصلة، ومنهم من قال بأنه الطين المنتن⁵. ورجح أبو حيان، أنه الطين اليابس الذي يشبه الفخار، إذ يرى أنه لا منافاة في تلك المادة البعيدة، وهي التراب ثم ما يليه، وهو الطين، ثم ما يليه، وهو الحمأ المسنون، ثم المادة التي تلي الحمأ، وهو الصلصال، واستشهد على هذا بقوله تعالى: (خَلْفَهُ مِنْ تُّرَابٍ)⁶. وقوله تعالى: (مِّنْ صَلَاحٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ)⁷.

د- إذا وقع الإجمال من جهة الاشتراك في اللفظ في موضع، فإنه يبين في موضع آخر.

¹ - سورة الإسراء، الآية 52.

² - سورة ق، الآية 41.

³ - البحر المحيط، 63/7.

⁴ - سورة الحجر، الآية 26.

⁵ - ينظر، جامع البيان: الطبري، 95/17. والنكت والعيون: الماوردي، 157/3.

⁶ - سورة آل عمران، الآية 59.

⁷ - سورة الحجر، الآية 26.

أقسام الإجمال - كما أشار إليها الإمام الشنقيطي - ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: الاشتراك في الاسم.

- النوع الثاني: الاشتراك في الفعل.

- النوع الثالث: الاشتراك في الحرف¹

أما الاشتراك في الاسم، ففي قوله تعالى: (وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)². قال أبو

حيان: "والعتيق القديم، قاله الحسن وابن زيد، والمعنى من الجبابرة، قاله ابن الزبير، وابن أبي نجيح، وقتادة، أو المحرر لم يملك موضعه قط، قاله مجاهد، أو المعنى من الطوفان قاله مجاهد أيضا وابن جبير، أو الجيد، من قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير، أو الذي يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب"³.

الملاحظ أن لفظ العتيق، في هذه الآية، قد أطلق على معان عدة، لا يتبين المراد منها، إلا

بقوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَرَّكَاً)⁴. مع أن المعاني الأخرى صادقة عليه⁵.

¹ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، 1/13، 12، 11، 10.

² - سورة الحج، الآية 29.

³ - البحر المحيط، 7/503.

⁴ - سورة آل عمران، الآية 96.

⁵ - قواعد التفسير جمعا ودراسة: عثمان السبت، ص: 113.

وأما الاشتراك في الفعل ففي قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ)¹، فقد نقل أبو حيان عن الفراء: "عسعس الليل وعشش، إذا لم يبق منه إلا القليل، وعن الخليل: عسعس الليل: أقبل وأدبر. قال المبرد: من الأضداد"². فلفظ عسعس، فعل مشترك بين إقبال الليل وإدباره، وقد ورد الإقسام بإقباله، في قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)³. وقوله: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا)⁴. كما جاء الإقسام بإدباره، في قوله: (وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ)⁵.

والذي يظهر أن لفظ عسعس ثلاثة تأويلات: أحدها: أظلم. الثاني: إذا ولى الثالث: إذا أقبل. لكنه يطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وعلى ظلامه لاستكمال امتلائه⁶. إلا أن أبا حيان حمل لفظ "عسعس" على المعنيين، أي على الإقبال والإدبار.

أما الاشتراك الواقع في الحرف، ففي قوله تعالى: (حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً)⁷. حيث وقع قوله تعالى: "وعلى سمعهم" بين شيئين، يمكن أن يكون السمع محكوما عليه مع كل واحد منهما، إذ يحتمل أن يكون أشرك في الغشاوة، بينه وبين الأبصار، لكن حملة على الأول أولى للتصريح بذلك في قوله: (وَحَتَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ)

¹ - سورة التكويد، الآية 17.

² - البحر المحيط، 413/10.

³ - سورة الليل، الآية 1.

⁴ - سورة الشمس، الآية 4.

⁵ - سورة المدثر، الآية 33.

⁶ - النكت والعيون: الماوردي، 217/6.

⁷ - سورة البقرة، الآية 7.

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً¹. وتكرير حرف الجر، يدل على أن الختم ختمان أو على التوكيد، إن كان الختم واحدا فيكون أدلّ على شدة الختم².

فقوله تعالى: "وعلى سمعهم"، يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله، ويحتمل أن يكون للاستئناف، ولكنه في سورة الجاثية، بين تعالى أن قوله هنا، "وعلى سمعهم" معطوف على قلوبهم، وأن على أبصارهم جملة مستأنفة مبتدأ وخبر، فيكون الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار³.

وقد يلحق الإبهام اسم جنس مجموع، كما في قوله تعالى: (فَتَلَفَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)⁴. قال أبو حيان: "واختلفوا في تعيين تلك الكلمات على أقوال، وقد طولوا بذكرها، ولم يخبرنا الله بها إلا مبهمّة، ونحن نذكرها كما ذكرها المفسرون. قال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، ومجاهد، وابن كعب، وعطاء الخرساني والضحاك، وعبيد بن عمر وابن زيد هي: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁵6.

وقد يكون الإبهام في معنى الحرف، كما في قوله تعالى: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)⁷. إذ "الظاهر أن قوله رزقناهم، عام في الزكاة، ونوافل الصدقات وصلات الرحم، وغير ذلك من

¹ - سورة الجاثية، الآية 23.

² - البحر المحيط، 81/1.

³ - قواعد التفسير جمعا ودراسة، ص: 114.

⁴ - سورة البقرة، الآية 37.

⁵ - سورة الأعراف، الآية 23.

⁶ - البحر المحيط، 267/1.

⁷ - سورة البقرة، الآية 3.

المبار المالية، وقد خص ذلك جماعة من المفسرين بالزكاة لاقتربانها بالصلاة¹. وفي قوله تعالى: (وَأَنْهَبُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ)². ينقل أبو حيان قول الجمهور من أن المراد: الزكاة، وقيل: عام في المفروض والمندوب³. ففي هذه الآية الكريمة الأمر بالإنفاق من بعض ما رزقهم⁴؛ لأن لفظة "من" هنا للتبعض، وهذا البعض المأمور به مبهم هنا، وقد جاء مبيناً في قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَبَوُ)⁵. والعفو هو الشيء الزائد عن الحاجة الضرورية⁶

هـ - العدول عن ظاهر القرآن ممنوع إلا بدليل:

أي أن الأصل في النص القرآني حمله على ظاهره، وتفسيره حسب ما يقتضيه ظاهر لفظه، ولا يصح الميل بألفاظ القرآن عن ظاهرها، إلا بدليل واضح، يستوجب الرجوع إليه، فغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام، إلى باطن لا دلالة على صحته⁷ وهذا ما تقرر في علم أصول الفقه⁸.

ويثبت أبو حيان هذه القاعدة في تفسيره قوله تعالى: (بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ)⁹. إذ الظاهر لديه "أن الضمير في تأتيتهم، عائد على

¹ - البحر المحيط، 271/5.

² - سورة المنافقون، الآية 10.

³ - البحر المحيط، 184/10.

⁴ - أضواء البيان، 193/8.

⁵ - سورة البقرة، الآية 219.

⁶ - قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص: 116.

⁷ - جامع البيان، 15/1.

⁸ - قواعد الترجيح عند المفسرين، ص: 137.

⁹ - سورة الأنبياء، الآية 40.

النار، وقيل: على الساعة التي تصيرهم إلى العذاب، وقيل: على العقوبة¹. وكذلك جعل الضمير عائداً على مترفيهم، في قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ²) مستندا إلى ظاهر النص، وفي هذا يقول: "والظاهر أن الضمير في إذا هم عائداً على مترفيهم، إذ هم المحدث عنهم، صاحوا حين نزل بهم العذاب، وقيل: يعود على الباقيين بعد المعذبين، قال ابن جريج: المعذبون قتلى بدر، والذين يجأرون أهل مكة، لأنهم ناحوا واستغاثوا"³.

وورد التفسير بظاهر القرآن، وعدم الالتفات إلى غيره، ما لم يرد دليل، يستوجب ذلك، في كثير من مواطن تفسير أبي حيان⁴.

فكل لفظ احتمل معنيين فهو قسمان: أحدهما: أن يكون أحدهما أظهر من الآخر، فيجب الحمل على الظاهر، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي، دون الجلي، فيحمل عليه⁵.

وفي قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)⁶. قال أبو حيان: "ونسبة التسبيح للسموات والأرض، ومن فيهن من ملك وإنس وجن، حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة، وأن

¹ - البحر المحيط، 432/7.

² - سورة المؤمنون، الآية 64.

³ - البحر المحيط، 572/7.

⁴ - م. نفسه، 138/1. 176/1. 199/1. 67/2. 68/2. 30/3. 285/3 هذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

⁵ - البرهان في علوم القرآن، 167/2.

⁶ - سورة الإسراء، الآية 44.

من لا حياة فيه ولا نمو، يحدث له الله نطقاً، وهذا هو ظاهر اللفظ، ولذلك جاء "ولكن لا تفقهون تسبيحهم"¹.

¹ - البحر المحيط، 54/7.

المبحث الثاني: الأصل الثاني السنة والآثار.

1- منزلة السنة من القرآن.

لما نزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أمره الله عز وجل بتبليغ ألفاظه ومعانيه، فقال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)¹. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فكل ما نطق به صلى الله عليه وسلم، هو وحي من الله، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه»².

فالسنة تبين ما أجمل أو أبهم في القرآن، مما لم يتبين في القرآن ذاته، وأن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا)³. وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)⁴.

2- صور بيان السنة للقرآن.

ولقد جاء بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن على صفات عدة منها:

¹ - سورة المائدة، الآية 67.

² - أخرجه أبو داود في السنن برقم 4604 في كتاب السنة، وأحمد في المسند، 131/4.

³ - سورة النساء، الآية 105.

⁴ - سورة النحل، الآية 44.

أ- أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسرة:

كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وَدَّآ)¹. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله عبدا

نادى: يا جبريل إني أحببت فلانا فأحببه قال فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل

الأرض»، فذلك قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وَدَّآ)، وإذا أبغض الله عبدا نادى يا جبريل: إني أبغضت فلانا، فينادي في السماء، ثم تنزل له

البغضاء في الأرض².

ب- أن يذكر الآية المفسرة ثم يذكر تفسيرها:

مثاله قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ)³.

فعن أبي علي ثمامة بن شفي، أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي،

ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»⁴.

¹ - سورة مريم، الآية 96.

² - رواه الترمذي في السنن، 317/5 برقم 3161.

³ - سورة الأنفال، الآية 60.

⁴ - السنن الكبرى: البيهقي، 22/10.

ج- أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية:

كما في قوله: (وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)¹. فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤتى بهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها².

د- أن يتأول فيعمل بما في الآية من أمر:

كما في قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ)³. فعن عائشة رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) إلا يقول فيها، سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي.

وفي رواية عند البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»⁴. ولقد ألفينا أبا حيان في البحر المحيط، شديد الاهتمام بهذا الأصل التفسيري، إذ كان حرصه منصبا على تطبيق القواعد المرتبطة بتفسير القرآن بالسنة والآثار.

¹ - سورة الفجر، الآية 23.

² - رواه الترمذي في سننه، 704/4، رقم 2573.

³ - سورة النصر، الآية 3.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، 163/1، رقم 817.

3- القواعد المتعلقة بالسنة والآثار.

أ- إذا صح التفسير من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجب المصير إليه.

بمعنى أنه قد تأتي بعض الآيات غير واضحة الدلالة، لأنها تحتل مدلولات عديدة، ثم تأتي السنة لتبين دلالة الآية. وفي هذه الحالة، إذا عرف تفسير الآية وما أريد بها من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم¹. الأمر الذي يتيح إمكانية ترجيح التفسير بالسنة على غيره من التفاسير باللغة، ويعبرون عن هذه القاعدة بقولهم: بيان الشرع لألفاظه وتفسيره لها مقدم على أي بيان².

ومما جاء بيانه بالسنة النبوية الصحيحة، وثبت تفسيره من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)³. حيث اختلفت أقوال المفسرين حول المقصود بالأرض المذكورة في الآية، فذهب بعضهم إلى أنها الأرض كلها، ورأى البعض الآخر أنها أرض مكة⁴.

ونذكر أبو حيان حديثاً عن ابن سابط، مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبين أنه إن صح هذا الحديث، لم يعدل عنه"، وهذا يتوافق والقاعدة التي ذكرنا سابقاً، بمعنى أن أبا حيان، يقر برفض التفسير غير المعتمد على الحديث الصحيح.

¹ - مجموع الفتاوى: ابن تيمية، 27/13.

² - قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص: 149.

³ - سورة البقرة، الآية 30.

⁴ - النكت والعيون: الماوردي، 94/1. البحر المحيط، 226/1.

وفي قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبْتِيهِ لَا أَفْرَحُ حَتَّى أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)¹. قال أبو حيان: "موسى المذكور في الآية: هو موسى بن عمران عليه السلام، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره، ومن ذهب إلى أنه غيره، فقول لا يصح، بل الثابت في الحديث الصحيح² وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل³.

وفي قوله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)⁴. قال أبو حيان: "والباقيات الصالحات" قال الجمهور: "هي الكلمات المأثور فضلها "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقال ابن عباس وابن جبير وأبو عمر وابن شريحيل: هي الصلوات الخمس، وعن ابن عباس، أنه كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة، وقول الجمهور مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁵.

¹ - سورة الكهف، الآية 60.

² - ثبت هذا في حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، 35/1.

³ - البحر المحيط، 198/7.

⁴ - سورة الكهف، الآية 46.

⁵ - البحر المحيط، 186/7.

وفي قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)¹. يقول أبو حيان: "وبياض الوجوه

عبارة عن إشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله، قال الزجاج: "ويحتمل عندي أن تكون من آثار الوضوء، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أنتم الغر المحجلون من آثار الوضوء»².

وفي قوله تعالى: (بَاءٌ وَلَآئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ)³، قال أبو حيان: "عسى:

كلمة إطماع وتوجيه، وأتى بها، وإن كانت من الله واجبة، دلالة على أن ترك الهجرة صعب، لا فسحة فيه، حتى إن المضطر البين الاضطرار، من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفو عني، وقيل: معنى ذلك أنه يعفو عنه في المستقبل، كأنه وعدهم غفران ذنوبهم. كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»⁴.

ففي مجموع هذه النقول، يتبين أن أبا حيان، كان حريصا على ألا يقبل تفسيراً لآية مخالفا للسنة النبوية، حتى ولو كان لغويا، وأن تفسير السنة النبوية، يأتي على ألوان شتى، إما لبيان لفظ مبهم، كما في لفظ "الأرض" ولفظ "موسى" ولفظتي "الباقيات الصالحات"، أو لتوضيح حكم فقهي، كما في قوله تعالى: (فلم تجدوا ماء فتيمموا) حيث اختلف في كيفية التيمم، لأنه غير مبين في القرآن إذ نقل أبو حيان أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مبينة ما تطرق إليه الاحتمال في الآية من محل المسح وكيفية⁵.

وأيد أبو حيان مذهب الشعبي في أنه يمسح كفيه فقط، وأشار إلى أنه ينبغي أن يذهب إليه لصحته في الحديث. ففي صحيح مسلم من حديث عمار: "إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك

¹ - سورة آل عمران، الآية 106.

² - البحر المحيط، 292/3.

³ - سورة النساء، الآية 98.

⁴ - البحر المحيط، 43/4.

⁵ - ينظر، البحر المحيط، 656/3.

الأرض ثم تتفخ وتمسح بهما وجهك وكفيك"، وعنه في الحديث "وضرب بيده الأرض، فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه"، وللبخاري: "ثم أدناها من فيه، ثم مسح بهما وجهه وكفيه". وفي مسلم أيضا: "أما يكفيك أن نقول بيدك هكذا، ثم ضرب بيده الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه"¹. أو الترجيح بسبب النزول، كما في قوله تعالى: (وَإِنْ عَافَيْتُمْ بَعَاثِبُوا بِمِثْلِ مَا غُوفِيْتُمْ بِهِ)². قال أبو حيان "أطلق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري، وفي كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية، ولكن ما روى الجمهور أثبت"³.

أو لتضعيف أقوال غير ثابتة في السنة، كما في قوله: "وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بالشكل ولا بالنقط، والسند في معرفتها ضعيف والرواة مختلفون في قصصهم، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم، ولم يأت في الحديث الصحيح كيف ذلك ولا في القرآن، إلا ما قص تعالى علينا، من قصصهم"⁴.

فالقرآن يكتفي في بعض الأحيان، بذكر مواطن العبرة، دون الاشتغال بما لا نفع فيه، ولا سبيل إلى معرفة ما يدخل في أمور الغيب، ومما لا تعلق له بالأحكام التكليفية، كأمر بدء الخلق، وأخبار الأمم الماضية، وما لم يقع، كالبعث وصفة الجنة والنار ونحوها، فكل هذا لا يصح تفسيره باجتهادات لا دليل عليها أو بأخبار إسرائيلية الله أعلم بصحتها"⁵.

¹ - نفسه، 656/3.

² - سورة النحل، الآية 126.

³ - البحر المحيط، 613/6.

⁴ - نفسه، 143/7.

⁵ - عقود المرجان في قواعد المذهب الأمثل: أحمد سلامة أبو الفتوح، ص: 93. نقلا من كتاب قواعد

الترجيح المتعلقة بالنص عند الطاهر ابن عاشور، ص: 149.

ويزيد تفسير أبي حيان مكانة وقيمة، إكثاره من النقول عن الصحابة رضي الله عنهم، لعلمه بالمقام الذي كان يحظى به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسل، لأنهم شهدوا نزول القرآن، وشاهدوه من الأحداث التي ناسبت الآيات نزولها، لذلك كانوا أدرى بالفهم من غيرهم وهم أهل اللغة. وسواء فسر الصحابي القرآن من جهة ما شاهده من قرائن الأحوال، فإنه ينبغي الأخذ به ما لم يكن هناك مخالف من الصحابة، فحينئذ يتم الجمع، أو جاز الأخذ بما شاء في حق المقلد¹. وينقل أبو حيان التفسير عن كثير من الصحابة²، منهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن عمر وأنس ابن مالك، والبراء بن عازب.

ب- أن قول الصحابي، مقدم على غيره في التفسير، وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه.

مثال هذا قوله تعالى: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا)³. قال أبو حيان: "والشاهد، عبد الله

بن سلام، قاله الجمهور، وابن عباس والحسن وعكرمة، ومجاهد وقتادة وابن سيرين، والآية مدنية، وعن عبد الله بن سلام نزلت في آية من كتاب الله، نزلت في وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم، وقال مسروق الشاهد موسى عليه السلام لا ابن سلام، لأنه أسلم بالمدينة والسورة مكية، والخطاب في "وكفرتم" لقريش. وقال الشعبي: الشاهد من آمن من بني إسرائيل بالتوراة، لأن ابن سلام أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين، والسورة مكية. وقال سعد

¹ - البرهان في علوم القرآن، 189/2.

² - البحر المحيط، 421/1-422، 473، 583، 591، 609. 220/2، 255، 257. 181/4.

342/9. 258/5.

³ - سورة يوسف، الآية 24.

ابن أبي وقاص ومجاهد، وفرقة: الآية مكية، والشاهد عبد الله بن سلام، وهي من الآيات التي تضمنت غيبا أبرزه الوجود، وعبد الله بن سلام مذكور في الصحيح، وفيه بهت لليهود لعنهم الله¹.

لقد تعددت الأقوال في المراد بالشاهد في الآية الكريمة على ثلاثة أقوال:

- الشاهد عبد الله بن سلام.

- الشاهد موسى علسه السلام.

- الشاهد من آمن من بني إسرائيل.

ج- كل الدلالات الواردة عن الصحابة في التفسير صحيحة، تجعل تمثيلا

لا حصرا.

أي أنه قد يرد في القرآن بعض الألفاظ، فيفسرها صحابي، أو تابعي بدلالة معينة، تكون مختلفة عن غيره، فتكون دلالة الجميع صحيحة وتفسيرا؛ لأنه "يكثُر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير، بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده، أن في ذلك اختلافا، فيحكيه أقوالا وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى، ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه؛ لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو أنه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالبا، والمراد الجميع فليفتن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات، اختلاف المراتب².

ومما جاء على هذا، اختلاف أقوال الصحابة والتابعين في تفسير كلمة "الطاغوت" من قوله

تعالى: (بِمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْهِيصَامَ

¹ - البحر المحيط، 436/9.

² - البرهان في علوم القرآن، 159/2-160.

لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ¹. قال أبو حيان: «الطاغوت: الشيطان. قاله عمر، ومجاهد والشعبي، والضحاك، وقتادة، والسدي. أو الساحر قاله ابن سرين وأبو العالية، أو الكاهن قاله جابر، وابن جبير، ورفيع، وابن جريج أو ما عبد من دون الله ممن يرضى ذلك: كفرعون، ونمرود قاله الطبري، أو الأصنام قاله بعضهم»².

يرى أبو حيان أن مجموع ما ذكر من الأقوال في تفسير لفظ الطاغوت، ينبغي أن تجعل كلها تمثيلاً، لا أن الطاغوت محصور في كل واحد منها³.

¹ - سورة البقرة، الآية 256.

² - البحر المحيط، 617/2.

³ - البحر المحيط، 617/2.

المبحث الثالث: الأصل الثالث القراءات القرآنية.

1- القراءات القرآنية، النشأة، وشروط التحقيق.

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ، وقرأت الشيء قرآنا، جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا. وكل شيء جمعته، فقد قرأته وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه يجمع القصص، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض¹. قال ابن فارس: "القراءات جمع قراءة، ومعناه الجمع والاجتماع"². والقراءة مصدر، من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، فهو قارئ وهم قراء وقارئون³. وقد يطلق لفظ القارئ في العربية على العابد والناسك⁴. وفي مختار الصحاح، و"قرأ" الكتاب قراءة، وقرآنا، بالضم، وقرأ الشيء قرآنا بالضم أيضا جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور ويضمها⁵.

وتعرف القراءة في الاصطلاح، على أنها كيفية النطق بألفاظ القرآن⁶، ويرى ابن الجزري أنها العلم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا لناقله⁷. ويراد بها عند الزركشي، اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقل وغيرها⁸، ويقول القاضي

¹ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح عبد الغني، ص: 7.

² - معجم مقاييس اللغة، مادة " قرأ " .

³ - تاج العروس، الزبيدي، مادة " قرأ " .

⁴ - أساس البلاغة: الزمخشري، ص: 499.

⁵ - مختار الصحاح: محمد الرازي، مادة " قرأ " .

⁶ - البحر المحيط، 26/1.

⁷ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري، 9/1.

⁸ - البرهان في علوم القرآن، 318/1.

عبد الفتاح عبد الغني "وعلم القراءات هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله"¹.

ترشدنا هذه التعاريف إلى ضرورة التفريق بين القراءات، وعلم القراءات، فالقراءة هي مذهب من مذاهب النطق بالقرآن، فإذا ذهب إمام مذهباً مخالفاً لغيره في القراءة، فإن هذا المذهب سمي قراءة، لذلك يصح قولنا مذهب نافع، أي قراءة نافع، أما علم القراءات فهو: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن من حيث نطقها"، أي "كيفية النطق بألفاظ القرآن"، وكل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها، والإمالة، والروم، والإشمام، يدخل ضمن كفايات الأداء. ومن الملاحظ أنه تم توظيف مصطلح، الاتفاق، والاختلاف والكيفية، وكلها مصطلحات تدل على أن المعول عليه في علم القراءات، هو المشافهة، والأخذ بثقة عن ثقة.

وبناء على مبادئ الاختلاف، والاتفاق، والكيفية في القراءات القرآنية، صنف العلماء القراءة إلى أنواع فكان منها: القراءة المتواترة. والقراءة المشهورة. والقراءة الآحاد. القراءة الشاذة. والقراءة الموضوعية. والقراءة المدرجة².

فهذا التقسيم، يكون بحسب علاقة القراءة بشروط صحتها "فإذا فقدت القراءة القرآنية صحة السند، فهي مردودة باطلة، وإذا فقدت شرط موافقة العربية، ولو بوجه صارت ضعيفة، وإذا فقدت شرط موافقة رسم المصحف الإمام صارت شاذة"³.

¹ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، ص: 7.

² - نقل الإمام السيوطي هذه الأنواع عن ابن الجزري في كتابه: الإتيان في علوم القرآن، 132/1-133. وصبحي الصالح في كتابه: مباحث في علوم القرآن، ص: 256. وفهد الرومي في كتابه: دراسات في علوم القرآن، ص: 329.

³ - القراءات الشاذة في البحر المحيط: نافع الجبوري، وسحر أحمد محمد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 14، عدد 9، 2007، ص: 19.

وتعود نشأة علم القراءات، إلى بدايات نزول القرآن الكريم، إذ كلما تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم آية قرآنية، بواسطة الوحي، قرأها على صحابته الكرام، وكانت تلاوته بحروف شتى، فمنهم من أخذ عنه بحرف واحد، ومنهم من زاد على ذلك، حتى تفرقوا بعد ذلك في الأمصار، وهم على هذه الحال يقرءون القرآن بما سمعوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحروفه المختلفة.

إذ أصبح القرآن محفوظاً في الصدور بقراءاته، ثم عنى العلماء بتدوين القراءات بعد وضع الشروط، واعتبروها قرآناً، وكان المعول عليه في الجمع هو التلقي، والأخذ ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن المصاحف في بداية الأمر عمدة في الباب، بل كانت مرجعاً جامعاً للمسلمين على كتاب ربهم، خاصة إذا علمنا أنها لم تكن منقوطة ولا مشكولة، وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة¹.

وتتلخص المراحل الزمنية التي مرت منها القراءات القرآنية في ثلاثة مراحل:

1- مرحلة العهد النبوي: وهي مرحلة، تتميز بتلقي الرسول صلى الله عليه وسلم للوحي، وتلقي الصحابة الكرام القرآن عنه صلى الله عليه وسلم، وحفظ بعض الصحابة للقرآن عن ظهر قلب².

2- مرحلة عهد الصحابة: في هذه المرحلة، قتل عدد من الصحابة القراء، فخيف ذهاب القرآن، بذهاب حفظته، فجمع القرآن في مصحف واحد بجميع قراءاته³.

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، 412/1.

² - دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص: 316. ومعرفة القراء الكبار، ص: 20. والبرهان في علوم القرآن، 241/1.

³ - دراسات في علوم القرآن، ص: 316.

3- مرحلة التدوين والتأليف: وهي المرحلة، التي بدأ فيها التأليف في علم القراءات، فألف

أبو عبيد القاسم، وأبو حاتم السجستاني، وأبو جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي، وذكروا في القراءات شيئاً كثيراً، وعرضوا روايات تربي على أضعاف قراءة السبعة¹.

ولقد نال علم القراءات شرفه بشرف القرآن الكريم، والذي يعد رأس العلوم والمعارف الإسلامية، والمصدر الأول للتشريع، ويزداد شرف علم القراءات "بتناوله الأصول المطردة في القراءات من الوقف والابتداء، والإمالة، والفتح، والهمز، والتسهيل، والتفخيم والترقيق، ونحوها.

وتتحدد أهمية القراءات القرآنية فيما يلي:

- أنها تسهل وتخفف على الأمة، وترفع عنها الحرج

- أنها من أكبر الدلائل على صدق رسول الله، في تبليغه القرآن كما أنزل إليه.

- أن في تعددها كمال الإعجاز وجمال الإيجاز، إذ تعتبر كل قراءة بالنسبة إلى الأخرى بمنزلة

آية مستقلة، لأن تنوع المعاني تابع لتنوع الألفاظ². فقد يبنى على بعض القراءات حكم فقهي، أو يؤدي إلى استنباط هذا الحكم، ومن ذلك قراءة (وَلَا تَفْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ)³. مع (حتى

يطهرن)، لتفيد الجمع بين الحكمين المختلفين، فالحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر، بانقضاء الحيض، وتطهرُ بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما، في جواز القربان⁴.

¹ - مناهل العرفان، ص: 412.

² - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، 53/1.

³ - سورة البقرة، الآية 222.

⁴ - المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: أحمد مختار، ص: 25.

- أن القراءات منبع حصين، لمن أراد بلوغ القصد في تتبع المعاني، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ.

- أنها حفظت كثيرا من لغات العرب، ولهجاتهم من الضياع، لأنها استعملت أفصح ما عندهم، مما يجعل تنوعها مفيدا لأهل التفسير لكتاب الله تعالى¹.

- أن بعض القراءات يعتبر تفسيراً لغوياً لبعض الألفاظ، مما يكون له تأثير على المعنى وتيسير على الأمة في فهم اللسان العربي².

- أن القراءات تشكل مرجعا أصيلا، تحفظ فيه كثير من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية.. والتي لم تكن لتخلد من دون القراءات كظاهرة الهمز، والقلب، والإشمام، والروم... فكل الدراسات الشرعية واللغوية، تشكل القراءات أساسها وقاعدتها.

ونظرا للعلاقة التي تجمع بين القراءات القرآنية، واستنباط الأحكام، والحكم والقواعد اللغوية، ألفينا أهل الأندلس من المفسرين، أولوها عنايتهم، وأدرجوها ضمن اهتماماتهم، بذكر القراءات المتواترة وتوجيهها، والرد على منكريها.

قال أبو حيان: "وهذه قراءة متواترة، لا يمكن الطعن فيها، ويقرب إنكارها من الردة والعياذ بالله"³.

وللعلماء مقاييس دقيقة للقراءة القرآنية الصحيحة وهي:

¹- النشر في القراءات العشر، 53/1.

²- مناهل العرفان، 109/1.

³- البحر المحيط، 186/8.

1- موافقة العربية ولو بوجه، لأن القرآن نزل بلغة العرب، وسواء أكان الوجه أفصح أم فصيحاً مجعاً عليه أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم¹.

1- موافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً، فأي قراءة لا توافق رسم المصحف فإن الصحابة لا يعرفونها².

2- صحة السند بأن يروي القراءة العدل الضابط عن مثله، حتى تنتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذ بها بعضهم³.

2- مواقف أبي حيان من القراءات القرآنية:

نستخلص من تتبع صفحات البحر المحيط لأبي حيان مواقف متعددة، في تعامله مع القراءات القرآنية، وذلك فيما يلي:

*- أن أبا حيان يمنع الترجيح بين القراءتين المتواترتين "ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، لأن كلا منهما متواتر، فهما في الصحة على حد سواء"⁴. ويقول: "وقد تقدم لنا غير مرة أن لا ترجيح بين القراءتين المتواترتين"⁵.

¹ - النشر في القراءات العشر، 10/1.

² - م. نفسه، 10/1.

³ - النشر في القراءات العشر، 13/1.

⁴ - البحر المحيط، 321/1.

⁵ - م. نفسه، 4/455.

*- لا يرفض أبو حيان توظيف القراءة الشاذة، بل يذكرها، مع ما تستوجبه من توجيهات وفق علم العربية¹، فهو لا يتحفظ من القراءة الشاذة في كثير من المواضع من تفسيره، ومما جاء في ذلك ما ذكره في توجيه القراءة الشاذة والصحيحة، من قوله تعالى (وَمَا يُخْدِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)²3.

*- يرجح أبو حيان القراءة المتواترة على الشاذة، كما في قوله (يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ)⁴. إذ يرى أن: "قراءة الجمهور بالتشديد، أولى، لظهور تكرار الفعل، باعتبار متعلقاته، وقرأ الزهري وابن محيص يذبون خفيفا من ذبح المجرد اكتفاء بمطلق الفعل، وللعلم بتكريره من متعلقاته"⁵، وهذا ما قرره الزجاج وكذلك النحاس، في قولهما، والتشديد أبلغ لأن فيه معنى التكرير⁶.

*- يرى أبو حيان أن القراءة الشاذة المخالفة لرسم المصحف، ينبغي أن تحمل على التفسير، لا على القراءة، قال: "وحكوا أن عبد الله قرأ: فوسوس لهما الشيطان عنها، وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه، فينبغي أن يجعل تفسيراً، وكذا ما ورد عنه، وعن غيره مما خالف سواد المصحف"⁷.

¹- البحر المحيط 1/12.

²- سورة البقرة، الآية 9.

³- البحر المحيط، 1/93.

⁴- سورة البقرة، الآية 49.

⁵- البحر المحيط، 1/313.

⁶- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 1/131. وإعراب القرآن: النحاس، 1/52.

⁷- البحر المحيط، 1/260.

*- يكثر أبو حيان من ذكر القراءات الشاذة؛ لأنها "جاءت على لغة العرب، قياسها وشاذها"¹، لذلك كان يثني على ابن عامر، ويصفه بأنه عربي، لم يكن ليلحن، وأنه عربي صريح، أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن².

من خلال ما سبق، يصح اعتبار حقل القراءات القرآنية منهلاً خصباً، يتناول من خلاله أبو حيان كثيراً من المسائل الصوتية والصرفية، فقد كان الاهتمام بالقراءات، والاستفادة منها في تفسير القرآن وإظهار معانيه العظيمة واضحاً في تفسيره البحر المحيط، إذ جعل علم القراءات أحد العلوم التي يحتاج المفسر إلى معرفتها، ويعتبرها أصلاً مهماً من أصول التفسير، وفي هذا يقول: "الوجه السابع: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة، أو إتيان بلفظ بدل لفظ بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات³. فقد كان أبو حيان على علم تام برواية القراءات ودرايتها، وذلك بما حصل عليه من إجازات عالية، عن مشايخه، لذلك يقول: "ومثل هذا الإسناد عزيز الوجود، بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاثة عشر رجلاً"⁴. وقال أيضاً "وقد وقع لي في بعض القراءات، أن بيني وبين رسول الله، صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً، وذلك في قراءة عاصم، وهي القراءة التي ينشأ عليها أهل العراق، وهو إسناد أعلى ما وقع لأمثالنا"⁵.

فبالقراءات تعرف وجوه الأداء من زيادة ونقصان؛ ولذلك كان أبو حيان وفيما لعلم القراءات حريصاً على توظيفها في تفسيره، بوجهيها المتواتر والشاذ، فقد ورد عنه في المقدمة قوله: "ثم أشرع في تفسير الآية... حاشداً شاذها ومستعملها، ذاكرة توجيه ذلك في علم العربية"⁶.

¹- البحر المحيط، 508/10.

²- م. نفسه، 15/5.

³- البحر المحيط، 16/1.

⁴- البحر المحيط، 23/1.

⁵- م. نفسه 23/1.

⁶- البحر المحيط، 12/1.

3- القواعد المتعلقة بالقراءات في البحر المحيط:

لقد التزم أبو حيان بالقواعد التفسيرية المتعلقة بالقراءات القرآنية باعتبارها أصلاً من أصول التفسير، ومن ذلك:

أ- لا يجوز رد القراءة الصحيحة:

لأن كل قراءة وافقت العربية، ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يقبل ردها، ولا يحل إنكارها، فحين يستشهد أبو حيان بالقراءات لتثبيت معنى، أو لتقرير ظاهرة صوتية أو صرفية، فإنه ينقل آراء المفسرين في القراءة والقارئ، ويرد عليهم، عندما يخطئون قارئاً، ويرد على اللغويين كذلك إنكارهم للقراءات، ويوجهها التوجيه الصحيح محترماً قاعدة عدم جواز إنكار القراءة الصحيحة¹.

ومما ثبت عنه في هذا، قراءة لفظة أرني، من قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ)²، قرأ نافع وحمة والكسائي: أرني بكسر الراء، وابن كثير أرني ساكنة الراء، وروي عن أبي عمرو الإسكان والاختلاس، وروي عنه الإشباع كالباقيين³. وكذا في قوله تعالى: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)⁴، أنكر بعض الناس الإسكان، من أجل أن

¹ - أبو حيان النحوي: خديجة الحديثي، ص: 219.

² - سورة الأعراف، الآية 143.

³ - أنظر، معاني القراءات: الأزهرى، 1/178. والحجة للقراء السبعة، 2/225.

⁴ - سورة البقرة، الآية 127.

الكسرة، تدل على ما حذف، فيقبح حذفها، يعني أن الأصل كان "أَرَّه" فنقلت حركة الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة، فكان في إقرارها دلالة على المحذوف¹، لكن أبا حيان لم يقبل إنكارهم، ودافع عن قراءة الإسكان، فقال: "وهذا ليس بشيء؛ لأن هذا أصل مرفوض، وصارت الحركة كأنها حركة للراء"²، وعزز قوله بما ذهب إليه أبو علي الفارسي في قوله: "وما قاله هذا القائل، ليس بشيء، ألا تراهم أدغموا في "لكنَّا هو الله ربي" أي: أن الأصل لكن ثم نقلوا الحركة، وحذفوا ثم أدغموا، فذهاب الحركة في أرنا ليس بدون ذهابها في الإدغام، وأيضا فقد سمع الإسكان في هذا الحرف نصا عن العرب"³.

إن حجة أبي علي الفارسي في إثبات القراءة، ودفع إنكارها، هو ما سمع عن العرب، خلافا للزمخشري⁴، الذي أنكر القراءة، لأنه كان يرى أن القراءة اختيارية، تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء، بمعنى أنه يقدم القاعدة الموافقة لكلام العرب على ما ثبت في القراءة، فيقيس صحة القراءة بالقاعدة.

لكن أبا حيان، بقي وفيا لأصل عدم جواز إنكار القراءة الصحيحة، فيلفظ مذهب الزمخشري، ليس في المسائل الصوتية فحسب، وإنما في المسائل النحوية كذلك، ففي قوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)⁵. قرئت بالكسر⁶، فبعد أن نقل آراء المفسرين

¹ - البحر المحيط، 623/1.

² - م. نفسه، 623/1.

³ - الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 85/2.

⁴ - أنكر الزمخشري هذه القراءة، واعتبرها مستزلة، لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها،

فإسقاطها إجحاف. الكشاف للزمخشري، 188/1.

⁵ - سورة النساء، الآية، 1.

⁶ - الحجة للقراء السبعة، 121/3. والحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، 118/1. وحجة القراءات: ابن

زنجلة، 190/1.

في عطف المضمّر المجرور، والتي تتلخص بين الجواز، وعدم الجواز، اختار الجواز في القراءة، وفي الكلام مطلقاً، لأن "السمع يعضده، والقياس يقويه، ومن ادعى اللحن فيها، أو الغلط على حمزة، فقد كذب" ¹

صحيح ما ذهب إليه أبو حيان؛ لأن "القارئ بجر الميم، من قوله: "والأرحام"، هو حمزة، فهو إمام مجمع على جلالته، ومعقود على صحة روايته، وقراءته متواترة، موافقة لكلام العرب، وهي سنة متبعة، متلقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توقيفا، فلا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه، ولا مجال للاجتهاد في ذلك" ².

ب- لا تقبل القراءة إذا خالفت اللسان العربي:

مما اشترطه العلماء للقراءة المقبولة، أن يكون لها وجه شائع في العربية، فإذا خالفت ذلك الوجه، لا تقبل، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَفْهُمُونَ إِلَّا كَمَا يَفْهُمُ الَّذِينَ يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) ³.

فقد حكى أبو زيد أن بعضهم، قرأ بكسر الراء، وضم الباء، وواو ساكنة، وهي قراءة بعيدة، لأنه لا يوجد في لسان العرب اسم آخره واو قبلها ضمة، بل متى أدى التصريف إلى ذلك قلبت تلك الواو، وتلك الضمة كسرة، وقد أولت هذه القراءة على أنها على لغة من قال في أفعى أفعو في الوقف، وأن القارئ إما أنه لم يضبط حركية الياء أو سمى قربها من الضمة ضمّا" ⁴.

¹ - ينظر، البحر المحيط، 387/2.

² - البحر المحيط في الأصول: الزركشي، 215/2.

³ - سورة البقرة، الآية 275.

⁴ - البحر المحيط، 704/2.

واستبعد أبو حيان هذه القراءة، واعتبرها شاذة، مخالفة للشائع في العربية، وأن شذوذها يرجع إلى أمرين - كما نقل عن ابن جني - أحدهما: الخروج من الكسر إلى الضم بناء لازما. والآخر: وقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم. وهذا لم يأت إلا في الفعل نحو: يعزوا، ويدعو¹.

ج- إذا تواترت القراءات، لا يجوز ترجيح إحداها على الأخرى:

إذا كانت القراءتان متواترتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبو حيان لا يفاضل بينهما، لصحتهما وثبوتهما معا، إذ لم يقبل أن يقال هذه قراءة أجود من هذه. قال أبو جعفر النحاس: "السلامة عند أهل الدين - إذا صحت القراءتان - ألا يقال: إحداها أجود؛ لأنهما جميعا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا"².

ففي تفسير قوله تعالى: (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ يَذِيقُ رَحْمَةً)³ قال أبو حيان - بعد أن ذكر القراءتين المتواترتين في لفظة يصرف، حيث قرئت يَصْرِفُ/يُصْرِفُ⁴ - "تكلم المعربون في الترجيح بين القراءتين على عادتهم، فاختر أبو عبيد، وأبو حاتم، وأشار أبو علي⁵ إلى تحسينه، قراءة يَصْرِفُ، مبنيًا للفاعل، لتناسب "فقد رحمه"، ولم يأت "فقد رُجم"، ويؤيده قراءة عبد الله وأبي، من يصرف الله، ورجح الطبري⁶ قراءة يُصْرِفُ مبنيًا للمفعول، قال: لأنهما أقل إضمارا، قال ابن

¹ - البحر المحيط، 713/2. والمحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، 142/1.

² - إعراب القرآن: النحاس، 43/5.

³ - سورة الأنعام، الآية 16.

⁴ - معاني القراءات: الأزهرى، 345/1. وحجة القراءات: ابن زنجلة، 242/1.

⁵ - الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 285/3.

⁶ - جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، 286/11.

عطية: "فأما مكي ابن أبي طالب فتخطب في كتاب الهداية، في ترجيح قراءة فتح الياء، ومثل في احتجاجه بأمثلة فاسدة، وقد تقدم لنا غير مرة، أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين"¹، وحكى أبو عمر الزاهد في كتاب "اليواقيت" وقال "قال ثعلب من كلام نفسه: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة، لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام كلام الناس، فضلت الأقوى، ونعم السلف لنا، أحمد بن يحيى، كان عالماً بالنحو واللغة متديناً ثقة"².

فأبو حيان يقبل قراءة يصرف بوجهيها، البناء للمفعول، فيكون الصارف هو الله تعالى، فحذف للعلم به، أو للإيجاز، إذ تقدم ذكر الرب، ويجوز في هذا الوجه، أن يكون الضمير في يَصْرِف، عائداً على مَنْ، وفي عنه عائداً على العذاب، أي أيُّ شخص يصرف عن العذاب، ويجوز أن يكون الضمير في عنه، عائداً على مَنْ، والضمير في يُصْرِف، عائداً على العذاب؛ أي، أيُّ شخص يُصْرِف العذاب عنه³.

فالضمير في يصرف، إما أن يكون عائداً على "مَنْ" أو على العذاب.

والضمير في "عنه"، إما أن يكون عائداً على العذاب، أو على "من".

وعلى البناء للفاعل، يكون الضمير في من يَصْرِف، عائداً على الله، وفي عنه عائداً على العذاب، والضمير المستكن في رحمه، عائداً على الرب، أي أيُّ شخص يصرف الله عنه العذاب، فقد رحمه الرحمة العظمى، وهي النجاة من العذاب⁴.

¹ - المحرر الوجيز: ابن عطية، 274/2.

² - البحر المحيط، 455/4.

³ - البحر المحيط، 454/4.

⁴ - البحر المحيط، 454/4.

فباستحضار القراءتين، وعدم الترجيح بينهما، يكون أبو حيان غير مغيب للمعنى الكامل للآية.

ويرفض أبو حيان الترجيح بين القراءتين للفظـة "واعدنا"¹ من قوله تعالى: (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)². إذ يحتمل أن يكون "واعدنا"، بمعنى "وعدنا"، ويكون صدر من واحد، ويحتمل أن يكون من اثنين، فبعد أن نقل أبو حيان ترجيح أبي عبيدة قراءة "وعدنا" بغير ألف، وموافقة أبي حاتم ومكي له - لأن المواعدة في اعتبارهم، لا تكون إلا من المخلوقين المتكافئين كل منهما يعد صاحبه — رأى أنه لا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى؛ لأن كلا منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء³.

كما ذهب إلى أن قراءة "نُنْشِرُهَا" من قوله: (نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)⁴ قراءة متواترة، ولا وجه لقراءة الزاي عليها؛ لأنهما بنفس الرتبة، فلا تكون قراءة الزاي أولى⁵.

د - اختلاف القراءات في الألفاظ، يكثر المعاني في الآية الواحدة:

معناه أن الآية الواحدة، تكسب معاني جديدة، باختلاف القراءات في الألفاظ، إذ تصبح القراءات بمنزلة الآية المستقلة، لذلك تعامل أبو حيان بهذا الأصل، واعتبره ذا مزية في التفسير؛ لأن "اختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولهذا بنى العلماء نقض وضوء

¹ - معاني القراءات: الازهري، 149/1. وحجة القراءات: ابن زنجلة، 96/1. والبحر المحيط، 321/1.

² - سورة البقرة، الآية 51.

³ - البحر المحيط، 321/1.

⁴ - سورة البقرة، الآية 259.

⁵ - البحر المحيط، 638/2. وينظر في هذا معاني القراءات، 122/1. وحجة القراءات: ابن زنجلة،

144/1. والحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 379/2.

الملموس وعدمه، على اختلاف القراءة في لمستم/ ولامستم، وجواز وطء الحائض عند الانقطاع، قبل الغسل وعدمه، على الاختلاف في يطهرن، وقد حكوا غريبا في الآية¹. كما "أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة، كان لهما حكم الآيتين، كما هو معروف عند العلماء"².

ففي قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)³. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: "كُذِّبُوا" مشددة الذال، وقرأ عاصم، وحزمة والكسائي، "كُذِّبُوا" خفيفة، وكلهم ضمَّ الكاف⁴.

فالضمائر على قراءة التشديد عائدة كلها على الرسل، والمعنى أن الرسل أيقنوا أنهم كذبهم قومهم المشركون، أما على قراءة التخفيف، فالضمير عائد على المرسل إليهم، لتقدمهم في الذكر في قوله: (كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)⁵، ولأن الرسل تستدعي مرسلًا إليهم، والمعنى وظن المرسل إليهم، أن الرسل قد كذبهم من ادعوا أنه جاءهم بالوحي عن الله وبنصرهم، إذ لم يؤمنوا به، ويجوز في هذه القراءة، أن تكون الضمائر عائدة على المرسلين، فيما ادعوه من النبوة، وفيما يوعدون به من لم يؤمن بهم من العذاب⁶. ولقد أخذ أبو حيان في هذه الآية بالقراءتين، دون ترجيح إحداهما على الأخرى؛ لأنه يعتبر أن التعدد في الألفاظ هو تعدد في المعاني، وأن التعدد

¹ - الإتيان في علوم القرآن، 1/278.

² - أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، 1/330.

³ - سورة يوسف، الآية 110.

⁴ - الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 4/441. وحجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 366. والحجة

في القراءات السبع: ابن خالويه، ص: 199. والبحر المحيط، 6/335.

⁵ - سورة الروم، الآية 8.

⁶ - البحر المحيط، 6/335.

في القراءات، بمنزلة التعدد في الآيات؛ لأن كلتا القراءتين متواتر، وكل واحدة منهما تفيد معنى جديداً.

المبحث الرابع: الأصل الرابع السياق

1- السياق، التحديد، والأهمية:

قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حد الشيء يقال ساقه يسوقه سوقا، والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء. والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سوق إنما سميت بذلك، لأن الماشي يساق عليها¹. وقال ابن منظور "وقد انسأقت الإبل تساقا إذا تتابعت والمساوقة المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضا"². وقال الزبيدي: "وأصل السياق، سوق، قلبت الواو ياء لكسرة السين... ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث وجئتكم بالحديث على سوقه: على سرده³."

فالسباق في اللغة، يدور حول التتابع، والانتظام والاتصال، ولقد عبر عنه المتقدمون بمصطلحات عدة منها الموقف، والحال، والمقام⁴.

إن كل ما يحيط بالقول المقصود من أحوال تسبقه، وتلحقه، تساهم مفسراتها في تحديد معناه، يسمى سياقاً، وقد يراد به الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، بمعنى أنه ذلك الإطار العام

¹ - معجم مقاييس اللغة مادة سَوَقَ، 117/3.

² - لسان العرب، مادة "سَوَقَ".

³ - تاج العروس، مادة "سَوَقَ".

⁴ - أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمان بودرع، مجلة الأحياء، المملكة المغربية، العدد 25،

الذي تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقاييس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية تداولية تراعي مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ¹.

فلا يتضح غموض الوحدات اللغوية إلا بالسياق، ويستعمل المفسرون مصطلح النظم، وهم يقصدون السياق، تجاوزا منهم في العبارة، لكن بعضهم يصرح بذكر السياق مباشرة، كابن جرير في قوله: "لا يجوز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به الحجة²، كما فطن المفسرون إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه، فكان فهمهم لهذا الفرق، تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي³.

وللسياق دور هام في فهم النص القرآني، إذ المرتبة العليا لفهم القرآن، هي الفهم العام للسياق القرآني، لذلك جعله المفسرون على رأس الشروط الواجب الإحاطة بها، "لأن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني، تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضوعية بين جزء وجزء منه، إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها، بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها⁴.

2- القواعد المتعلقة بالسياق:

ومن القواعد المتعلقة بالسياق، والتي اعتمدها أبو حيان أساسا في التفسير ما يلي:

أ- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده، أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له.

¹ - أثر السياق في فهم النص القرآني، ص: 73.

² - جامع البيان، 389/9.

³ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 339.

⁴ - النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد دراز، ص: 192.

إذا اختلف المفسرون في آية من كتاب الله، إذ يحملها البعض على معنى يخرجها عن سياق الآيات، ويحملها البعض الآخر على معنى لا يخرجها عن سياق الآيات قبلها وبعدها، فإن حمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن، لأنه أوفق بالسياق، ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير¹.

ومما ثبت عن أبي حيان ما جاء في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)². فقد نقل الاختلاف في سبب نزول الآية، وبين أن جميع الأقوال في ذلك متعارضة في ظاهرها، ولا ينبغي أن يقبل منها إلا ما صح، والذي يُظهر انتظام هذه الآية بما قبلها هو: أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله، والسعي في تخريبها، نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات ولا من ذكر الله، إذ المشرق والمغرب له، فأى جهة أديتم فيها العبادة فهي لله: يثيب على ذلك، ولا يختص مكان التأدية بالمسجد، والمعنى والله بلاد المشرق والمغرب وما بينهما³.

فقد حمل أبو حيان الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معنى ما قبلها، وهو قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَى خَرَابَهَا)⁴. واستخدم هذه القاعدة في تفسير قوله تعالى: (بَفُلَانَا إِضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)⁵.

¹ - قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين الحربي، 125/1.

² - سورة البقرة، الآية 115.

³ - البحر المحيط، 576/1.

⁴ - سورة البقرة، الآية 115.

⁵ - سورة البقرة، الآية 66.

إذ الخطاب في الآية موجه للذين حضروا إحياء القتيل، فيكون ثم إضمار قول: أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، وإن كان لمنكري البعث في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فيكون من تلوين الخطاب، والمعنى: كما أحيى قتيل بني إسرائيل في الدنيا، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب الطبري¹.

لكن أبا حيان باعتماده مبدأ السياق، يرجح القول الأول؛ "لأن الخطاب في "لعلكم" و"ثم قست قلوبكم" هو لبني إسرائيل، لانتظام الآي في نسق واحد، ولئلا يختلف خطاب لعلكم تعقلون، وخطاب ثم قست قلوبكم؛ لأن ظاهر قلوبكم، أنه خطاب لبني إسرائيل².

وفي هذه الآية، حمل أبو حيان الآية على التفسير، الذي يجعلها داخلة فيما بعدها، وهو قوله تعالى: "لعلكم تعقلون"، إذ لا دليل يسلم له، إلا ما يقتضيه السياق.

ومن النماذج كذلك، قوله تعالى: (اجْلَلْ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَعَا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)³. حيث اختلف المفسرون في المراد بقوله وطعامه على ثلاثة أقوال⁽⁴⁾: القول الأول: ما قذف به إلى ساحل البحر. والقول الثاني: هو المليح من السمك أي المملوح منه. والقول الثالث: ما نبت بمائه من زروع البر.

¹ - البحر المحيط، 419/1.

² - م. نفسه، 419/1.

³ - سورة المائدة، الآية 96.

⁴ - جامع البيان، الطبري، 63-62-61/11.

ويرى أبو حيان، أن التفسير الأول، مؤيدٌ بقوله صلى الله عليه وسلم «الحل ميتته»¹، وأن التفسير الثاني ضعيف؛ لأن الذي صار مالحة، قد كان طريا وصيدا في أول الأمر، فيلزم التكرار²، أي لا وجه لتكريره إذ لا فائدة فيه وقد أعلم³.

فالتفسير الأول، يقتضيه سياق الآية، وهو أولى بالصواب؛ لأن الله تعالى: ذكر قبله صيد الذي يصاد، فقال: أحل لكم صيد البحر، فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم، ما لم يصد منه، فقال "أحل لكم ما صدتموه من البحر، وما لم تصيدوه منه"⁴

وهذا التفسير هو ما ارتضاه أبو حيان، ولذلك ردّ قول الزمخشري وغيره، من أن المراد بقوله "وطعامه"، وأن تطعموه، معتبرا أن ذلك خلاف الظاهر⁵.

ب- تقدم دلالة السياق على سبب النزول عند التعارض.

إذا تعارض مدلول السياق، ومدلول آخر، قدم السياق، كما في قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ أَكْثَرُ الْمُؤْمِنِينَ)⁶. إذ أن ظاهر الكلام أنها نزلت في اليهود المذكورين في الآية التي قبل هذه، قاله ابن عباس، وقيل في المجوس: قاله علي ابن أبي طالب، وقيل في اليهود والمنافقين، وقال عكرمة: في نصارى العرب، فإنهم كانوا لا يحسنون الكتابة. وقيل: في قوم من أهل الكتاب، رفع كتابهم بذنوب ارتكبوها، فصاروا أميين. وقيل: في قوم لم يؤمنوا بكتاب ولا برسول، فكتبوا كتابهم،

¹ - أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، 22/1.

² - البحر المحيط، 369/4.

³ - جامع البيان، الطبري، 61/11.

⁴ - م. نفسه، 69/11.

⁵ - البحر المحيط، 369/4.

⁶ - سورة البقرة، الآية 77.

وقالوا هذا من عند الله، فسموا أميين لجحودهم الكتاب، فصاروا بمنزلة من لا يحسن شيئاً، والقول الأول هو الأظهر، لأن السياق إنما هو مع اليهود فالضمير لهم¹.

الملاحظ أن أبا حيان - في هذه الآية - قدم دلالة السياق على سبب النزول، وبها رجح المعنى الأظهر والأوضح، وهو أن الضمير عائد على اليهود المذكورين في الآية قبل هذه، وذكر أيضاً أن سبب نزول قوله تعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا لِيَّ أَلَّا تَكُنُوا) ²

يشير إلى الأمر بالتزود في الأسفار الدنيوية، لكن الذي يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر، وما بعده، أن يكون الأمر بالتزود هنا بالنسبة إلى تحصيل الأعمال الصالحة التي تكون كالزاد إلى سفره للآخرة، ألا ترى أن قبله "وما تفعلوا من خير يعلمه الله، ومعناه الحث والتحريض على فعل الخير، الذي يترتب عليه الجزاء في الآخرة؟ وبعده فإن خير الزاد التقوى"³.

ج- لكل آية مقامها الذي يجري عليه استعمال كلماتها إذ لا تعارض بين الآيات:

ففي قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁴ أي مسرورين، بما أعطاهم الله من قربه ودخول جنته، ورزقهم فيها، إلى سائر ما أكرمهم به. ولا تعارض بين فرحين، وبين قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْفَرِحِينَ) في قصة قارون؛ لأن ذلك بالملاذ الدنيوية، وهذا بالملاذ الأخروية، ولذلك جاء "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا"، وجاء "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"⁵.

¹ - البحر المحيط، 444/1.

² - سورة البقرة، الآية 196.

³ - البحر المحيط، 290/2.

⁴ سورة آل عمران الآية 170.

⁵ - م. نفسه، 430/3.

ولا تعارض بين قوله (إِنَّ اللَّهَ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)¹، وبين قوله: (فُلْ يَتَوَقَّىكُمْ

مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ)² وبين قوله: "توفته رسلنا" أن نسبة ذلك إلى الله تعالى بالحقيقة، ولغيره بالمباشرة، ولملك الموت، لأنه هو الأمر لأعوانه، وله ولهم بكونهم هم المتولون قبض الأرواح"³.

فكل آية من الآيات السابقة الذكر، تحمل على ما يليق ويناسب مقامها، إذ لا يقع التعارض بين الآيات حقيقة؛ لأن من أثبت حكماً بدليل عارضه دليل آخر يوجب خلافه، كان ذلك بعجزه عن إقامة دليل سالم عن المعارضة، والعجز عن ذلك بناء على الجهل بالطريق المستقيم السالم عن المعارضة، والحكيم العليم الذي لا يعزب عن علمه شيء، تعالى عن أن يوصف بالجهل، فإذا لا يقع التعارض والتناقض بينهما إلا بالنسبة إلينا"⁴.

فالآيات القرآنية التي ظاهرها التضاد، يجب حمل كل نوع منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام، وهذا في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها: الإخبار في بعض الآيات أن الكفار لا ينطقون ولا يتكلمون يوم القيامة، وفي بعضها أنهم ينطقون ويحاجون ويعتذرون ويعترفون، فحمل كلامهم ونطقهم، أنهم في أول الأمر يتكلمون ويعتذرون وقد ينكرون ما هم عليه من الكفر ويقسمون على ذلك، ثم إذا ختم على ألسنتهم، وشهدت عليهم جوارحهم، بما كانوا يكسبون ورأوا الكذب غير مفيد لهم، أخرجوا فلم ينطقوا"⁵.

¹ - سورة الزمر، الآية 42.

² - سورة السجدة، الآية 11.

³ - البحر المحيط، 539/4.

⁴ - التيسير في قواعد علم التفسير: محمد بن سليمان الكافجي، ص: 228.

⁵ - القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن السعدي، ص: 36.

الباب الثاني

التوجيه الصرفي لتعدد القراءات
القرآنية في تفسير البحر
المحيط "الأفعـال"

الفصل الأول
التوجيه والفعل
بحث
في المفهوم وأشكال التقسيم

المبحث الأول: التوجيه وأقسامه

التوجيه لغة مأخوذ من الفعل الثلاثي المضعف العين، وجه، وهو مصدر للفعل وجَّه،

وأصله من الوجه. وهو "مستقبل كل شيء. والجهة: النحو. يقال: أخذت جهة كذا، أي: نحوه".¹

يقول ابن فارس: "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه مستقبل

لكل شيء... والوجهة كل موضع استقبلته.

قال الله تعالى: (وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ)². ووجهت الشيء: جعلته على جهة، وأصل جهته وجهته.

والتوجيه: أن تَحْفَرَ تحت الْقِنَاءَةِ أو البطيخة ثم تَضْجَعُهَا³. ويقول ابن منظور: "ويقال: هذا وجه

الرأي أي هو الرأي نفسه. وَوَجْهُ الْكَلَامِ: السبيل الذي تقصده به"⁴. ويذكر الراغب الأصفهاني أن

أصل الوجه الجارحة. قال تعالى: (بَاغْسِلُوا وَاَيْدِيَكُمْ وَوُجُوهَكُمْ)⁵، (وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ

النَّارُ)⁶ ولما كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل

شيء، وفي أشرفه ومبدئه، فقل: وجه كذا، ووجه النهار. ووجهت الشيء: أرسلته في جهة واحدة

فتوجه، وفلان وجيه: ذو جاه. قال تعالى: "وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"⁷

¹ - معجم العين: مادة وجه.

² - سورة البقرة الآية 48.

³ - معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، مادة (وجه).

⁴ - لسان العرب: لابن منظور، مادة (وجه).

⁵ - المائدة الآية، 6.

⁶ - إبراهيم الآية 50

⁷ - آل عمران الآية 45

أما في الاصطلاح فهو "إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين"¹. "ومن التوجيه متشابهات القرآن باعتبار احتمالها للوجهين المختلفين، وأما باعتبار أنه يجب في التوجيه استواء الاحتمالين فليست منه"². وقد اقترن هذا المصطلح بداية بالقراءات القرآنية، ثم أصبح علما مستقلا يهتم ببيان وجوه القراءات، من حيث اللغة والإعراب والمعنى، يقول عنه الزركشي: "هو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به، وأفردوا فيه كتباً منها كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي، وكتاب "الكشف" لمكي وكتاب "الهداية" للمهدي... وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً"³

ويرى الباحثون⁴ أن نشأة علم التوجيه، والتأليف فيه، مرت بمراحل عدة:

المرحلة الأولى: ظهور هذا العلم كآراء، داخل مجموعة من المظان اللغوية والنحوية ككتاب سيبويه، ومعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش وغيرها، وكتب الإعراب كمشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، وإعراب القرآن للنحاس. وفي كتب التفسير التي كان لها الحظ الوافر في تناول القراءات وأوجهها.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التصنيف في هذا العلم وتأسيسه، إذ نجد قواعد التوجيه بشكل واضح في كتب توجيه القراءات، كما عند:

- وجوه القراءات لهارون موسى الأعور.
- الجامع ليعقوب بن إسحاق الحضرمي.

¹ - كتاب التعريفات: للجرجاني، ج1، ص69

² - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي، ج1، ص527.

³ - البرهان في علوم القرآن: للزركشي، ج1، ص339

⁴ - التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري "نماذج": لعمارية شيخاوي، إشراف الأستاذ الدكتور

خير الدين سيب، ص16.15

- وجوه القراءات لابن قتيبة.
 - الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي.
 - المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.
 - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.
- وينقسم التوجيه إلى أنواع عدة حسب آلية التوجيه إلى أقسام عدة وهي:

- ✓ **التوجيه الصوتي** المتعلق بطرق الأداء وتأثيرها في المعنى.
- ✓ **التوجيه الصرفي** الذي يتعلق بوزن الكلمة، واشتقاقها وتأثير ذلك في المعنى، وهو مضمن في كتب الصرف، ويهتم به علماء الصرف.
- ✓ **التوجيه النحوي** الذي يهتم بمواقع الكلمات والظواهر التركيبية، ويهتم به النحاة.
- ✓ **التوجيه البلاغي** الذي يتناول الصور الفنية في القرآن، وأثرها في توسيع المعاني¹.
- ✓ **التوجيه الفقهي** الذي يستعين بالقراءات لاستنباط الأحكام.

إن الأنواع الأربعة الأولى، يقصد بها التوجيه اللغوي الذي هو محاولة إيجاد الحجج التي غالباً ما تكون لغوية؛ لإثبات كل وجه من الوجوه اللغوية للقراءات، مع العلم أن القرآن الكريم حجة لغوية على اللغة العربية لا هي حجة له، لأن القراءة القرآنية إذا "ثبتت وصحت رواية، لم يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها"²

وعليه نقول إن التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية، هو السعي نحو إيضاح المعاني التي يوحي بها اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات القرآنية، فيستدل على تلك المعاني ببيان عللها وحججها اللغوية المعتمدة عليها، والمستنبطة من نظام العربية، لإثبات ما ذهبت إليه هذه

¹-التوجيه البلاغي للقراءات في الكشف للزمخشري "نماذج": لعمارية شيخاوي ص 19.18.

- النشر في القراءات العشر: لابن اجزري، 11/1.

القراءات من المعاني. أي أن توجيه القراءة المختلف فيها، ما هو إلا محاولة التماس حجة تؤيد ما أتى به القرآن الكريم، باعتبار أن اللغة العربية سابقة عليه في الزمن، وأن أهلها قد بلغوا إلى حد بعيد من الفصاحة والبلاغة، ثم أنزل القرآن الكريم ليعقله أهل العربية، ومن ثم فقد سعى العلماء إلى ربطه بما جاءت به العربية، محاولةً منهم لفهم معاني القرآن الكريم وتأويل آياته وليس دون ذلك شيء.

المبحث الثاني: الفعل، الدلالة اللغوية، وإشكالية المصطلح.

يعد الفعل من الأسس اللغوية في بناء الجملة العربية، إذ أولاه القدامى اهتماما خاصا في مباحثهم الصرفية والنحوية، كما اهتم به المحدثون، واعتبروه مادة لغوية، مهمة في بناء الجملة، وهو لا يعدوا أن يكون حدثا يجري على أزمنة مختلفة، تختلف في الماضي كما تختلف في الحال والاستقبال¹.

قبل الشروع في تتبع التوجيه الصرفي لتعدد القراءات القرآنية في الأفعال، كما وردت في تفسير أبي حيان، نقف أولا على ما يحيط بالفعل، من حيث دلالاته اللغوية، وما أثاره مصطلحه من إشكالات، ارتبطت في معظمها بقسمة الفعل من حيث الزمن والصيغة ومن حيث التجرد والزيادة... قال ابن فارس: الفاء والعين، واللام أصل صحيح، يدل على إحداث شيء من عمل وغيره².

وقال ابن منظور: "فعل، يفعل، فعل، وفعلًا، فالاسم مكسور، والمصدر مفتوح، ويطلق الفعل على حركة الإنسان، أو هو كل عمل متعدد، أو غير متعدد³، ويدل الفعل على إحداث شيء من عمل وغيره، من ذلك فعلت كذا أفعله فعلا، وكانت من فلان فعلة حسنة، أو قبيحة، والفعال جمع فعل، والفعال بفتح الفاء الكرم، وما يفعل من حسن"⁴.

¹ - الفعل زمانه وأبنيته: إبراهيم السامرائي، ص: 19.

² - معجم مقاييس اللغة: مادة "فَعَلَ".

³ - لسان العرب، مادة "فَعَلَ".

⁴ - معجم مقاييس اللغة "مادة فَعَلَ".

وقال الراغب الأصفهاني: الفعل التأثير من جهة مؤثر، وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد وغير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات¹، قال تعالى: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ)². ويقول الجرجاني: "الفعل الهيئة الحاصلة للمؤثر في غيره بسبب التأثير أولاً، كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعاً³.

نستفيد من هذا التتبع اللغوي لمادة "الفعل" أن هذه المادة ترتبط أساساً بالحدث، دون الزمان، وقد يكون هذا الحدث متعدد أو غير متعدد، وهو كذلك عام يشمل الإنسان والحيوان والجمادات.

أما الفعل من حيث الاصطلاح فيحده سيبويه بقوله: "وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لا ينقطع فأما بناء ما مضى فذهب، وسمع ومكث، وحمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل، واضرب، ومخبراً يقتل، ويذهب، ويضرب، ويقتل، وكذلك بناؤه ما لم ينقطع، وهو كائن إذا أخبرت⁴.

لقد راعى سيبويه في تعريفه للفعل ثلاثة أقطاب أساسية:

- 1- اشتقاقه من المصدر.
- 2- بنيته التي تدل على زمن محدد؛ أي هيئته، أو حالته التعريفية، التي يدل بها على أحد الأزمنة.

¹ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، 640/1.

² - سورة البقرة، الآية 197.

³ - التعريفات: 164/1.

⁴ - الكتاب: 12/1.

3- زمنه الماضي "لما مضى"، المستقبل، "لما يكون ولم يقع"، والحال "ما هو كائن لم ينقطع".¹

وأكد ابن السبكي القطب الثاني، وأشار إلى أن الفعل ما يستقل بالمفهومية، ودل بهيئته؛ أي بحالته التصريفية على أحد الأزمنة الثلاثة، الماضي، والحال، والاستقبال.²

ولعل ما يستدل به من كلام سيبويه³، أن الصيغة الواحدة من أبنية الفعل، قد تدل على أكثر من زمان، فما بني للماضي، قد يدل على الزمان الماضي، نحو: ضرب ومكث، وقد يدل على الزمن المطلق، المبهم، المعلق، وذلك إذا أفاد الدعاء نحو قولنا: "غفر الله لك"، وقد يدل على الزمن الحاضر، والممتد للمستقبل، إذا أسند للفظ الجلالة، نحو قوله تعالى: (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)⁴.

كذلك الحال لما بني للمضارع، قد يدل على الزمن المطلق المبهم، وذلك إذا علق حدوثه بفعل آخر، وقد يدل على الزمن الحاضر، والممتد للمستقبل نحو: يقتل، ويذهب، أما الأمر، والنهي، فهما أصلان في الدلالة على مطلق الزمان⁵.

والملاحظ أن سيبويه، لم يربط كل صيغة بزمن محدد، فقد تدل الصيغة الواحدة على أكثر من زمن بحسب القرائن⁶.

¹ - المسائل الصرفية في البحر المحيط، دراسة وصفية تحليلية: مبروك الهاشمي البوعيشي، ص: 40.

² - الكتاب: 12/1.

³ - الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين السبكي، ولده تاج الدين: ص: 534.

⁴ - سورة النساء، الآية 96.

⁵ - البنية الصرفية، وأثرها في تغيير الدلالة، محمد محروس إبراهيم، ص: 30.

⁶ - التوجيه الصرفي وأثره الدلالي، ص: 40.

ويرى ابن السراج، أن الفعل ما دل على معنى وزمان، وذلك الزمان إما ماض، وإما حاضر، وإما مستقبل¹، ويذهب أبو علي الفارسي إلى ما دل عليه تعريف ابن السراج، من أن الفعل ما دل على حدث وزمان²، والفعل عند الزمخشري هو ما دل على اقتران حدث بزمان³ وفي شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري نجد أن الفعل "كلمة تدل على معنى في نفسها مقترنة بزمان"⁴.

كل هذه التعريفات، لا تخرج عن المعاني التي أدركها سيبويه للفعل، والتي تتأطر داخل ثلاثة أقطاب أساسية، الاشتقاق، والبنية، والزمن. إلا أن الزجاجي في تحديده للفعل، قد قسم زمانه إلى قسمين، وهما الماضي والمستقبل، بقوله "والفعل ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل"⁵؛ لأن الزجاجي يرى أن فعل الحال في الحقيقة مستقبل، لأنه يكون أولاً، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز الماضي، ولهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل، نحو: زيد يقوم الآن، ويقوم غدا. وقد أوضح الزجاجي تداخل فعل الحال والمستقبل في اللفظ، كقولك زيد يقوم الآن، ويقوم غدا⁶، إلا إذا دخلت عليه السين، وسوف، فحينئذ يخلص للمستقبل دون الحال، ويشارك أحمد ابن فارس الزجاجي في التقسيم السابق.

ويربط ابن الأنباري تعريف الفعل بما يعرض له عند وضعه في الجمل، بقوله: "ما أسند إلى شيء، ولم يسند إليه شيء"⁷، ويذهب ابن مالك مذهب ابن الأنباري "إلا أن أبا حيان رد عليه

¹ - الأصول في النحو: 38/1.

² - الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، 38/1.

³ - المفصل في صناعة الإعراب: الزمخشري، 319/1.

⁴ - شرح المفصل: 2/4.

⁵ - الإيضاح في علل النحو: الزجاجي، 52/1.

⁶ - الجمل، الزجاجي: ص: 7.

⁷ - أسرار العربية: ابن الأنباري، 39/1.

ذلك، منبها على أن ابن مالك: "قد عدل في حد الفعل عما حده به النحويون، وحده بأمر عارض للفعل حالة التركيب، لا بما هو ذاتي للماهية مع غموض قوله: قابلة لعلامة فرعية المسند إليه"¹.

فلم يقبل أبو حيان ربط تعريف الفعل بحالة إسناده وتركيبه داخل الجملة، إذ يرى تعريفه بمعزل عن تركيبه، ثم يختار حدا للفعل، راجعا إلى الأصول التي حده بها سيبويه في كتابه، فيقول: "وأحسن ما حد به الفعل أن يقال: الفعل كلمة متعرضة لبنيتها لزمان معناها"².

فالتعاريف كلها، من سيبويه إلى أبي حيان، تربط بين الفعل في بنائه للماضي والمضارع، وبين القسمة الثلاثية للزمان، وانطلاقا من هذه التعاريف، يمكن أن نوجه حديثنا عن الفعل نحو البحث في تقسيم الفعل، تقسيما صيغيا، وتقسيما زمنيا.

وأما الفعل لدى المحدثين، فهو ما دل على إفادة الإسناد، ودل على الحدث والزمان³، ففي هذا التقسيم استحضار المعنى والصيغة، وهو استحضار تنبّه إليه النحاة القدامى وعلى رأسهم سيبويه، ويعرفه تمام حسان بقوله: "الفعل ما دل على الحدث مقترنا بزمن، ومنه صيغ تدل في الغالب على الماضي، وأخرى على الحال، والاستقبال، وثالثة على الطلب في الاستقبال"⁴، هكذا تتسع اللغة العربية، لتعبر عن هذه المعاني، كالبعد، والقرب، والاستمرار، والانقطاع.

¹ - التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل، أبوحيان، 47/1.

² - التذييل والتكميل: 47/1-48.

³ - من أسرار اللغة، إبراهيم انيس: ص: 193.

⁴ - اللغة العربية معناها ومبناها: ص 86.

إن دلالة الفعل على الحدث هي دلالة تضمنية؛ لأن الحدث جزء معناه، فهو يدل إلى جانبه على الزمن بصيغته دلالة وظيفية صرفية مطردة¹ والفعل من حيث الإسناد لا يكون مسندا أبدا²، ويرى عباس حسن أن "الفعل كلمة تدل على أمرين معا، هما معنى وزمن، يقترن به"³.
يتبين أن حد الفعل لدى المحدثين، لا يخرج عن أربعة عناصر أساسية، الزمن، والصيغة، والإسناد، والحدث، وأن نظرتهم للفعل، لا تختلف في شيء عن نظرة القدماء، فلا يخرج الفعل بمعناه عندهم، على تعريفه في ذاته، وتعريفه في علاقته التركيبية داخل الجملة.

¹ - اللغة العربية معناها ومبناها: ص105.

² - م. نفسه، ص 105.

³ - النحو الوافي: 1/46.

الفصل الثاني
أصول التحويلات
الداخلية في الأفعال

المبحث الأول: صور الزيادة في الفعل المجرد والمزيد

قال ابن فارس: "الزاء والياء والذال، أصل يدل على الفضل. يقولون: زاد الشيء يزيد، فهو زائد. وهؤلاء قوم زيد على كذا، أي يزيدون.¹ وقال الراغب الاصفهاني: "الزيادة: أن ينضم إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر، يقال: زدته فازداد".² وفي كشف اصطلاحات الفنون "الزيادة عند أهل العربية، تطلق على الحرف الغير الأصلي. والزوائد الأربع هي حروف المضارعة وهي الألف والنون والياء والتاء، وقد يطلق الزائد على ما لا فائدة له، كما في الأطول في بيان الغرابة، وعلى كلمة وجودها وعدمها لا يخل بالمعنى الأصلي، وأن لها فائدة، ومنه حروف الزيادة.³ والمقصود أن إطلاق الزيادة على الحرف، غير الأصلي على نوعين: الأول: أن يكون الحرف في نفس الكلمة، والكلام في هذا محله كتب التصريف. الثاني: أن يقع الحرف بين لفظتين، سواء اتصل بأحدهما أم انفصل وقام بنفسه. أما إطلاق الزائد على ما لا فائدة فيه، فإن هذا النوع مما ينزه عنه القرآن، إذ ليس فيه حشو البتة. وأما إطلاقه على الكلمة التي وجودها وعدمها لا يخل بالمعنى الأصلي، فإن هذا صحيح من جهة المعنى.⁴

¹ - مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة "زيد".

² - المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، ص 385.

³ - كشف اصطلاحات الفنون: التهانوي، 1/ 902.

⁴ - قواعد التفسير: عثمان السبب، ص، 349.

وتتجلى مظاهر الزيادة في لفظ الفعل في صورتين:

1_ الصورة الأولى: الزيادة بالحرف والتضعيف.

-أفعل وفعل:

في قوله تعالى: (وَأَوْصِي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ)¹. قرأ نافع وابن عامر وأوصى وقرأ الباقون ووصى، ووصى وأوصى لغتان، إلا أنهم قالوا إن وصى المشدد يدل على المبالغة والتكثير². أما أوصى فيكون للقليل والكثير³. واعتبروا وصى أبلغ من أوصى، لأن أوصى جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووصى لا يكون إلا لمرات كثيرة⁴. وإذا كانت الوصية في اللغة هي التقدم الى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ. فإن وصى وأوصى لغتان "كما أكد" بمعنى واحد لأن العرب تقول أوصيتك ووصيتك⁵.

وفي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ

أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)⁶. قرأ أبو بكر، عن ابن عاصم، "يُمَسِّكون" من مَسَّكَ على وزن فَعَّل، ومعنى

¹ - سورة البقرة، الآية 130.

² - البحر المحيط، 633/1.

³ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 115.

⁴ - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 211/1.

⁵ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 115. البحر المحيط، 33/1.

⁶ - سورة الأعراف، الآية 169.

يمسكون، يأخذون بما فيه من الحلال والحرام، ويؤكد قوله تعالى: (بَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ)¹، وقوله: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ)².

وأمسك هنا متعد والتقدير: والذين يمسكون الكتاب، لأن الباء زائدة، كما في قوله: (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) أي يشربها عباد الله⁴. ويرى أبو حيان أن التقدير يمسكون أعمالهم أي يضبطونها. ومعنى يمسكون يلزمون؛ لأن التمسك بكتاب الله والدين، يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك.

وبالنظر إلى المعنى العام للآية، والذي يتلخص في اعتصامهم بكتاب الله، والاعتداء بأوامره، وترك زواجه، يكون أمسك ومسك لغتين متفقتين في معنى واحد وفي الدلالة على التعدية.

فاعل وفعل:

في قوله تعالى (مَسَّ ذَا الْأَيْدِ يُفْرِضُ اللَّهُ فَرَضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)⁵. يقول أبو حيان: الضعف مثل قدرين متساويين، ويقال مثل الشيء في المقدار وضعف الشيء مثله ثلاث مرات، إلا أنه إذا قيل أضعاف، فقد يطلق الاثنان المثلين في القدر، من حيث إن كل واحد يضعف الآخر، كما يقال الزوجان لكل واحد منهما، زوجا للآخر، وفرق بعضهم بين

¹ - سورة المائدة، الآية 5.

² - سورة الأحزاب، الآية 35.

³ - البحر المحيط، 301/1.

⁴ - البحر المحيط، 301/1.

⁵ - سورة البقرة، الآية 245.

"يُضَاعِفُ وَيُضَعِّفُ"، فقال التضعيف لما جعل مثلين، والمضاعفة لما زيد عليه أكثر من ذلك¹. وبالنظر إلى القراءات نجد جمهور السبعة على قراءة (يضاعف) مضارع (ضاعف) على وزن (فاعل)، ونجد ابن عامر وابن كثير على قراءة (يضعِّف) مضارع (ضعَّف) على وزن (فَعَّل)². فضاعف وضعف بمعنى، فيما قاله سيبويه مثل ناعمت ونعَّمت³. وعليه يبقى يضاعف، موافقا ليضعِّف في التشديد والتكثير؛ لأن مجيء (فاعل) بمعنى (فَعَّل)، يكون للتكثير؛ بمعنى أن الألف في فاعل، لا تدل هنا على المشاركة، فتكون فاعل بمعنى فَعَّل.

وفي قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ بَرَّرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)⁴. قرأ حمزة والكسائي (فارقوا)، على وزن (فاعل)، وقرأ السبعة (فَرَّقُوا) على وزن (فَعَّل)⁵. ففرقوا من التفريق؛ أي آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض⁶. أما (فارقوا) فهو من المفارقة⁷ والمعنى، تركوه وبأينوه⁸ فمعنى (فَعَّل) مخالف لمعنى (فاعل) لأن فرقوا من التفريق، أما فارقوا فمن المفارقة بمعنى الترك. ومنه قوله تعالى (وَلَا تَصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)⁹.

¹ - البحر المحيط، 559/2.

² - الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 267/6.

³ - الكتاب، 68/4.

⁴ - سورة الأنعام، الآية 159.

⁵ - الحجة للقراء السبعة: الفارسي، 437/3. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص: 152.

⁶ - البحر المحيط، 701/4.

⁷ - الكشف، 458/1.

⁸ - البحر المحيط، 701/4.

⁹ - سورة لقمان، الآية 16.

فَعِلْ وَفَعَّلْ:

في قوله تعالى: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ)¹. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمر، (تُعَلِّمُونَ) بالتخفيف مضارع (عَلَّمَ) على وزن (فَعِلْ)، وقرأ الباقون (تُعَلِّمُونَ)، بالتشديد مضارع (عَلَّمَ) على وزن (فَعَّلْ) وتعني قراءة التخفيف علمهم بالكتاب، فالفعل لأنفسهم، دون غيرهم، والتقدير يعلمكم الكتاب²، أما قراءة التشديد، فيرى أبو حيان، أن تعلمون من (عَلَّمَ) الذي يتعدى إلى اثنين، وأول المفعولين محذوف، وتقديره تُعَلِّمُونَ الناس الكتاب³.

ففي التشديد دلالة على العلم والتعليم؛ لأن كل معلم عالم بما يعلم، وليس كل عالم بشيء معلما⁴؛ لذلك جاء (تُعَلِّمُونَ)، أبلغ وأمدح من (تُعَلِّمُونَ)؛ لأن تعليم الناس الخير، شرف عظيم، وسرية عظيمة، فالفعل (عَلَّمَ)، مخالف للفعل (عَلَّمَ)؛ لأن معنى الآية، يتوجه وجهتين مختلفتين، كما رأينا ولا يرى أبو حيان، ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى؛ لأنها كلها منقولة، متواترة قرآنا⁵

-فعل وفَعَّلْ:

¹ - سورة آل عمران، الآية 79.

² - جامع البيان: الطبري، 327/3.

³ - البحر المحيط، 232/3.

⁴ - الكشف: مكي ابن أبي طالب، 351/1.

⁵ - البحر المحيط: 232/3.

في قوله تعالى: (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ

بَعْضٍ)¹. قرأ الكسائي (عَرَفَ)، على وزن (فَعَلَ)، وقرأ الجمهور (عَرَّفَ)، على وزن (فَعَّلَ)².

ومعنى (عَرَّفَ) المشدد: أَعْلَمَ، وَأَنْبَ عليه، ومعنى (عرف) المخفف، جازى بالعتب، واللوم، كما تقول لمن يؤذيك: "لأعرفن لك ذلك، أي لأجازينك"³.

ومعنى الآية -حسب قراءة التخفيف- أن الرسول صلى الله عليه وسلم، جازى على بعض، وعفا عن بعض، تكريماً منه، صلى الله عليه وسلم عليها، ومجازاتها، أي ماريّة، وهو تطليقها تطليقة واحدة⁴؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم، لما أسر إلى حفصة أمر ماريّة القبطية أم إبراهيم، وهو تحريمها، أو طلاقها، وألا تذكر ذلك لأحد، فذكرته لعائشة، فأعلمه الله به⁵. فالتخفيف لا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان جاهلاً بإفشاء حفصة لسره، ثم علمه؛ لأن الله عز وجل، أعلمنا أنه أطلع عليه، وإذا أطلع عليه، لم يجز أن يجهل منه شيئاً⁶. أما على قراءة التشديد فتعني الآية، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، عرف حفصة بعض الحديث، وأعرض عن بعض، فلم يعرفه إياها، على وجه التكرم والإغضاء، وألا يبلغ أقصى ما كان منها، وكان الله تعالى، قد أعلم رسوله، بما قالته حفصة⁷.

¹ - سورة التحريم، الآية 3.

² - الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 301/6. ومعاني القراءات: الأزهري، 76/3. وحجة القراءات:

ابن زنجلة، ص، 713. والحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، 348/1.

³ - البحر المحيط، 210/10.

⁴ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 713.

⁵ - ينظر، تفسير القرآن العظيم، 158/8.

⁶ - الكشف عن وجوه القراءات: مكي ابن أبي طالب القيسي، 326/2.

⁷ - م. نفسه، 158/8. وحجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 713.

وبناء على هذا، فإن أبا حيان لا يرى الفرق بين لفظتي "نَزَلَ" و"أُنْزِلَ"، إذ لم يوافق الزمخشري، في كون لفظ نَزَلَ بالتضعيف، يدل على الإنزال منجماً، وأنزل تدل على أنه نزل جملة واحدة، فيكونا مختلفين في المعنى، فتبقى أنزل ونزل لدى أبي حيان بمعنى واحد؛ لأن التعدية بالتضعيف، لا تدل على التكثير ولا التجسيم، فلو كان أحدهما يدل على التجسيم، والآخر يدل على النزول، دفعة واحدة، لتناقض الإخبار وهو محال¹

فَعَلَ وَتَفَعَّلَ:

في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)². قال أبو حيان: "ولا تقربوهن حتى يطهرن، قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، يطهرن بتشديد الطاء والهاء والفتح، وأصله يتطهرن، وقرأ الباقون: يطهرن مضارع طهر³.

يَطْهُرْنَ يعني: ينقطع عنهن الدم.

يَطْهُرْنَ يعني: يغتسلن بالماء⁴.

فالتطهر الاغتسال بعد انقطاع الدم من الحيض؛ وذلك لأن الله أمر عباده باعتزالهن في حال الحيض إلى أن يتطهرن⁵.

¹ - البحر المحيط، 16/3.

² - سورة البقرة، الآية 222.

³ - البحر المحيط، 424/2. وحجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 404.

⁴ - غريب القرآن: ابن قتيبة، 84/1.

⁵ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 135.

ويرد أبو حيان مذهب ابن عطية، في كون كل واحد من القراءتين يحتمل أن يراد بها الاغتسال بالماء، وأن يراد بها انقطاع الدم وزوال آذاه، وجعله أمراً غير لازم¹. والمعنى متغاير بين الصيغتين (يطهرن ويظهرن).

وفي قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْأَفْزَاءِ لِیَذْكُرُوا مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)². قرأ جمهور السبعة (يذكروا)، مضارع (تذكر)، على وزن (تَفْعَل)، أي ليتذكروا من التذكير³، والتذكر بمعنى التقدير والاتعاظ⁴، وفائدة التشديد هي التكریم؛ لذلك فهو أبلغ في الوصف من التخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي (يذكروا) مضارع (ذكر) من ذكر ذكراً، والذكر يكون بعد النسيان⁵ ويقال ذكر يذكر إذا نسي شيئاً ذكره، وإذا قيل: تذكر معناه تفكر⁶.

2- الصورة الثانية: الزيادة بالنقل:

- فَعَلَ وافتعل:

ذكر أبو حيان أن الصحيح لدى أهل اللغة، أن الكسب والإكساب واحد، والقرآن ناطق بذلك، قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)⁷. وقال: (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا)⁸، وقال: بلى (مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، فَإِنَّهُ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)

¹ - البحر المحيط، 424/2.

² - سورة الإسراء: الآية 41.

³ - البحر المحيط: 53/7.

⁴ - الكشف: مكي ابن أبي طالب، 47/2.

⁵ - م. نفسه 47/2.

⁶ - حجة القراءات، ص: 404.

⁷ - سورة المدثر، الآية 38.

⁸ - سورة الأنعام، الآية 164.

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ¹. قال ابن منظور: "كسب: الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع، كسب يكسب كسبا، وتكسب واكتسب².

إن ترجيح أبي حيان للتوافق بين لفظي كسب واكتسب، يعود إلى ما ثبت من الآيات في القرآن الكريم، وهو ما دل عليه الأشهر من اللغة، ويتضح هذا جليا في لفظتي كسب/ واكتسب، من قوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)³، حيث ذكر أبو حيان أن ما كسبت تعني من الحسنات، وما اكتسبت تعني من السيئات، وأنه لا خلاف في هذا المعنى بين المفسرين.

قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)⁴. يشري: عبارة عن أن يبذل نفسه في الله، ومنه تسمى الشراة، وكأنهم باعوا أنفسهم من الله، وقال قوم: شرى بمعنى اشترى، فإن كانت الآية في صهيبي، فهذا موجود فيه، حيث اشترى نفسه بماله، ولم يبيعها⁵. فالفعل شرى المجرد، توافق مع المزيد افتعل، بدلالتهما على معنى واحد، وهو بدل النفس في الله، أي العطاء.

¹ - سورة البقرة، الآية 80.

² - لسان العرب، مادة "كسب".

³ - سورة البقرة، الآية 286.

⁴ - سورة البقرة، الآية 207.

⁵ - البحر المحيط، 66/1.

وفي قول تعالى (لِكُلِّ إِمْرٍ مِنْهُمْ مَّا إَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ)¹، اكتسب مستعمل

في المأثم ونحوها، لأنها تدل على اعتمال وقصد، فهو أبلغ في الترتيب، و"كسب" مستعمل في الخبر؛ لأن حصوله معه عن الدلالة على اعتمال فيه، وقد يستعمل كسب في الوجهين².

- فَعَلَ وَأَفْعَلَ

في قوله تعالى (إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُورُونَ عَلَى أَحَدٍ)³. حيث إن "الإصعاد،

ابتداء السفر والمخرج، والصعود، مصدر صَعَدَ، رقى من أسفل إلى علو، قاله الفراء وأبو حاتم والزجاج وقال القتيبي: أصد أبعده في الذهاب، فكأنه إبعاد، كإبعاد الارتقاء. وقال المفضل: صعد وأصعد وصعد، بمعنى واحد، والصعيد وجه الأرض، وصعدة اسم من أسماء الأرض، وأصعد معناه دخل في الصعيد⁴، وإلى معنى العلو والرقى، أشار ابن فارس في معجم مقاييس اللغة⁵.

وإذا كان صعد بمعنى أصد، كما نقل أبو حيان عن المفضل، فإن الهمزة في أصد الذي مضارعه يصعد، يدل على الدخول في الشيء، بمعنى أن صعد يدل على الدخول في الشيء كذلك. ويؤيد هذين المعنيين أي "العلو والارتقاء"، والدخول في الشيء"، قراءة الجمهور "تصعدون" مضارع أصد، أي دخلتم في الصعيد، وقراءة أبي عبد الرحمان والحسن ومجاهد وقتادة واليزيدي: "تصعدون" من صعد الجبل إذا ارتقى إليه، تصعدون من تصعد في السلم.

¹ - سورة النور، الآية 11.

² - البحر المحيط، 381/3.

³ - سورة آل عمران، الآية 153.

⁴ - البحر المحيط، 381/3.

⁵ - معجم مقاييس اللغة، مادة "صعد".

وجاء على هذا، في قوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ

¹(يقال أبلاه بالنعمة وبلاه بالشدة، وقد يدخل أحدهما على الآخر فيقال: بلى بالخير وأبلاه بالشر ². وقال أبو حيان أيضا: "نكرهم أي أنكرهم"، وقيل: نكر فيما يرى وأنكر فيما لا يرى من المعاني ³.

- فعل واستفعل:

في قوله تعالى (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ⁴ قال أبو حيان الاستنباط

الاستخراج، والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر، والإنباط، والاستنباط إخراجه، وقال الفراء: نبط مثل استنبط ⁵

- فَعَلَ وَأَفْعَلَ:

في قوله تعالى: (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ

عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ إَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُوا) ⁶. وقال تعالى: (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ

¹ - سورة البقرة، الآية 124.

² - البحر المحيط، 305/1.

³ - م. نفسه، 305/1.

⁴ - سورة النساء، الآية 83.

⁵ - البحر المحيط، 315/3-316.

⁶ - سورة يونس، الآية 71.

أَيُّتُوا صَبِيًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْبَى¹. قرأ أبو عمرو (أجمعوا من (جمع) على (فعل)،
وقرأ جمهور السبعة (أجمعوا) من (أجمع) على وزن (أفعل)².

والذي يبدو أن كلا الفعلين أمر يتعدى بنفسه، والمخاطب جماعة، لكنهما مفترقان في
المعنى. ويظهر افتراقهما في المعنى من توجيه قراءة قطع الألف (فأجمعوا)، أنه أخذ من قولهم:
أجمعت على الأمر إذا أحكمته، وعزمت عليه³، والتقدير فأجمعوا كيحكم على موسى، واعزموا
واجعلوه مجمعا عليه، حتى لا تختلفوا، ولا يتخلف واحد منكم، كالمسألة المجمع عليها⁴ ومن توجيه
قراءة وصل الهمزة (فأجمعوا) أنه أخذ من قولهم جمعت، ودليله قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ)⁵. ف(جمع) ليست هي (أجمع)؛ لأن جمع من الجمع، والمعنى لا تتركوا من كيحكم
شيئا إلا جئتم به⁷ أما أجمع فتعني العزم والنية والقصد.

- فعل وفاعل:

في قوله تعالى: (أَقْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَبْرِئُ)⁸. قرأ حمزة والكسائي، أفتمرونه، بفتح التاء،
بغير ألف، وقرأ جمهور السبعة، (أفتمارونه)⁹. ف(تمرونه)، مضارع (مري)، على وزن فعل،

¹ - سورة طه، الآية 64.

² - الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، 183/1.

³ - الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، 183/1.

⁴ - البحر المحيط، 351/7.

⁵ - سورة آل عمران، الآية 9.

⁶ - الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، 183/1. والحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 286/4.

⁷ - معاني القرآن: الفراء، 183/2.

⁸ - سورة النجم، الآية 12.

⁹ - معاني القراءات، 37/3. حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 685.

و(تمارون)، مضارع (مارى)، على وزن فاعل. قال الفراء "أفتمرونه" افتجدونه، "أفتمارونه" أفتمادلونه¹. وقال المبرد: أفتمرونه أي تدفعونه عما يرى، و(على) في موضع (عن)². ويؤيد معنى قراءة الجمهور (أفتمارونه)، إجماع الجميع على قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَمِخَالٌ بِعِيدٍ)³ فيمارون هنا بمعنى يجادلون⁴. وقال أبو حيان "أفتمارونه: أي تجادلونه على الشيء، رآه ببصره وأبصره... ويقال مريته حقه، إذا جددته⁵.

ف (مرى) على وزن (فعل) ليست هي (مارى) على وزن (فاعل) فالأولى تعني جدد، والثانية تعني جادل، وهما معنيان متغايران. وقد تواترت الأخبار، بمجادلة قريش النبي صلى الله عليه وسلم، في أمر الإسراء وأن هذه الآية، تناسب حادثة الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وتكذيب الكفار وجردهم له، حتى وصف لهم بيت القدس، وأمر غيرهم⁶.

¹ - معاني القرآن: الفراء، 96/3.

² - البحر المحيط، 12/10.

³ - سورة الشورى، الآية 18.

⁴ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 68.

⁵ - البحر المحيط، 12/10.

⁶ - الحجة للقراء السبعة: أبي علي الفارسي، 301/6. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص:

348. حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 71.

المبحث الثاني: الحذف

يعتبر التخفيف باعثاً على حذف حرف من اللفظة، لكثرة دورانه في كلام العرب، والحذف يجري في كثير من حروف العربية كالنون، والتاء، والياء، وغيرها. وقد أورد الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فوائد الحذف، وضرب لذلك أمثلة من القرآن، تبدو راجعة كلها، إلى تفضيل السهولة.

فالحذف يقع في كلام العرب تخفيفاً لكثرة الاستعمال ومن ذلك:

1- حذف النون من "تك"

في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)¹. حيث حذفت النون من "تك" لكثرة الاستعمال، وكان القياس إثبات الواو، لأن الواو حذفت لالتقاء الساكنين، فكان ينبغي أنه إذا حُذفت ترجع الواو، ولأن الموجب لحذفها قد زال².

¹ - سورة النساء، الآية 40.

² - البحر المحيط، 643/3.

فالميل إلى التخفيف، جعل حذف النون من الفعل "تك" جائزاً، لكن ذلك لا يتم إلا بشروط: أن تكون بلفظ المضارع، وأن تكون مجزومة، وألا تكون موقوفاً عليها، وألا تكون متصلة بضمير نصب، وألا تكون متصلة بضمير ساكن¹.

2- حذف همزة "أأنذرتهم"

من قوله تبارك وتعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)²، فقد نقل أبو حيان عن الزهري وابن محيصن: أنذرتهم بهمزة واحدة، حذف الهمزة الأولى لدلالة المعنى عليها، ولأجل ثبوت ما عادلها وهو أم³ أي أن أم تدل على الاستفهام، كما قال الشاعر:

تروح من الحي أم تبكر وماذا يضر لو تنتظر⁴

حيث حذف الشاعر أداة الاستفهام لدلالة أم عليها.

ونقل الأزهري عن أبي حاتم قوله: "ونحن نكره الجمع بين قول الله تبارك وتعالى: "(ها أنتم) قال أبو حاتم. قال: الأخفش: إنما هو (ءأنتم)، أدخلوا بين الهمزتين ألفاً استثقلاً لهما، وأبدلوا من الهمزة الأولى هاء، كما قالوا: (هرقت الماء) و(أرقت)، وقالوا: (هياك) بمعنى: إياك⁵.

¹ - القواعد التفسيرية الأسلوبية، في السبع الطوال، من خلال البحر المحيط، رحيمة أوسيف، ص: 226.

² - سورة البقرة، الآية 5.

³ - البحر المحيط، 79/1. ومعاني القراءات، 159/1. وحجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 86.

⁴ - البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص: 154.

⁵ - معاني القراءات، 139/1.

3- حذف التاء من بداية الفعل المضارع

في قوله تعالى: (تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)¹، تظاهرون بدلا من تتظاهرون، حيث قرأ بتخفيف الظاء، عاصم، وحزمة، والكسائي²، وأصله: تتظاهرون، فحذف التاء، وهي عندنا الثانية، خلافا لهشام، رغم أن المحذوفة هي التي للمضارعة، الدالة على الخطاب، وكثيرا جاء في القرآن حذف التاء. إذ الأصل في القراءة بالتشديد تتظاهرون، فأدغمت التاء في الظاء، لقرب المخرجين، وشددت الظاء، والأصل في القراءة بالتخفيف، أن التاء الثانية حذفت، لاجتماعهما³. ولكراهة الإدغام وثقله⁴، أي أن إحدى التائين للاستقبال، والثانية تزداد في الفعل فأسقط الثانية⁵، وقال الشاعر:

تعاطسون جميعا حول داركم فكلكم يا بني حمدان مزكوم

ومنه قوله تعالى: (تَسْفُطُ عَلَيَّكَ رُطْبًا جَنِيًّا)⁶، حيث "قرأ الجمهور تساقط بفتح التاء والسين، وشدها بعد ألف، وفتح القاف"⁷، إذ أصل هذه القراءة تتساقط بتائين مضارع تساقط، فحذف حمزة إحدى التائين تخفيفا نحو: "تنزل" و"تذكرون" والباقيون أدغموا التاء في السين⁸، إذ

¹ - سورة البقرة، الآية 85.

² - معاني القراءات، 162/1. وحجة القراءات: ابن زنجلة، ص، 104. والحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص، 84.

³ - معاني القراءات، 162/1.

⁴ - الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص، 84.

⁵ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص، 104.

⁶ - سورة مريم، الآية 24.

⁷ - حجة القراءات: ابن زنجلة، 442. والحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص: 237. والحجة للقراء

السبعة: أبو علي الفارسي، 198/5. والبحر المحيط، 255/7.

⁸ - الدر المصون، 587/7.

التخلص من التاء، قد تم بحذفها طلباً للتخفيف، وللمخالفة بين الصوتين، وعليه جاءت قراءة حمزة "تساقط" بالتاء وتخفيف السين¹. قال الفراء "وكل موضع اجتمع فيه تاءان، جاز التخلص فيه بإضمار إحداهما"².

ومراد قراءة "تساقط" بفتح التاء وتخفيف السين تتساقط، ثم حذف التاء لاجتماع التائين، وعليه قوله تعالى: (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى)، والأصل تتلهى وتتصدى³.

4- حذف اللام من "ظَلْتُمْ":

ومنه قوله تعالى: (فَظَلَّتُمْ تَبَكَّهَوْنَ)⁴، حيث قرأ الجمهور بفتح الظاء ولام واحدة، وأبو حيوة وأبو بكر في رواية القيسي عنه: بكسرهما⁵. إذ الأصل "فَظَلَّلْتُمْ" بكسر اللام، وعليه جاءت قراءة عبد الله والجحدري، وورد بفتح اللام إلا أن المشهور "ظَلَّلْتُ" بالكسر⁶، فمن قال: ظَلْتُمْ حذف اللام المكسورة تخفيفاً، ومن قال: ظَلْتُمْ ألقى حركة اللام على الظاء بعد حذفها⁷.

¹ - إعراب القرآن، 9/3.

² - معاني القرآن، الفراء، 284/1.

³ - حجة القراءات: ابن زنجلة، 442. والحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص: 237. والحجة للقراء

السبعة: أبو علي الفارسي، 198/5.

⁴ - سورة الواقعة، الآية 65.

⁵ - البحر المحيط، 89/10.

⁶ - م. نفسه، 89/10. وانظر معاني القراءات: الأزهرى، 282/2.

⁷ - إعراب القرآن، 227/4.

المبحث الثالث: العدول في صيغ الفعل

العدول ضرب من التصرف، وفيه إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع ومعنى العدل، أن تريد لفظاً، فتعدل عن اللفظ، الذي تريد إلى آخر، فيكون المسموع لفظاً، والمراد غيره، ولا يكون العدل في المعنى، وإنما يكون في اللفظ¹. والعدول هو خروج عن أصل، أو مخالفة لقاعدة، ولكن هذا الخروج، وتلك المخالفة، اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطراد، ونحي بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها². ويشمل العدول أكثر أبواب اللغة العربية، كتليين الهمزة المعدول به إلى تحقيقها، وتقديم بعض الحروف في الكلمة عن تأخيرها، كما في القلب المكاني، والزيادة، والحذف.

وإذا تتبعنا العدول في اللغة بشكل عام، وفي النص القرآني بشكل خاص، وما ذكر أهل اللغة والمفسرون، نجد من أصنافه العدول الصرفي، والذي ينتهي إلى غايات ثلاث: الغاية المعنوية المتمثلة في طلب المبالغة وتدقيق الدلالة. والغاية الفنية التي تظهر في رعاية الإيقاع وضبطه. والغاية التداولية والتي يكشف عنها اعتبار حال المتلقي والمخاطب، أو السياق الناظم للتواصل³.

¹ - شرح المفصل، 62/1.

² - البيان في روائع القرآن: تمام حسان، 77/2.

³ - العدول الصرفي في القرآن: عبد الناصر مشري، ص: 37.

وسيتبين لنا أن العدول في المواطن التي سنتطرق إليها كان لغايات معنوية، وللاستفادة من المعاني الصرفية للصيغة المعدول إليها، كالتعبير عن تحقق وقوع الفعل المستفاد من صيغة الماضي، أو استحضار صورة الحدث كأنه مشاهد، الاستفادة من صيغة المضارع، وغير ذلك، مما سيتضح في مظهره من هذا المبحث.

1- الفعل الماضي:

يعتبر الفعل الماضي صنفاً من أصناف الفعل، وهو ما يدل على اقتران حدث بزمان قبل زمانك، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله: "فأما بناء ما مضى، فذهب، وسمع، ومكث، وحمد"¹. فالفعل الماضي في نظر سيبويه، إما على صيغة فَعَلَ، أَوْفَعَلَ، أو فَعُلَ، أَوْفُعَلَ.

ولقد تقرر لدى علماء العربية، أن الغالب على الفعل الماضي، هو دلالاته على الحدث المنقضي، أو المنقطع، في القريب أو البعيد، فقام زيد، يحتمل الماضي القريب، والماضي البعيد، لكن قد يفيد دلالات أخرى، كالمستقبل، الذي يفهم من صيغ الدعاء، وكالثبوت، واللزوم، الذي يفهم من وجود قرائن داخل التركيب.

إن كل ما يتعلق بحالات الماضي من القواعد، يشكل أصلاً لغوياً صرفياً من أصول التفسير، فالفعل "أتى" في قوله تعالى (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)²، يدل في أصل بنيته وأصالته على الزمن الماضي، إلا أن قرينة "فلا تستعجلوه"، وهي قرينة لفظية، أحالته إلى كون زمن الفعل لم يحصل بعد، فقوله "أتى" إخبار عن إتيان ما يأتي، واضح ذلك من جهة التأكيد، وإذا كان

¹ - الكتاب، 12/1.

² - سورة النحل، الآية 1.

الخبر حقاً، فيؤكد المستقبل بأن يخرج في صيغة الماضي؛ أي كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع¹.
فالفعل أتى ماض، عبر به عن المضارع، لقرب وقوعه، وتحقيقه، وفي ذلك وعيد للكفار².

ومن استعمالات الفعل الماضي:

أ- الحدث المنقضي:

ويقصد به أن الحدث المرتبط بالفعل الماضي، قد انقطع وانفصل؛ لأن الأصل في الماضي، هو دلالاته على انقطاع الحدث، ولا يمكن حمله على غيره إلا بقريضة، وقد عبر أبو حيان عن الانقضاء بالانقطاع، حين وجه قوله تعالى: (اُوَلَّيْكَ اَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا)³، وأشار إلى معنى الانقطاع الوارد في الفعل الماضي "اعتدنا" بطريقة ضمنية، وأقر بأن العذاب معد للعاصي والكافر، لكنه في حق الكافر خالداً، وفي حق العاصي منقطع، وأن انقطاع العذاب في حق العاصي، يفهم من وظيفة الفعل الماضي «اعتدنا»؛ لأن ظاهر الإعداد: أن النار مخلوقة⁴. وفي هذا يكون أبو حيان قد وافق ابن عطية، الذي شرح "اعتدنا" بقوله: يسرناه

¹ - المحرر الوجيز، 377/3.

² - البحر المحيط، 503/6.

³ - سورة النساء، الآية 18.

⁴ - البحر المحيط، 566/3.

وأحضرناه، وبقوله: ظاهر هذه الآية، أن النار مخلوقة¹. عكس الزمخشري الذي نفى توبة العاصي، وأقر بأنه مشترك مع الكافر في الوعيد بالعذاب، وأنه مساو للكافر في ألم العذاب وعدم انقطاعه².

ب- الدوام والاستمرار:

إذا كان الأصل في صيغة الفعل الماضي، هو دلالته على الماضي، والانقطاع والانقضاء، فإنه قد يستعمل للدلالة على الدوام، والاستمرار، حسب القرائن العائدة إلى القاعدة، أو إلى سياق الكلام، وقرائن أحواله.

ففي قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)³، يرى أبو حيان أن الكلام في قوله تعالى: "وإن كنتم" جرى على التحقيق، مثال قول الرجل لعبده: إن كنت عبدي فأطعني؛ لأن الله تعالى عالم بما تكنه القلوب، وبين أن سبب نزول هذه الآية قول اليهود: "وإننا لفي شك مما جاء به"، وجعلها بمعنى إذا، وكان ماضيه اللفظ والمعنى، أو مثل قول القائل: إن كنت عبدي فأطعني، فرارا من جعل ما بعد إن مستقبل المعنى، وذلك ممكن، ولاتفاقي بين إن كانوا في ريب فيما مضى، وإن تعلق الأمر على كونهم في ريب في المستقبل؛ لأن الماضي من الجائز أن يستدام، بأن يظهر لمعتقد الريب فيما مضى، خلاف ذلك، فيزول عنه الريب. فقيل: "وإن كنتم"؛ أي إن تكونوا في ريب باستصحاب الحالة الماضية، التي سبقت لكم فاتوا، وهذا مثل من يقول لولده العاق له: "إن كنت تعصيني، فارحل عني، فمعناه: إن تكن في المستقبل تعصيني، فارحل عني لا يريد التعليق على

¹ - المحرر الوجيز، 26/2.

² - البحر المحيط، 566/3.

³ - سورة البقرة، الآية 23.

الماضي، ولا أن "إن" بمعنى إذا، إذ لا تنافي بين تقدم العصيان، وتعليق الرحيل على وقوعه في المستقبل¹.

يذهب أبو حيان في هذا الكلام إلى دلالة "كنتم" على الدوام والاستمرار، باعتداده مجموعة من القرائن، منها سبب النزول، وهو سبب سياقي تاريخي، ومنها نفي القاعدة التي تجعل "كنتم" دالا على حرفتيه؛ أي دالا على الماضي؛ لأن كلام الله في "كنتم" جرى على التحقيق، فدلالة الفعل الماضي "كان" من قوله "كنتم"، على الاستمرار والدوام، هي دلالة عارضة.

كما يفرق أبو حيان، بين دلالة كان واستعمالها، ويرى أنها كسائر الأفعال، يدل لفظ الماضي منها على الانقطاع، ثم قد تستعمل حيث لا يكون الانقطاع، وفرق بين الدلالة والاستعمال². وبعد أن ذكر مذهب أبي عبيدة في أن "كان" زائدة، ومذهب القول بأنها تامة، رجح أنها ناقصة، فتكون بمعنى صار، أو تبقى على مدلولها من اقتران الجملة بالزمان، ولا يدل ذلك على الانقطاع، كما لم يدل في قوله: (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) وفي قوله: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)³. والمعنى كان وهو الآن على ما كان⁴.

فعدم دلالة "كان" في قوله تعالى: (بِأَشَارَتِ إِلَيْهِ فَأَلَوْا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)⁵، يرشد إلى دلالتها على الدوام والاستمرار. وقد أكد هذه الدلالة المبرد في "المقتضب"،

¹ - البحر المحيط، 167/1.

² - البحر المحيط، 28/3.

³ - سورة الإسراء، الآية 32.

⁴ - البحر المحيط، 257/1.

⁵ - سورة مريم، الآية 29.

في قوله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)¹، فقال: وجائز أن تقول كنت أخاك، وإن كان أخاه الساعة، تريد أن تعلمه ما كان، ولا تخبر عن وقته الذي هو فيه لعلم المخاطب ذاك².

ومن المواطن التي عدل فيها الماضي إلى الاستمرار، قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيباً)³ فلا يراد بكان، تقييد الخبر بالمخبر عنه، في الزمن الماضي المنقطع في حق الله تعالى، وإن كان موضوع كان ذلك، بل المعنى على الديمومة، فهو تعالى، رقيب علينا، في الماضي وغيره، والمعنى: أنه مراعٍ لكم، لا يخفى عليه شيء⁴.

فـ"كان" في هذه الآية، فقدت دلالتها على الزمان؛ لأنها لو دلت على الزمان، لكان الرب عز وجل الآن ليس عليماً، ولا حكيماً، ولا رقيباً، لكن مدلول كان قد أفاد مجرد الحدث.

ج- الاستقبال:

يضاف إلى إفادة الماضي الاستمرار والديمومة، إفادته الاستقبال، إذا كان اللبس مؤمناً، وتوافر من القرائن والدلائل، ما يمكن اعتماده حججاً على ذلك، إذ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى، لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك⁵. أي إن وضع الماضي للدلالة على الاستقبال، لا يكون إلا لغرض دلالي، يتحدد في

¹ - سورة النساء، الآية 148.

² - المقتضب، المبرد، 119/4.

³ - سورة النساء، الآية 1.

⁴ - البحر المحيط، 500/3.

⁵ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الاثير، 145/2.

الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد بعد¹، لكن قد تتطلب دلالة الماضي على الاستقبال مراعاة شروط وقرائن لفظية أو حالية، تصرف الدلالة من الماضي إلى الاستقبال مثال ذلك:

• **وقوع الفعل الماضي مصحوباً بقد بعد جواب الشرط.**

قال المبرد: "وقد يجوز أن تقع الأفعال الماضية في الجزاء على معنى المستقبلية، لأن الشرط لا يقع إلا على فعل لم يقع، وذلك قولك: "إن أتيتني أكرمتك، ألا ترى أنك تقول زيد يذهب يا فتى، فيكون لغير الماضي فإن قلت: لم يذهب زيد، كان "لم" نفياً وصار معناه، لم يذهب زيد أمس، واستحال لم يذهب زيد غداً².

ويراعي أبو حيان هذه الشرط، لبيان دلالة الماضي على الاستقبال عند شرحه قوله تعالى: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)³. فيرى أن الفعل الماضي، المصحوب بقد، والواقع جواباً للشرط في الظاهر، قد يكون ماضي اللفظ، مستقبل المعنى⁴. ومثل هذا (فَإِنْ آسَلَّمُوا فَقَدْ إِهْتَدَوْا)⁵، أي إن دخلوا في الإسلام، فقد حصلت لهم الهداية، وعبر بصيغة الماضي، المصحوب بقد، الدالة على التحقيق، مبالغة في الإخبار بوقوع الهدى⁶.

¹ - م. نفسه، 145/2.

² - المقتضب، 50/2.

³ - سورة البقرة، الآية 269.

⁴ - البحر المحيط، 685/2.

⁵ - سورة آل عمران، الآية 20.

⁶ - البحر المحيط، 74/3.

ومثله أيضا قوله تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا)¹ فجواب

الشرط قوله: فقد اهتدوا، وليس الجواب محذوفا في قوله: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ

مِّن قَبْلِكَ)²، لمعنى تكذيب الرسل قطعاً، واستقبال الهداية هنا؛ لأنها معلقة على مستقبل، ولم

تكن واقعة قبل³. إذ الآية تدل على أن الهداية موجودة، قبل هذا الاهتداء، وتلك الهداية، لا يمكن

حملها، إلا على الدلائل التي نصبها الله تعالى، وكشف عنها، وبين وجوه دلالتها⁴. ولذلك قال

الزجاج " فقد اهتدوا؛ أي فقد صاروا مسلمين مثلكم"⁵.

• القصد بالماضي القطع بوقوع الخبر:

ويطرح هذا الجانب في كثير من الآيات، التي تخبر المخاطبين بما سيقع يوم القيامة، وما

يرتبط به من أحداث، إذ يتأكد للسامع حقيقة وقوع الخبر، وقطعيته وثبوته، ففي قوله تعالى (وَلَفَدُ

جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَفْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)⁶. تكون "جئتمونا" من الماضي الذي أريد به

المستقبل، وقيل هو ماض على حقيقته محكي، فيقال لهم ذلك حالة الوقوف بين يدي الله للجزاء

والحساب⁷. ومعنى الآية: أنه يقال لهم يوم معادهم هذا، كما قال: (وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَبَاحاً

¹ - سورة البقرة، الآية 137.

² - سورة فاطر، الآية 4.

³ - البحر المحيط، 653/1.

⁴ - اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الحنبلي، 523/2.

⁵ - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 214/1.

⁶ - سورة الأنعام، الآية 94.

⁷ - البحر المحيط، 587/4.

لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَفْنَاكُمْ¹ أَوَّلَ مَرَّةٍ¹، أي كما بدأناكم أعدناكم، وقد كنتم تتكرون ذلك، وتستبدون، فهذا يوم البعث². إذ المجيء هنا محقق مستقبلا، لا محالة، وهو ما جعل الماضي يدل على المستقبل.

فجئتمونا هنا فيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى المستقبل، أي تجيئوننا، وإنما أبرزه في صورة الماضي لتحقيقه كقوله: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ)³ وقوله: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ)⁴.

والثاني: أنه ماض، والمراد به، حكاية الحال بين يدي الله، يوم يقال لهم ذلك، فذلك اليوم يكون مجيئهم ماضيا بالنسبة إلى ذلك اليوم⁵.

وفي قوله تعالى: (قَالَ فَدْ وَعَع عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ)⁶. يكون معنى "وقع عليكم" حل بكم، وتحتم عليكم، فقوله "قد وقع"، على حقيقته من المضي، وإن كان العذاب، فيكون من جعل الماضي موضع المستقبل، لتحقيق وقوعه⁷.

¹ - سورة الكهف، الآية 48.

² - تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير، 303/3.

³ - سورة النحل، الآية 1.

⁴ - سورة الأعراف، الآية، 43.

⁵ - الباب في علوم الكتاب، 292/8.

⁶ - سورة الأعراف، الآية 71.

⁷ - البحر المحيط، 89/5.

وفيد الماضي الدلالة على المستقبل، في قوله تعالى: (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا)¹، أي

ظهروا من قبورهم إلى جزاء الله وحسابه... وعبر باللفظ الماضي، لصدق المخبر به، فكأنه قد وقع².

وفي قول تعالى: (يَفْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْفَيْمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارُ)³. جاء فأوردتهم بصيغة

الماضي، للتنبيه على تحقيق وقوع ذلك الإيراد، وإلا فقرينة قوله تعالى: "يوم القيامة" تدل على أنه لم يقع في الماضي⁴.

• إذا كان سياق الكلام يفيد الوعد أو الوعيد:

بمعنى أن الفعل الماضي، داخل تركيب الآية الواحدة، يفيد الوعد بالخبر وصدقه، ونجد

هذا في قوله تعالى: (أَتَبَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)⁵. فقد

ذكر الواحدي عن ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: (إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)⁶. قال

الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون،

فننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً، فأنزل الله تعالى: (إِفْتَرَبَ

لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)⁷ فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام،

¹ - سورة إبراهيم، الآية 21.

² - البحر المحيط، 415/6.

³ - سورة هود، الآية 98.

⁴ - التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، 325/11.

⁵ - سورة النحل، الآية 1.

⁶ - سورة القمر، الآية 1.

⁷ - سورة الأنبياء، الآية 1.

قالوا: يا محمد، ما نرى شيئاً، مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى (أَتَبَىٰ أَمْرُ اللَّهِ)¹، فوثب النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع الناس رؤوسهم، فنزل (فلا تستعجلوه) فاطمأنوا².

إن سبب نزول الآية، يجلي مفهوم الوعد والوعيد، في الفعل الماضي أتى، وإذا نظرنا إلى قول العلماء في لفظ "أتى" ألفيناها ثلاثة أقوال: **القول الأول:** إن المراد بـ"أتى" يأتي، كما هو واضح بسبب النزول. **القول الثاني:** إن المراد بـ"أتى" قرب ودنا، أي جاء أمر الله، وبدأت معالمه، وهو نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم. **القول الثالث:** إن المراد بـ"أتى"، بقاء الفعل على حاله الماضية، والمعنى أتى أمر الله وعدا، فلا تستعجلوه وقوعا.

فتفسير قوله تعالى: "أتى أمر الله"، يعني أتى بعض أمر عذاب الله، وهو الجذب الذي نزل بهم والجوع، وقوله "فلا تستعجلوه"، أي فينزل بكم مستقبلا، كما نزل ماضيا³.

لكن التمعن في سبب النزول، يجلي مفهوم الوعد والوعيد، الذي يعكسه سياق الكلام، لهذا يبقى الفعل الماضي "أتى"، في هذا السياق، مفيدا لمعنى الإتيان في المستقبل، بمعنى سيأتي أمر الله. وقيل: "عبر بالماضي عن المضارع، لقرب وقوعه وتحققه، وفي ذلك وعيد للكفار⁴، إذ لما كان معظم أغراض هذه السورة، زجر المشركين عن الإشراك وتوابعه، وإنذارهم سوء عاقبة ذلك، وكان قد تكرر وعيدهم، من قبل في آيات كثيرة، بيوم يكون هو الفارق بين الحق والباطل، فتزول فيه شوكتهم، وتذهب شدتهم، وكانوا قد استبطأوا ذلك اليوم، حتى اطمأنوا أنه غير واقع، فصاروا يهزؤون بالنبي، صلى الله عليه وسلم، والمسلمين، فيستعجلون حلول ذلك اليوم، صُدِّرت السورة بالوعيد، المصوغ في صورة الخبر، بأن قد حل ذلك المتوعد به، فجاء بالماضي، المراد به

¹ - سورة النحل، الآية 1.

² - أسباب النزول: الواحدي، 278/1.

³ - أسباب النزول، 278/1.

⁴ - البحر المحيط، 503/6.

المستقبل، المحقق الوقوع بقرينة تفريع، وهي قوله فلا تستعجلوه؛ لأن النهي عن استعجال حلول ذلك اليوم، يقتضي أنه لما يحل بعد¹.

إن مرجعية دلالة الماضي "أتى" على الاستقبال، هو قرينة الوعيد المفهومة من قوله "أمر الله"، ومن قوله "فلا تستعجلوه"؛ لأنه لو وقع ما استعجل².

وفي قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقْرَعُ مَسَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَسَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ)³، يذهب أبو حيان إلى أن الماضي (قَرَعَ) يدل على الاستقبال، باعتماده قرينة صدق وصحة وقوع الوعيد والوعد، بقوله: "عبر بالماضي في قوله: (فقرع)، وإن كان لم يقع، إشعاراً بصحة وقوعه، وأنه كائن لا محالة"⁴، ويمثل أبو حيان لهذا الصنيع الأسلوبى والحكم الصرفي للفعل الماضي بقوله تعالى: (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ) بعد قوله (يَفْدُمُ قَوْمَهُ)⁵.

2- الفعل المضارع:

إذا كانت صيغة الفعل الماضي، تدل في أصل وضعها على الحدث المنقضي، أو على الانقطاع، كما عبر عنه أبو حيان، في غير موضع من تفسيره البحر المحيط، فإن الأصل في دلالة صيغة المضارع، هو الحال والاستقبال، وقد يستعمل استعمالاً أخرى، يستجوبها السياق، والقرائن اللفظية والحالية، فيجيء في كثير من الآيات، بعد الماضي لغايات عديدة، قد تفيد مضي

¹ - التحرير والتنوير، 96/14.

² - روح المعاني: الآلوسي، 334/7.

³ - سورة النمل، الآية 87.

⁴ - البحر المحيط، 272/8.

⁵ - سورة هود، الآية 98.

الحدث وانقضاءه، وقد تفيد استمرارية الماضي ودوامه، وقد تفيد الدعاء، أو تفيد الأمر، أو الكف عن الفعل، وقد تفيد مشاركة الفعل، أي الاقتراب منه.

ونمثل لهذه الاستعمالات بنوعين: نوع يُستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث، قد مضى وانقضى، ونوع آخر، يستعمل فيه المضارع، للدلالة على حدث، يقع في الحال والاستقبال، وهذا ما عبر عنه "الزمخشري بمصطلح "حكاية الحال"¹، وأشار إليه أبو حيان في مواضع عديدة من تفسيره، بقوله: "وضع المضارع موضع الماضي"².

فصيغة المضارع لها إمكانات دلالية خاصة، فهي توضح الحال، وتستحضر صورة الحدث، حتى كأن الإنسان يشاهده أمامه، لكن هذا الأمر ليس على إطلاقه، لأنه قد يوجد أفعال مستقبلية معطوفة على أفعال ماضية، ولا تفيد حكاية الحال؛ لأن ضروب عطف المضارع، قسمان: قسم يتم فيه الإخبار عن ماضٍ بمستقبل، لغرض دلالي، مثاله (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا)³. فالفعل "تثير"، قد جاء معطوفاً على فعل ماضٍ، أو واقعا بين ماضيين، مما جعله يدل على حكاية الحال، التي يقع فيها إثارة الريح السحاب، واستحضار تلك الصورة البديعة، الدالة على القدرة الباهرة. والقسم الآخر، لا يقع فيه المضارع للإخبار عن الماضي، وإنما يدل على المستقبل، غير الماضي، مثال ذلك، قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن

¹ - الكشف، 315/2 و 614 و 709.

² - البحر المحيط، 348/1 و 199/12.

³ - سورة فاطر، الآية 9.

سَبِيلِ اللَّهِ)¹، فعطف المستقبل على الماضي، دليل على أن كفرهم كان ووجد، وأن صدهم متجدد على الأيام، لم يمض كونه، وإنما هو مستمر، يستأنف في كل حين².

ومن استعمالات الفعل المضارع:

• استمرارية الحدث الماضي:

قال تعالى: (فَلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)³. إذ يوجه الله

سبحانه وتعالى خطابه، في هذه الآية الكريمة، إلى بني إسرائيل، على لسان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيقول له: "قل يا محمد ليهود بني إسرائيل: "معشر اليهود -إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم- لم تقتلون أنبياءه، وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم باتباعهم، وطاعتهم، وتصديقهم، وذلك من الله تكذيب لهم، في قولهم: نؤمن بما أنزل إلينا، وتعير لهم⁴.

فالفعل تقتلون في الآية، جاء بصورة المضارع، والمراد به الماضي، إذ المعنى، قل فلم قتلتم، ويوضح ذلك، أن هؤلاء الذين بحضرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لم يصدر منهم قتل الأنبياء، وأنه قيد بقوله: "من قبل" فدل على تقدم الفعل⁵.

إن المعتمد في توجيه أبي حيان للفعل تقتلون قرينتان: قرينة حالية: مستمدة من واقع من كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرينة لفظية: تتضح من القيد المذكور في الآية، وهو قوله تعالى: (مِنْ قَبْلُ).

¹ - سورة الحج، الآية 22.

² - المثل السائر، 145/2.

³ - سورة البقرة، الآية 91.

⁴ - تفسير القرآن العظيم، 328/1.

⁵ - البحر المحيط، 493/1.

إن فائدة المستقبل، كما اتضح من الآية، هو تكذيب اليهود، وتوبيخهم، وتبكيتهم على سوء حوارهم، وكذب زعمهم، وأنهم مشاركون في فعل القتل، كأنهم فئة واحدة، في الإقبال على عداوة الأنبياء، والتفكير في إزهاق أرواحهم، ظلما وعدوانا، واستمرارهم على ما مضى من فعل أسلافهم. ويثبت هذا بما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة من اليهود، أهدت شاة مسمومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليها فقال: من حملك على ما صنعت؟ قالت: أردت إن كنت نبيا، فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبيا أريح الناس منك¹.

لقد تيقظ أبو حيان، في تفسيره البحر المحيط، إلى أن صيغة تقتلون، لها معنيان المعنى الأول: أن تقتلون دالة على حكاية الحال الماضية. المعنى الثاني: أن تقتلون دالة على الاستمرار والدوام. غير أننا وإن فقدنا القرينة اللفظية في الآيات الأخرى، فإن القرينة الحالية، تبقى دالة على أن الخطاب موجه لليهود، وحالتهم في علاقاتهم السيئة مع الأنبياء.

ويرى أبو حيان، أنه قد لا يلحظ في الفعل المضارع زمان معين من حال أو استقبال، فيدل إذ ذاك على الاستمرار، ومنه قوله تعالى: (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)². وقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ)³. إذ الفعل "يصدون" فعل مضارع، وقع موقع الماضي، لكنه عبر بالمضارع، لاستحضار الصورة الماضية، تهويلا لأمر الصد⁴. ويرى ابن عطية أن المضارع هنا، ليس بمعنى الماضي، وإنما وقع موقعه، لدلالته على استمرار الحدث الماضي، وهو فعل "الصد"، فالمراد هنا تجدد الحال واستمراره ودوامه⁵. ويرجع الفخر الرازي، سبب

¹ - مسند الإمام أحمد، 279/4.

² - سورة الأنفال، الآية 48.

³ - سورة الرعد، الآية 28.

⁴ - البحر المحيط، 31/12.

⁵ - المحرر الوجيز، 115/4.

ذكر الصد بصيغة الفعل المضارع، أن الصد حصل في زمن بداية الرسالة والنبوة¹ وأما مجيء عطف المضارع على الماضي، فيعود إلى أن الله تعالى نبه إلى أن كفرهم ثابت، وصددهم متجدد على ممر الأوقات وتكرر الساعات².

ومما جاء فيه المضارع مفيدا للاستمرار، قوله تعالى: (يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا)³. إذ جاء (يخادعون) بلفظ المضارع، لا بلفظ الماضي، لأن الماضي يشعر بالانقطاع بخلاف المضارع⁴. وفي قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)⁵. قالوا: يريد هنا بمعنى أراد، فهو مضارع أريد به الماضي، والأولى أن يراد به الحالة الدائمة هنا، لأن المضارع هو الموضوع لما هو كائن لم ينقطع، والإرادة صفة ذات لا صفة فعل، فهي ثابتة له تعالى دائما، وظاهر اليسر والعسر العموم، في جميع الأحوال الدينية والدنيوية⁶.

• التجدد والتكرار:

- إذا وقع في سياق المدح والذم:

¹ - التفسير الكبير: الفخر الرازي، 491/15.

² - المثل السائر، 14/2.

³ - سورة البقرة، الآية 8.

⁴ - البحر المحيط، 95/1.

⁵ - سورة البقرة، الآية 185.

⁶ - البحر المحيط، 199/2.

إذا كان الغرض من الخطاب، بيان دوام الفعل، واستمراره، ومن ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)¹. إذ "جعل صلات الذين أفعالا مضارعة، ولم يجعل الموصول "أل"، فيصله باسم الفاعل، لأن المضارع مشعر بالتجدد والحدوث، بخلاف اسم الفاعل؛ لأنه عندهم مشعر بالثبوت، والأمدح في صفة المتقين تجدد الأوصاف"².

ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۚ إِنَّهُمْ إِلَيْنَا يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ)³. فقد أخبر سبحانه وتعالى، أن من يكتم ما بينه الله تعالى لعباده، سيليقي لعنة الله، والملائكة والمؤمنين، وأتى بالفعل المضارع، المقتضي التجدد، لتجدد مقتضيه، وهو قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ)، ولذلك أتى صلة الذين فعلا مضارعا، ليدل على التجدد، لأن بقاءهم على الكتمان، هو تجدد كتمان⁴، أي تجدد كتمانهم لشريعة الله، فهم ماضون، مستمرون، في هذا الفعل القبيح، وباقون عليه.

فالأفعال "يقيمون" و"ينفقون" و"يؤمنون"، جاءت في معرض المدح؛ لذلك أفادت تجدد وتكرار الصفة، وكذلك الفعل "يكتُمون"، الذي جاء في سياق الذم، إذ الخطاب هنا، جاء بلفظ المضارع، لا بلفظ الماضي، لدلالة المضارع على الديمومة، في سياق المدح والذم.

- إذا وقع بعد كان:

¹ - سورة البقرة، الآية 3.

² - البحر المحيط، 96/1.

³ - سورة البقرة، الآية 159.

⁴ - البحر المحيط، 68/2.

في قوله تعالى: (وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)¹. يفيد "ما كان يعبد آباؤنا" حكاية

حال ماضية². فالظاهر أنهم أنكروا، أن يتركوا أصنامهم، ويفردوا الله بالعبادة، مع اعترافهم بالله، حباً لما نشأوا عليه، وتآلفا لما وجدوا آباءهم عليه، ويحتمل أن يكونوا منكرين لله، ويكون قولهم لنعبد الله وحده، أي على قولك يا هود، ودعواك قاله ابن عطية، فلما لم يكن لهم أن يجيبوا عن حجة النبي هود عليه السلام، عدلوا إلى التقليد فقالوا: أجبنا على سبيل الاستهزاء؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة³.

ويرى أبو حيان في قوله: (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)⁴، أن الذي حملهم

على جحود آيات الله، وقتلهم الأنبياء، إنما هو تقدم عصيانهم واعتدائهم، فجبرهم هذا على ذلك، إذ المعاصي بريد الكفر، والاعتداء هنا، يراد به تجاوز ما حد الله لهم، من الحق إلى الباطل، والتمادي على المخالفة، وقتل الأنبياء، ونقض العهد، والمخالفة، والإقامة على ذلك الزمن الطويل⁵.

والذي يفهم من كلام أبي حيان، أن الكفار بقوا مستمرين على حالهم من الاعتداء؛ لذلك

جاءت صيغة المضارع، بعد كان مفيدة لذلك، ومشعرة بالاستمرار، على الوصف المنسوب إليهم.

¹ - سورة الأعراف، الآية 68.

² - البحر المحيط، 176/6.

³ - م. نفسه، 18/5.

⁴ - سورة البقرة، الآية 61.

⁵ - البحر المحيط، 383/1.

3- فعل الأمر:

نأتي بعد البحث في دلالة الفعل الماضي، والمضارع، إلى القسمة الثالثة من أقسام الفعل، والتي يعبر عنها بصيغة "إفعل" كقولنا: "اقرأ"، وهي صيغة يطلق عليها علماء اللغة، فعل الأمر، لأنها تفيد الطلب؛ أي طلب حصول شيء في الزمن المستقبل.

والأصل في صيغة الأمر "إفعل"، لكن قد يدل عليه صيغ أخرى، لأنها تحمل علامته الأصلية، وهي دلالاته على الطلب، مثل الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل أمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، وبعض الأساليب التي تفيد بمعناها اللغوي الأمر بالقيام بشيء مثل: أنتم مأمورون بهذه المسألة.

إن كل صيغة، تفيد طلباً، ممن هو دون المتكلم، تدل على أنها أمر؛ لذلك جاء في التعريفات للجرجاني: الأمر هو قول القائل لمن هو دونه: "إفعل"¹، ويقول ابن يعيش: طلب الفعل بصيغة مخصوصة². يفيد هذان التعريفان أن ضابط فعل الأمر، دلالاته على الطلب، وأن هذا الطلب، واقع في حيز المستقبل، فتكون دلالاته الزمنية، مقطوع بها، لكنه قد يعدل به عن هذه الدلالة الزمنية، كما خرج الفعل الماضي، والمضارع إلى معان أخرى تحكمها القرائن، ويضبطها السياق، فيكون الأمر للوجوب، أو النذب، أو الإباحة، أو الدعاء أو للوعيد، أو التعجيز... وبهذه الاستعمالات يفقد فعل الأمر دلالاته على الزمن، ويسلب حقيقته الأصلية، وهذا أمر أقره العلماء المفسرون، إذ يرون أن الأصل في صيغة الأمر، عند ورودها في القرآن، تدل على وجوب الفعل، لكن قد يعدل بها إلى غير معنى الوجوب، إذا قامت قرينة، تدل على أن المراد غير الوجوب.

¹ - التعريفات، 37/1.

² - شرح المفصل، 58/7.

ومن خلال تتبع ما ورد في تفسير أبي حيان، وجدنا أن صيغة الأمر تأتي في سياقات عدة، وتكون غير قطعية التحقق في المستقبل مثال ذلك:

• الوجوب:

يميل أبو حيان، في كثير من أفعال الأمر في القرآن إلى إفادتها الوجوب، ما لم تكن قرينة مانعة من ذلك. ومن الآيات التي استحضر فيها إفادة صيغة الأمر معنى الوجوب، قوله تعالى: (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُفْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)¹. ومعنى الآية، أن الله يقول للأزواج: يا معشر الأزواج، ليس عليكم جناح وإثم تطليق النساء، قبل المسيس، وفرض المهر، وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه يجبر بالمتعة، فعليكم أن تمتعوهن، بأن تعطوهن شيئاً من المال، جبراً لخواطرهن. ويرى أبو حيان أن معنى متعوهن ملكوهن ما يتمتعن به، ويحمل قوله تعالى (متعوهن) على الوجوب².

وفي قوله تعالى: (فَلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)³، يكون المعنى، أن الله أمركم بالاستقامة في عبادته، في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات، فيما أخبروا به عن الله تعالى، وما جاءوا به عنه من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل، حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صواباً موافقاً للشرعية، وأن يكون خالصاً من الشرك⁴. وعن ابن عباس، والضحاك، إذا حضرت الصلاة، فصلوا في كل مسجد، ولا يقل أحدكم: "أصلي في مسجدي"، وعن مجاهد،

¹ - سورة البقرة، الآية 236.

² - البحر المحيط، 530/2.

³ - سورة الأعراف، الآية 29.

⁴ - تفسير القرآن العظيم، 153/8.

توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، كما تقول: "وجهت وجهي"¹. فالفعل "أقيموا" جاء للدلالة على أنه ما دام أمر الله بالقسط أمراً أزلياً كوناً وشرعاً، فحكم أن تتفعلوا لأمره الكوني، ومراده الشرعي، فتحققوا معنى القسط في حياتكم، بإقامة وجوههم للصلاة له، عند كل مسجد. فالأمر هنا، يدل على طلب الفعل على سبيل الوجوب، ويحمل في طياته الزمن الحاضر والمستقبل، وقد أفاد المتلقين العناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكذ فرائض الله على عباده، وقد ورد مثل هذا في مواقع عديدة من تفسير البحر المحيط².

• الإباحة:

يقصد بالإباحة التخيير، بين الفعل وتركه، أو هي الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل³. ومما دل على الإباحة من أفعال الأمر، قوله تعالى: (وَفُلْنَا يَبْعَادَمْ سَكْرَ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ)⁴. يقول أبو حيان: "قالوا ومعنى الأمر هنا، إباحة السكن، والإذن فيها، مثل (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا)⁵، وقوله: (فَإِذَا فُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ)⁶؛ لأن الاستقرار في المواضع الطيبة لا يدخل تحت التعبد⁷.

• سرعة تحقق الحدث وحصوله:

¹ - البحر المحيط، 5/ 37.

² - البحر المحيط، 3/ 527 - 4/ 188 - 6/ 593.

³ - الابهاج في شرح المنهاج، 1/ 52.

⁴ - سورة البقرة، الآية 35.

⁵ - سورة المائدة، الآية 1.

⁶ - سورة الجمعة، الآية 10.

⁷ - البحر المحيط، 1/ 251.

قال تعالى (بَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسِيِينَ)¹، فالخطاب موجه لبني إسرائيل،

يقول لهم الله تعالى: "ولقد علمتم يا معشر اليهود، ما حل من البأس بأسلافكم، من أهل القرية التي عصت أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه، فيما أخذه عليهم، من تعظيم السبت، والقيام بأمره، فلما اعتدوا في السبت، مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل والظاهر، فمسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة²."

قال أبو حيان: "فقلنا لهم 'كونوا'، أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة، لأن صيرورتهم إلى ما ذكر، ليس فيه تكسب لهم، لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قردة، بل المراد منه، سرعة الكون، على هذا الوصف، كقوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، والمراد أنه لما أراد منهم ذلك، صاروا إليه³."

• كيفية وقوع الحدث:

في قوله تعالى (بَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ)⁽⁴⁾ يدل فعل الأمر (موتوا) على

وقوع الحدث، بسرعة وقوة، شملت جميع المخاطبين. وفي قوله تعالى على لسان هود عليه السلام: (إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)⁵. نقل أبو حيان في بيان المقصود بقوله: (واشهدوا) قول الزمخشري، وسكت عنه دون تعليق، مما يدل على مناصرة قوله وتأبيده، يقول الزمخشري: فإن قلت هلا قيل: إني أشهد الله، وأشهدكم. قلت: لأن إشهد الله على البراءة من

¹ - سورة البقرة، الآية 65.

² - تفسير القرآن العظيم، 10/1.

³ - البحر المحيط، 397/1.

⁴ - سورة البقرة، الآية 243.

⁵ - سورة هود، الآية 53.

الشرك، إشهدا صحيح، ثابت في معنى تثبيت التوحيد، وأما إشهدا هم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول، لاختلاف بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة انتهى¹.

ففي الأمر "اشهدوا"، دلالة واضحة، على البراءة التامة، بين الطرفين، وعلى التحدي القوي، من نبي الله هود لقومه، وعلى بهتان، وحقارة الطرف المحاور، والمخاطب، وهذا مفهوم من طبيعة خطاب نبي الله هود لهؤلاء الأقوام، ومن مدى إدراكهم لحقيقة، ومغزى الخطاب، فالغرض هو إقامة الحجة عليهم، بخطابهم بفعل الأمر الدال على التحدي، وقوة الدليل.

ومما دل على التحدي والتعجيز قوله تعالى (فَلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْفاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا فُلِ الذِّمَّةِ بَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ)². والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة، وإلى رطوبة الحي، بعدما كنتم عظاما يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هي عمود خلقه الذي ينبني عليه سائر، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى. ولو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي، ومن جنس ما ركب به البشر، وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا. مع أن طباعها القساوة والصلابة، لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة، أو خلقا مما يكبر عندكم، من قبول الحياة، ويعظم في زعمكم على الخالق إحياءه فإنه يحييه³.

فقوله: "كونوا"، يدل على التحدي والتعجيز، كما قال ابن عطية، وكما هو مستفاد من كلام الزمخشري، لكن أبا حيان، يستبعد أن يدل فعل الأمر "كونوا" على التحدي والتعجيز، إلا إذا اقتضى

¹ - البحر المحيط، 6/168.

² - سورة البقرة، الآية 50.

³ - الكشف، 2/671.

الأمر، ما لا يقدر عليه المخاطب، وعزز قوله هذا بقول مجاهد: المعنى كونوا ما شئتم، فستعادون، وقول النحاس: وإنما المعنى، أنهم قد أقرؤا بخالقهم، وأنكروا البعث، ف قيل لهم: استشعروا أن تكونوا ما شئتم، فلو كنتم حجارة أو حديدا، لبعثتم كما خلقتهم أول مرة¹.

ومما جاء على سبيل التعجيز، قوله تعالى: (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ)².

إذ قرأ عيسى على الأمر، وهو على إضمار القول، أي فيقال لهم: استبقوا الصراط، وهذا على سبيل التعجيز، إذ لا يمكنهم الاستباق مع طمس الأعين³. ونجد هذا المعنى، حاضرا في القراءة الأخرى، التي وردت بصيغة الماضي "فاستبقوا"، إذ لا يتحقق لهم جواز الصراط، وقد طمست أعينهم، وأبصارهم.

ويتحقق معنى التعجيز والتحدي في قوله تعالى: (فَالْإِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ قَاتٍ

بِهَآءٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)⁴. إذ لما عرض موسى عليه السلام رسالته على فرعون، ذكر

الدليل على صدقه، وهو مجيئه بالبينة والخارق المعجز، استدعى فرعون منه خرق العادة، الدال على الصدق، وهذا الاستدعاء يحتمل أن يكون على سبيل الاختبار، ويحتمل أن يكون على سبيل التعجيز، لما تقرر في ذهن فرعون، أن موسى لا يقدر على الإتيان ببينة، والمعنى إن كنت جئت بآية من ربك، فأحضرها عندي، لتصح دعواك ويثبت صدقك⁵

¹ - البحر المحيط، 62/7.

² - سورة يس، الآية 66.

³ - البحر المحيط، 79/9.

⁴ - سورة الأعراف، الآية 106.

⁵ - البحر المحيط، 129/5.

• الاستمرار على الحال والديمومة عليه:

إذا كان المخاطب متلبساً بالفعل، وقد أمر به، فإن الأمر هنا يفيد الاستمرار والدوام والثبوت. ومنه قوله تعالى (بَاسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَسَّ تَابَ مَعَكَ¹). والمعنى فاستقم على القرآن أو بالجهاد أو التوحيد أو الإخبار عن الله بصحة العزم أو على جادة الحق². قال ابن عطية: أمر بالاستقامة، وهو عليها، وهو أمر بالدوام والثبوت³.

وقال أبو حيان: والخطاب للرسول وأصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الأمة⁴. ويؤكد هذا المعنى قوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁵)، إذ المعنى بطلب العلم، الديمومة عليه؛ لأنهم عالمون بذلك، وفي ذلك تنبيه، على أنه يعلم نياتكم في المضار والاعتداء على أنفسكم، "واتقوا يوماً" أمر بالانتقاء، وكأنهم لما أمروا بذكر النعم، وتفضيلهم ناسب أن من أنعم عليه يكون محصلاً للتقوى. فأمروا بالإدامة على التقوى، أو بتحصيل التقوى، إن عرض لهم خلل⁶.

¹ - سورة هود، الآية 112.

² - البحر المحيط، 220/6.

³ - المحرر الوجيز، 214/3.

⁴ - البحر المحيط، 220/6.

⁵ - سورة البقرة، الآية 231.

⁶ - البحر المحيط، 306/1.

الفصل الثالث

التحويلات الداخلية

في أبنية الأفعال

المبحث الأول: الإبدال في بناء افتعل

الإبدال مصدر للفعل "أبدل"، ويراد به تنحية الأول وجعل الثاني مكانه¹. وأبدلت الشيء بغيره، وبَدَّلَهُ الله من الخوف أمناً، وتبديل الشيء تغييره، وإن لم يأت ببدل، وقيل: الأصل في التبديل، تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل الشيء مكان شيء آخر، كإبدالك من الواو تاء في (تالله)². والإبدال مشتق من أبدل الرباعي، وهو ما يناسب التعريف الاصطلاحي، الذي يفيد "جعل حرف مكان حرف غيره"³، أي وضع حرف مكان حرف آخر، وهو مما يختص بالحروف الصحيحة والمعتلة، والهدف منه التخفيف، وما هو في الواقع إلا لهجات، وقعت على دلالات متفككة ومختلفة من حيث البنية التركيبية، ولو بحرف من أجل التباين⁴.

ولعل سبب الإبدال في العربية يعود إلى "عدم تجانس الحروف بعضها ببعض، أو بين الحروف والحركات؛ لأن في عدم التجانس ثقلاً، يدعو إلى التغيير"⁵. والذي يظهر أن الغرض من كل درجات التأثير الصوتي في عملية الإبدال، هو التقارب والتيسير في جريان العملية النطقية، بالإضافة إلى الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول⁶.

وما يهمنا هنا هو الإبدال الذي يخص صيغة "الافتعال"، والذي يتحقق في بناء ما جاء حرفه مطبقاً، فإذا كانت فاء الكلمة من حروف الإطباق الأربعة، وهي (ص/ض/ط/ظ)، فإن ورود التاء تالية لهذه الحروف، يكون فيه انتقال من صفة الإطباق إلى صفة الاستفال، وهذا غير مألوف

¹ - المصباح المنير: الفيومي، مادة (بدل).

² - لسان العرب، مادة، (بدل).

³ - شرح شافية ابن الحاجب، 3/197.

⁴ - علم الصرف الصوتي، ص: 428.

⁵ - الأصوات اللغوية، ص: 130.

⁶ - علم الصرف الصوتي، ص: 429.

في اللغة، فتبدل التاء طاء، ليكون الحرفان المتجاوران مطبقين، وذلك لحصول التجانس الصوتي في الكلمة الواحدة¹.

وتبدل التاء دالا في صيغة "افتعل" ومشتقاتهما، شريطة أن تكون فاء البناء دالا أو زايًا أو ذالا، فالتاء صوت مهموس، والأصوات التي هي فاء الكلمة، كلها مجهورة، إذ يحدث تأثير، يؤدي إلى تغيير تاء "الافتعال" إلى صورة أخرى، تحقيقًا للانسجام الصوتي بين الحروف². ويرى ابن مالك أن هذا الإبدال واجب لعدة التخفيف، لأن وقوع التاء بعد حروف الإطباق مستثقل³.

1- في قوله تعالى: (وَلَقَدْ إِصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا)⁴.

الاصطفاء: الانتخاب والاختيار، وهو افتعال من الصفو، وهو الخالص من الكدر والشوائب، أبدلت من تائه طاء؛ لأن ثلاثيه لازما، صفا الشيء يصفو، وجاء الافتعال منه متعديا⁵. فاصطفى: أصله، اصطفى، أبدلت فيه التاء طاء لزوما، لأنها جاءت بعد الصاد، وهو صوت احتكاكي - مفخم، مهموس، قد أثر تأثرا تقدما في التاء، وهو صوت مهموس مرقق، وهذا التأثير يدخل ضمن المماثلة التقديمية القياسية.

2- في قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ بَاءً مَّتَعَهُ، فَلَيْلًا ثُمَّ أَضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ)⁶ إذ

قرأ ابن محيصن "ثم اضطره" بإدغام الضاد في الطاء⁷ لأن أصل اضطره: اضتره، فأبدل من التاء

¹ - دراسات في علم الصرف: عبد الله درويش، ص: 116.

² - شرح شافية ابن الحاجب، 227/3.

³ - شرح الكافية الشافية، 2158/4.

⁴ - سورة البقرة، الآية 130.

⁵ - البحر المحيط، 599/1.

⁶ - سورة البقرة، الآية 126.

⁷ - البحر المحيط، 614/1.

طاء، لوقوعها تاء الافتعال بعد الضاد، حيث أثرت الضاد في التاء، تأثراً تقديمياً قياسيماً لازماً، كما وقع في الصاد مع الضاد، إلا أن الضاد عكس الصاد، فهو انفجاري مفخم مجهور. ويقاس على هذا، ما كان فاؤه تاء، أو طاء في افتعل، إلا أننا لم نجد ما يسعفنا من التمثيل لهما من البحر المحيط، فاكْتَفِينَا بما جاء فاؤه صاداً أو ضاداً في افتعل.

3- في قوله تعالى: (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا)¹، تم

إبدال التاء دالاً، لأن تزدري تفتعل، والدال بدل من التاء²، فأصل تزدري، تزتري بالتاء، أبدلت التاء دالاً، وبقيت الدال ظاهرة، فالزاي صوت احتكاكي مجهور، جاور التاء، وهو صوت انفجاري، مرقق، مهموس، فأثر الأول في الثاني لقوته.

4- في قوله تعالى: (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)³. قرأ

الجمهور "تدخرون" بدال مشددة، وأصله، إذخر من الذخر، أبدلت التاء دالاً فصار إذخر، ثم أدغمت الذال في الدال فقليل: ادخر، كما قيل ادكر... وقرأ أبو شعيب السوسي، في رواية عنه: وما تذخرون، بذال ساكنة، ودال مفتوحة من غير إدغام، وهذا الفك جائز، وقراءة الجمهور بالإدغام أجود، ويجوز جعل الدال ذالاً، والإدغام، فتقول ادخر بالذال المعجمة المشددة⁴.

ففي جميع القراءات المذكورة في هذا النص، حصل إبدال التاء دالاً، سواء أظهرنا الدال، أم أدغمناها في الذال، إلا أن أبا حيان فضل القراءة بالإدغام، واعتبرها أجود.

¹ - سورة هود، الآية 31.

² - البحر المحيط، 146/6.

³ - سورة آل عمران، الآية 49.

⁴ - البحر المحيط، 166/3.

وإذا كانت فاء الكلمة واوا، كما في وعد ويسر، وضعنا منها كلمة على وزن افتعل، وما تفرع منها، فإن الواو أو الياء، في أول الكلمة، تقلب تاء، ثم تدغم التاء في التاء، وهذا كله مشروط بأن تكون الواو أو الياء أصليتين، غير مبدلتين من الهمزة، كما في "إئتمن" وكذلك في "انتزر" من الإزار، فشرط إبدال الواو والياء تاء، أن يقعا فاء للبناء "افتعل" ومشتقاته، ويكونا غير مبدلين من همزة.

5- في قوله عز وجل: (وَالْفَمْرِ إِذَا أَتَسَقَ)¹ . قال الفراء: اتساق القمر: امتلاؤه

واستواؤه، ليالي البدر، وهو افتعال من (الوسق) الذي هو الجمع. يقال وسقته فاتسق، ويقال: أمر فلان متسق: أي مجتمع على الصلاح منتظم². واتسق: أصله (إوتسق) على وزن افتعل، قلبت الواو تاء، ثم أدغمت في تاء الافتعال، طلباً لاختصار الجهد العضلي، والانسجام الصوتي، حيث أثرت التاء في الواو فأحالتها إلى التاء، ثم أدغمت التاء في التاء فصارتا حرفاً واحداً مشدداً. ومثل هذا ينطبق على الفعل (اتخذ)، رغم أن فاءه همزة (إتخذ) -حسب بعض الأقوال- كما سيأتي بيانه. لكن إذا كانت فاء الكلمة همزة، وبنيت منها افتعل، أبدلت تلك الهمزة ياء، وأقررتها هذا هو القياس، وقد تبدل هذه التاء فتدغم، وقيل: إن اتخذ مما أبدل فيه الواو تاء على اللغة الفصحى، لأن فيه لغة، أنه يقال: وخذ بالواو فصار في اتخذ أقوال:

- أحدها: أن التاء الأولى أصل.
- الثاني: أنها بدل من همزة.
- الثالث: أنها بدل من ياء أبدلت من همزة.
- الرابع: أنها أبدلت واواً أبدلت من همزة³

¹ - سورة الانشقاق، الآية 18.

² - البحر المحيط، 433/10.

³ - البحر المحيط، 317/1.

وتتلخص مذاهب العلماء في الفعل (اتخذ) في أربعة مذاهب نقر بها من خلال الجد

اتخذ

أن التاء الأولى بدل أصلية	أن التاء الأولى بدل من واو	أن التاء الأولى بدل من ياء	أن التاء الأولى بدل من ياء أبدلت من همزة
فالتاء الأولى في اتخذ أصلية، أدغمت في التاء الثانية فصارت (اتخذ). وهذا مذهب الفارسي؛ لأن العرب تقول (تخذ) بكسر الخاء، ووافقه على هذا أبو حيان الأندلسي.	أن التاء الأولى بدل من واو، أي إوتخذ فأبدلت الواو تاء، ثم أدغمت في التاء الثانية وأخذ به أيضا أبو حيان واعتبره لغة فصحى نقلا عن بهاء الدين أبي نصر الحلبي.	أن التاء الأولى بدل من ياء، أي ايتخذ فصارت اتخذ فأدغمت التاء في التاء فصارت (اتخذ)	أن التاء الأولى بدل من ياء أبدلت من همزة أي إئتخذ: إيتخذ، إئتخذ فوق الإدغام فصارت (اتخذ). وهو مذهب المهدي في شرح الهداية.

المبحث الثاني: الإدغام في بناء افتعل وتفعل.

الإدغام إدخال شيء في شيء، يقال: أدغمت اللجام في فم الفرس، أي: أدخلته فيه¹، والإدغام إفعال من المصطلحات الكوفية، والإدغام بتشديد الدال افتعال من المصطلحات البصرية²، وفي الاصطلاح يعني: "أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد"³، فحين يتم خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين، يحصل الإدغام، ويعرفه أبو حيان في كتابه ارتشاف الضرب بقوله: "رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة، والوضع بهما موضعا واحدا، إذا التقى المثلان في كلمة، والأول ساكن، وكانا همزتين، والأولى تلي الفاء"⁴.

والإدغام ضربان: صغير وكبير، فالصغير ما التقى فيه الصوتان، وكان الأول منهما ساكنا والثاني متحركاً⁵؛ أي أنه لا يفصل بين الصامتين صائتٌ. والكبير: ما تحرك فيه أول الصوتين، سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين⁶. وينقسم الإدغام عند أبي حيان إلى قسمين: إدغام المثلين وإدغام المتقاربين⁷.

¹ - العين: الفراهيدي، مادة "دغم".

² - شرح المفصل، 512/5.

³ - نفسه، 512/5.

⁴ - ارتشاف الضرب، 337/1.

⁵ - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش، 97/1. والنشر في القراءات العشر، 2/2.

⁶ - النشر في القراءات العشر، 274/1. الإتيان في علوم القرآن، 328/1.

⁷ - ارتشاف الضرب، 337/1.

وترتبط عمدة التقسيم الأول، بالنظر إلى حركة الحرفين، أما التقسيم الثاني، فبالنظر إلى صفة الحرفين المدغمين. ومن تقسيمات الإدغام، إدغام بغنة، وإدغام بغير غنة، ويشمل الإدغام الأكبر لدى ابن جني.

ويندرج الإدغام الكبير والصغير ضمن ما اصطلح عليه ابن جني بالإدغام الأكبر، وأما الإدغام الأصغر، فهو عنده تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك¹، وعدد منه الإمالة، والقلب الذي يقع بين التاء في افتعل وحروف الإطباق².

1_ في بناء افتعل:

أ_ في قوله تعالى: (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا)³. حيث "قرأ ابن كثير وأبو عمرو، ويعقوب، وأبان عن عاصم (لا تضار) بالرفع، أي برفع الراء المشددة، وهذه قراءة مناسبة لما قبلها، من قوله (لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) لاشتراك الجملتين في الرفع، وإن اختلف معناهما، لأن الأولى خبرية لفظاً ومعنى، وهذه خبرية لفظاً نهية في المعنى"⁴، وقرأ باقي السبعة لا تضار بفتح الراء نهياً، فسكنت الراء الأخيرة للجزم، وسكنت الراء الأولى للإدغام فالتقى ساكنان، فحرك الأخير منهما بالفتح، لموافقة الألف التي قبل الراء لتجانس الألف والفتحة⁵.

ولقد قاس أبو حيان فتح الحرف المجزوم في حال الإدغام نحو: "لا تضار" على فتحه، وهو ساكن في حال الترخيم، فعين البنية ولامها صحيحتان، لذلك تم الإدغام رغم عدم جوازه لدى

¹ - الخصائص، 141/2.

² - م. نفسه، 141/2-142-143.

³ - سورة البقرة، الآية 233.

⁴ - البحر المحيط، 502/2.

⁵ - م. نفسه، 502/2.

أهل الحجاز، لأن لام البنية ساكنة¹، وعلى هذا يقاس الإدغام في قوله "ومن يرتدّد" منكم، إلا أن الفرق بين الصيغتين، أن الأولى على وزن "يفاعل" والثانية على وزن "يفتعل".

ب- في قوله: (وَيَحْيِي مَنْ حَيٍّ عَرُ بَيِّنَةً)⁽²⁾. وفي قوله تعالى: (أَبْعَيْنَا بِالْخَلْوِ

الْأَوَّلِ)³. نقل أبو حيان عن ابن خالويه: أفعينا بتشديد الياء ابن أبي عبلة، وقال: "وفكرت في توجيه هذه القراءة، إذ لم يذكر أحد توجيهها، فخرجتها على لغة من أدغم الياء في الياء في الماضي، فقال عي في عيي وحي في حيي، فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه، ولم يَفكَّ الإدغام، فقال "عيّنا" وهي لغة لبعض بكر بن وائل⁴.

إن وقوع الإدغام في "حيي"، يرجع إلى وجود حرفين متحركين من جنس واحد⁵ لذلك ذهب أبو علي الفارسي إلى قياس الإدغام في "حَيٍّ" على عدم حذف الياء في الاسم المنقوص، في حالة النصب، نحو قولك: رأيت جوارِي، فبلزوم الحركة للياء شبه بالصحيح، كما شبه حيٍّ في الإدغام بالصحيح نحو: عضّ وشَمَّ⁶.

ج- في قوله تعالى: (وَلَا تَيَمَّمُوا)⁷ بتشديد التاء وقوله (وَلَا تَقَرَّفُوا)⁸ إذ أجاز أبو

حيان هذا الإدغام في حال الوصل، ومنعه في حال الابتداء، لأن البدء بالمدغم عنده، يعني البدء

¹ - معاني القرآن: الأخفش، 1/184.

² - سورة الأنفال، الآية 42.

³ - سورة ق، الآية 15.

⁴ - البحر المحيط، 9/533.

⁵ - معاني القرآن: الفراء، 1/411.

⁶ - الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، 4/140.

⁷ - سورة البقرة، الآية 267.

⁸ - سورة آل عمران، الآية 103.

بالساكن، ولا يمكن اجتلاب همزة وصل في المضارع، لذلك فإنه لا يجوز الابتداء به¹، وماجعله يثبت هذا الإدغام، إستناده إلى قراءة البزي التي تلقنتها الأمة بالقبول²، لأن أصل "تيمموا" "تتيمموا" فأدغم التاء في التاء، وذكر ابن الجزري، أنه كان يقرأ بإدغام التاء في التاء في مواضع كثيرة من القرآن، حتى صارت تعرف بتاءات البزي³.

د- في قوله تعالى: (بِإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُفُونَ)⁴، بإدغام تاء المضارعة في التاء في الأصل، وقرأ الباقر (تلقف) بحذف إحدى تاءيه، إذ الأصل (تتلقف)⁵، ومنه أيضا (وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)⁶ حيث "قرأ ابن محيصن "ولا تبدلوا" بإدغام التاء الأولى في الثانية⁷.

إن مستند أبي حيان في جواز الإدغام، هو النقل الصحيح، والقراءة الثابتة، إذ لا يجوز رد هذه القراءة وإنكارها، لأنها ثابتة عنده، فكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها⁸. ومن الملاحظ أن هذه النماذج من الإدغام، قد حصل فيها التجاور بين حرفين لهما نفس الصفة ونفس المخرج، مما استدعى أن يتأثر الأول بالثاني، فيفنى فيه، ليصيرا حرفا واحدا مشددا، تسهيلا لعمل نطق اللسان

¹ - البحر المحيط، 678/2.

² - م. نفسه، 679/2.

³ - النشر في القراءات العشر، 303/1.

⁴ - سورة الأعراف، الآية 117.

⁵ - البحر المحيط، 501/3.

⁶ - سورة النساء، الآية 2.

⁷ - البحر المحيط، 501/3.

⁸ - النشر في القراءات العشر، 9/1.

هـ - في قوله تعالى: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ)¹. حيث قرأ الحسن "يَخْطَفُ" بفتح

الياء والخاء، والطاء المشددة، ووجه ابن جني هذا الإدغام بقوله: "فأثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، ولأن التاء مهموسة، والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتاً من المهموس، ومتى كان الإدغام يقوي الحرف المدغم حسن ذلك"²، فأسكن التاء لإدغامها، والخاء قبلها ساكنة، فنقلت الحركة إليها وقلبت التاء طاء، وأدغمت في الطاء فصارت (يَخْطَفُ)³.

و- في قوله تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ

⁴)، بكسر الخاء، وتشديد الصاد في "يخضمون"، بإدغام التاء في الصاد، ونقل حركتها إلى الخاء⁵، ويعود تعليل الإدغام في "يخضمون" إلى أنه أبطل من تاء الافتعال صاداً، لأن التاء مهموسة، والصاد مطبقة مجهورة.

ويكون الإدغام في بناء "افتعل" من "دان" و"دعا" حيث نقول: ادعى وادان، والأصل إئتدان

/ واتدعى، لأن التاء تأثرت بنظيرها المجهور الأقوى فأصبحت دالا، فأدغمت الدال في الدال، ومن هذا جاءت ادعى / وادان ونحوهما⁶.

ز- في قوله تعالى: (أَقِمْنَ يَهْدِي إِلَى الْحَيِّ أَحْسَنَ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْسَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ

يُهْدَى)⁷، لأن أصل يهدي يهتدي، ثم أدغم التاء في الدال، ولم يلق حركة التاء على الهاء،

¹ - سورة البقرة، الآية 20.

² - المحتسب، 59/1. وإعراب القرآن، 35/1.

³ - التبيان في إعراب القرآن، 36/1. وانظر الكتاب 475/4.

⁴ - سورة يس، الآية 49.

⁵ - البحر المحيط، 71/9.

⁶ - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 201.

⁷ - سورة يونس، الآية 35.

شبهه بالحرفين المنفصلين، اللذين أدغم الأول في الثاني، ولا تلقي حركة الأول على ما قبله، بل تحذف، فبقيت الهاء ساكنة، وأول المدغم ساكن، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين¹. ففي مجموع القراءات الواردة في لفظة (يهدي) وقع الإدغام، إلا أن توجيهها يختلف باختلاف حركة الهاء، وحركة الياء قبلها.

ح- في قوله تعالى: (وَأَذْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)²، قال الأخفش "وإنما هي "افتعل" من "ذكرت"

فأصلها "أذْكَر" ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ومخرجاها متقاربان"³.

ط- في قوله تعالى: (بَادِرَاتُمْ)⁴ قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور بالإدغام، وقرأ أبو حيوة

(فَدَارَاتُمْ) على وزن تفاعلتم وهو الأصل"⁵، إلا أن قراءة أبي حيوة قراءة شاذة، مخالفة للرسم العثماني، لكنها تبين أصل قراءة الإدغام. ووضح السمين الحلبي ما وقع من الإدغام على لفظ "تدارأتم" فقال: "وأصل "ادارأتم": تدارأتم تفاعلتم من الدرع، وهو الدفع، فاجتمعت التاء مع الدال، وهي مقاربتها، فأريد الإدغام، فقلبت التاء دالا، وسكنت لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بساكن، فاجتلبت همزة الوصل ليبدأ بها فبقي "ادأرأتم" والأصل: "ادأرأتم" فأدغم، وهذا مطرد في كل فعل على تفاعل أو تفاعل، فأؤه دال نحو: تداين وادين، وتدين وادين"⁶. أي أن تدارأ مضارعه يتدارأ، وبالتسكين يتدارأ، والماضي منه تدارأ، وبهمزة الوصل انأرأ وبالإدغام ادأرأ"⁷.

¹ - الكشف عن وجوه القراءات، 518/1.

² - سورة يوسف، الآية 46.

³ - معاني القرآن: الأخفش، 398/1. التبيان في إعراب القرآن، 734/2.

⁴ - سورة البقرة، الآية 72.

⁵ - البحر المحيط، 419/1.

⁶ - الدر المصون، 434/1.

⁷ - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 209.

2_ بناء تفَعَّل:

أ في قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ)¹. إذ أن أصل "ازينت"

تزينت، سكنت التاء ليتم تجاور الصوتين المتقاربين فتزين المضارع منه تتزينُ وبالتسكين تتزَيَّنُ، والماضي منه تَزَيْنَ، بتسكين التاء، وبهمزة الوصل اثزَيْن وبالإدغام اَزَيْنَ². وعلى هذه القاعدة، نقيس جميع الأبنية التي جاءت على تفاعل وتَفَعَّل وفروعهما، لكن ذلك مشروط بأن تكون فاء البناء دالا، أو ظاء، أو ضادا، أو صادًا، أو سينا، لأن مماثلة التاء للأصوات الصغيرية، والانسياوية، في بناء تَفَعَّل وتَفَاعَل، هو المسؤول عن تطورهما إلى (يَفَعَّلُ / وَيَفَاعَلُ) وعن تطور الماضي منهما إلى (أَفَاعَلَ / وَأَفَعَّلَ)³.

نخلص بعد تتبع هذه النماذج من الإدغام، إلى أن فيه إراحة للنفس من عناء الثقل المصاحب لحركة اللسان، صعودا وهبوطا⁴. وأن تحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي، ذو غرض قصدي مساره التخفيف، والتيسير في عملية الإجراء النطقي، فاللسان يعلوه الثقل، وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها، ليرتفع مرة ثانية، بغية تحقيق إنتاجية الصوتين⁵.

¹ - سورة يونس، الآية 24.

² - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص: 209.

³ - م. نفسه، 210.

⁴ - علم الصرف الصوتي، ص: 55.

⁵ - علم الصرف الصوتي، ص: 55.

المبحث الثالث: بناء الفعل للفاعل والمفعول

تتأسس الجملة في اللغة العربية على عنصرين مهمين هما اللفظ والمعنى، وما ينتج عنهما من حسن الصياغة، لكن قد يحتاج المتكلم إلى الحذف أو الزيادة أو التقديم والتأخير لتحسين جودة خطابه، ومن مظاهر حذف الفاعل وإقامة المفعول به مقامه أو غيره، هو ما يسميه العلماء بالمبني للمفعول، أو البناء للمجهول، بناء على ما يطال الفعل من تغيير في بنائه، إذ يصح أن يكون المفعول به فاعلاً للفعل¹ بناء على التغيير الذي لحق الفعل، حيث يتحول مثلاً من ضَرَبَ إلى ضُرِبَ، وبهذا التغيير في بناء الفعل، يحصل له تقسيم آخر، وهو ما عرف بالمبني للمفعول، والمبني للفاعل والمعلوم. ويقصد بالمبني للمفعول، ما ضم أوله، وكسر ما قبل آخره، أو يكون الضم للحرفين الأول والثاني مثل: تُعَلِّمُ أو يكون الضم للحرفين الأول والثالث وخاصة في الأفعال المبدوءة بهمزة وصل، نحو انتصر أنْصَرَ، وإذا كان الفعل مضارعاً وجب في كل حالاته ضم أوله وفتح ما قبل آخره، مثل يضرب وينطلق. فالقاعدة في البناء للمجهول تتحدد حسب نوعية الفعل²

ويأتي الفعل مبنيًا للفاعل أو المفعول في الآية الواحدة، حسب القراءة القرآنية، ومن ثم يتعدد توجيه المعنى، بناء على تغير لفظ الفعل، ومن ذلك:

أ- في قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)³. قرأ الجمهور: ترجعون مبنيًا للمفعول من رجع

المتعدي، وقرأ مجاهد، ويحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، وابن محيص ويعقوب، مبنيًا للفاعل من

¹ - شرح المفصل، 71/7.

² - أسرار العربية، ص: 95. وشرح المفصل، 80/7. والبحر المحيط، 100/1 - 355/1 - 556/1 - 679/3.

³ - سورة البقرة، الآية 28.

رجع اللازم؛ لأن رجوع يكون لازماً ومتعدياً"، ويرجح أبوحيان قراءة الجمهور، ويعتبرها أفصح؛ "لأن الإسناد في الأفعال السابقة، هو الله تعالى " فكان سياق هذا الإسناد، أن يكون الفعل في الرجوع مسنداً إليه"¹.

فعلى قراءة "ترجعون" يكون الرجوع مسنداً إليهم، ودليل ذلك أنهم إليه راجعون وعلى قراءة (ترجعون) (بناء للمفعول)، يكون الرجوع مسنداً إلى الله تبارك وتعالى، دليل ذلك "ثم إلى ربهم يحشرون" وإليه تقلبون²، فقد "حذف الفاعل للعلم به، وبني الفعل للمفعول، كي لا يفوت التناسب اللفظي، وقد حصل التناسب المعنوي بحذف الفاعل، إذ هو قبل البناء للمفعول مبني للفاعل³. والمعنى "كنتم أمواتاً؛ أي نطفاً في أصلاب الرجال، وأرحام النساء ثم نقلكم من الأرحام فأحياكم، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم في القبور للمسألة، ثم يميتكم في القبر ثم يحييكم حياة النشر والحشر وهي الحياة التي ليس بعدها موت⁴.

والمقصود هو إظهار القدرة والتصرف التام، بنسبة الإحياء والإماتة، والإحياء والرجوع إليه تعالى، وإن كنا نعلم، أن الله هو فاعل الأشياء جميعها، وفي قول تعالى: (ثم إليه ترجعون) من التهيب والترغيب، ما يزيد المرء خشية، ويرده عن بعض ما يرتكبه، ويزيد المحسن رغبة في الخير، ويدعوه رجاءه إلى الازدياد من الإحسان⁵.

ب- في قول تعالى: (وَأَتُوا بِهِمْ مَّتَشَبِهَاتٍ)⁶، يفيد بناء الفعل "أتى" للمفعول توسيع المعنى

من ناحية الفاعل، إذا نجد في قراءة الجمهور "وأَتُوا" بضم الهمزة والتاء، وفي قراءة هارون الأعور

¹ - البحر المحيط، 213/1.

² - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 14.

³ - البحر المحيط، 214/1.

⁴ - اللباب في علوم الكتاب، 483/1.

⁵ - اللباب في علوم الكتاب، 214/1.

⁶ - سورة البقرة، الآية 25.

"وأَتُوا" بفتح الهمزة والتاء، فعلى قراءة البناء للفاعل يكون الفاعل هم الولدان والخدام¹، وعلى قراءة البناء للمفعول، يحتمل أن يكون الولدان والخدام، ويحتمل أن يكون غير ذلك، فهو مبهم غير مذكور، ولكن دل المعنى عليه.

ج- في قوله تعالى: (كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)²، وقوله تعالى: (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّفَوْا بِوَفَّهِمْ يَوْمَ الْفَيْمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)³. قرأ الجمهور: "زين" على بناء الفعل للمفعول، وحذف الفاعل، وهو الله تعالى، ويؤيد هذا قراءة مجاهد، وأبي حنيفة: زين على البناء للفاعل، وفاعله ضمير يعود على الله تعالى إذ جاء قبله فإن الله شديد العقاب⁴.

نزلت الآية في أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط لهم، ويكذبون بالمعاد، ويسخرون من المؤمنين الفقراء، كعمار، وصهيب، وأبي عبيدة، وسالم، وعامر بن فهيرة وخباب، وبلال، ويقولون لو كان نبيا لتبعه أشرافنا، وقيل: نزلت في علماء اليهود من بني قريظة، والنضير، وقينقاع، سخروا من فقراء المسلمين⁵.

¹ - المحرر الوجيز، 10/1.

² - سورة يونس، الآية 12.

³ - سورة البقرة، الآية 212.

⁴ - م. نفسه، 352/2.

⁵ - البحر المحيط، 352/2.

يتضح من قراءة البناء للفاعل "أن المزيّن هو الله تبارك وتعالى، ويؤيده قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَئِيَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)¹، أما على قراءة البناء للمفعول، فيحتمل أن يكون المراد بالفاعل المحذوف، احتمالات عديدة منها:

- أن يكون الفاعل هو الله تعالى، "فيزن لهم الحياة الدنيا، بما وضع في طباعهم من المحبة لها، فيصير في نفوسهم ميل ورغبة فيها، أو الشبهات التي خلقها فيهم وإليها أشار بقوله: (رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْبِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ)³.

- أن يكون الفاعل هو الشيطان، وتزيينه، بتحسين ما قبح شرعا، وتقبيح ما حسن شرعا.
- أن يكون الفاعل نفوسهم لقوله تعالى: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)⁴. وقوله (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁵.

- أن يكون الفاعل شركاؤهم من الجن والإنس قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ قَدْ زُهِمُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)⁶.

¹ - سورة الكهف، الآية 7.

² - التفسير الكبير، 7/6.

³ - سورة آل عمران، الآية 14.

⁴ - سورة يوسف، الآية 53.

⁵ - سورة المائدة، الآية 30.

⁶ - سورة الأنعام، الآية 112.

• أن يكون الفاعل هو الحياة الدنيا قال تعالى: (إِغْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ

وَزِينَةٌ وَتَبَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَائُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ آعَجَبَ

الْكُبَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرِيهِ مُصْبَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ¹.

• أن يكون الفاعل المجموع، وفي هذا تعريف المؤمنين بسخافه عقول الكفار، حيث آثروا

الفاني على الباقي².

فبناء الفعل للمفعول جعل الجملة تتسع من جهة الفاعل، فتتعدد معها المعاني، أما البناء

للفاعل، فلا يحتمل التقدير فيه إلا فاعلا واحدا هو الله عز وجل.

د - في قوله تعالى: (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ يَذِرُ يَوْمَ يَذِرُ يَوْمَ يَذِرُ)³. جاء فعل يصرف

مبنيا للمجهول وهو من صرف يصرف صرفا، و"الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله
بغيره"⁴

قال أبو حيان - بعد أن ذكر القراءتين المتواترتين في لفظة يصرف (يُصْرِفُ/يُصْرِفُ)-

تكلم المعربون في الترجيح بين القراءتين على عادتهم، فاختر أبو عبيد، وأبو حاتم، وأشار أبو علي

إلى تحسينه، قراءة يصرف، مبنيا للفاعل، لتناسب فقد رحمه، ولم يأت فقد رحم، ويؤيده قراءة عبد

الله وأبي، من يصرف الله، ورجح الطبري قراءة يُصْرِفُ مبنيا للمفعول، قال: لأنهما أقل إضمارا،

قال ابن عطية: فأما مكي ابن أبي طالب فتخط في كتاب الهداية، في ترجيح قراءة فتح الياء،

¹ - سورة الحديد، الآية 20.

² - البحر المحيط، 353/2.

³ - سورة الأنعام، الآية 16.

⁴ - المفردات في غريب القرآن، مادة (صرف).

ومثل في احتجاجه بأمثلة فاسدة، وقد تقدم لنا غير مرة، أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين، وحكى أبو عمر الزاهد في كتاب "اليواقيت" وقال "قال ثعلب من كلام نفسه: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام، كلام الناس، فضلت الأقوى ونعم السلف لنا أحمد بن يحيى، كان عالماً بالنحو واللغة متديناً ثقة"¹.

فأبو حيان يقبل قراءة يصرف بوجهيها، البناء للمفعول، فيكون الصارف هو الله تعالى، فحذف للعلم به، أو للإيجاز، إذ تقدم ذكر الرب، ويجوز في هذا الوجه، أن يكون الضمير في يصرف عائداً على من، وفي عنه عائداً على العذاب، أي أي شخص يصرف عن العذاب، ويجوز أن يكون الضمير في عنه، عائداً على من، والضمير في يصرف، عائداً على العذاب؛ أي، أي شخص يُصرف العذاب عنه².

إن الضمير في يصرف، إما أن يكون عائداً على "مَنْ" أو على العذاب. والضمير في "عنه"، إما أن يكون عائداً على العذاب، أو على "من". فباستحضار القراءتين، وعدم الترجيح بينهما، يكون أبو حيان غير مغيب للمعنى الكامل للآية. وعلى البناء للفاعل، يكون الضمير من يصرف عائداً على الله وفي عنه عائداً على العذاب، والضمير المستكن في رحمه عائداً على الرب، أي: أي شخص يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه الرحمة العظمى، وهي النجاة من العذاب³. وعليه ف"في القراءة الأولى إضمار عن العذاب وقد صرح بها مقدماً، والقراءة الثانية إضمار الفاعل والمفعول"⁴

¹ - البحر المحيط، 4/455.

² - البحر المحيط، 4/454.

³ - م. نفسه، 4/454.

⁴ - الاحتمال الصرفي في القرآن، ص 216.

هـ - في قوله تعالى: (إِزْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا

شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ)¹. قرأ الجمهور (سرق) مبنيًا للفاعل، إخبارًا بظاهر الحال² وتحقيق السرقة على "بنيامين" بحسب ظاهر الأمر، قال ابن عطية: "وقولنا لك: إن ابنك سرق، إنما هي شهادة عندك، علمناه من ظاهر ما جرى، والعلم في الغيب عند الله تعالى ليس ذلك في حفظنا"³.

وقرأ الكسائي (سرق) بتشديد الراء مبنيًا للمفعول، لم يقطعوا عليه بالسرقة، بل ذكروا أنه نسب إلى السرقة، ويكون المعنى وما شهدنا إلى بما علمنا من السرقة، وما كنا للغيب أي: للأمر الخفي حافِظين، أَسَرَقَ بالصحة، أم دس الصاع في رحله، ولم يشعر⁴.

فالقراءة بالبناء للمفعول، وتشديد الراء، تبين أنهم لم يجزموا بفعل السرقة، وإثباته لأخيهم، وإنما بينوا أنه نسب إلى السرقة ورمي بها⁵. وتحتل هذه القراءة أيضًا، أن يكون بمعنى جعل سارقًا أو علم منه السرقة⁶ يقول الزجاج: "وسرَّق يكون على ضربين، سرَّق علم أنه سرق، وسرَّق اتهم بالسرقة"⁷.

إن المعاني التي أفادتها الآية ببناء الفعل "للمفعول كلها ترتبط بالفعل ذاته، لأن الظن والشك في الفعل، مستفاد من أمرين، بناء الفعل للمفعول، بعدم إسناد السرقة إلى أخيهم، بل وقع عليه القول من جهة المفعولية: أي وقع عليه القول بالسرقة، أو نسب إلى السرقة، لكن قولهم "وما

¹ - سورة يوسف، الآية 81.

² - البحر المحيط، 312/6.

³ - المحرر الوجيز، 270/3.

⁴ - البحر المحيط، 312/6.

⁵ - ينظر الكشف، 466/2. التفسير الكبير، 494/18.

⁶ - ينظر البحر المحيط، 308/6.

⁷ - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 125/3.

كنا للغيب حافظين" احتراس من تحقق كونه سرق، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنه إلى السرقة، وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالهم به الشك في وقوع السرقة منه¹، والذي يثبت شكهم وظنهم في أمر وقوع السرقة قولهم "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"، فقد أفاد البناء للمفعول هنا عدة معان، ارتبطت بالفعل (سرق)، انطلاقاً من الشك في الحدث الذي عبرت عنه صيغة الفعل (سرق) ببنائها للمفعول.

و- في قوله تعالى: (فَالْ يَفْؤْمُ أَرَايْتُمْ ؕ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآبِيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِۦ فَعَمِيْتُ عَلَيْكُمْ ؕ أَنْزِلْهُمْ مَّوَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاِرِهُونَ)² قرأ حمزة والكسائي وحفص {فعميت عليكم} بضم العين وتشديد الميم، وقرأ أهل الحجاز والشام والبصرة وأبو بكر {فعميت} بفتح العين وتخفيف الميم³

إن التخفيف محمول على معنى: فعميتم عن الأخبار التي أتتكم، وهي الرحمة فلم تؤمنوا بها، ولم تعم الأخبار نفسها عنهم، ولو عميت هي لكان لهم في ذلك عذراً إنما عموا هم عنها، فهو من المقلوب كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت القبر زيدا. فقلت جميع هذا في ظاهر اللفظ لأن المعنى لا يشكل، ومثله قوله تعالى {فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ} وقيل معنى فعميت، لمن قرأ بالتخفيف "فخفيت" فيكون غير مقلوب على هذا، وتكون الأخبار التي أتت من عند الله، خفي فهمها عليهم لقلة مبالاتهم بها، وكثرة إعراضهم عنها، فأما معناه على قراءة حفص وحمزة والكسائي الذين قرأوا بالتشديد والضم على ما لم يسم فاعله، فليس فيه قلب ولكن الله عماها عليهم لما أراد بهم من الشقوة، يفعل ما يشاء سبحانه، وهي راجعة إلى القراءة الأولى لأنهم لم يعموا

¹ - التحرير والتنوير، 38/13.

² - سورة هود، الآية 29.

³ - حجة القراءات: ابن زنجلة، ص 338.

عنها حتى عماها الله عليهم، والتقدير، فَعَمِيَتِ البيئَةُ عليكم، أي أبهمت عليكم وأخفيت¹ ولذلك قرأ أبي وهي قراءة الأعمش "فعماها عليكم" أي عماها الله عليكم فهذا شاهد لمن ضم وشدد². وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترى أن الرجل الذي يعمى عن الخبر أو يعمى عنه، ولكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي والخف في رجلي، وأنت تعلم أن الرجل التي تدخل في الخف والأصبع في الخاتم. فاستخفوا بذلك، إذا كان المعنى معروفاً، لا يكون لذا في حال، ولذا في حال، إنما هو لواحد. فاستجازوا ذلك لهذا³.

إن في لفظة عميت احتمالين بناؤها للمجهول، وبناؤها للمعلوم، "ففي الاحتمال الأول، أراد نبي الله نوح عليه السلام، أن يصرف الفعل عنه سبحانه في حديثه، وبينيه للمجهول تأدباً، وهي من اللباقة الأدبية العالية في الحديث عن الله سبحانه وتعالى، في حين قال في صدر الآية المباركة، (وَءَاتَيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ) من باب التحدث بالنعمة التي سبغها الله عليه، إلا أنه عدل إلى بناء الفعل للمجهول، عندما تحدث عن ستر الرحمة وإخفائها عنهم، وقد يكون تجنبه ذكر الله سبحانه وتعالى مع هؤلاء لتعظيم شأنه وتنزيهه وتحقير مكانتهم، فجاء به مبنيًا للمجهول، وهو من اللطف بالحديث عن ذاته المقدسة، وأفعاله اتجاههم وتنزيه ذاته الإلهية. وفي الآية المباركة نكتة واضحة جلية، بأن الرحمة من عند الله سبحانه والشرور من أنفسكم، وهذا تصريح واضح بأن كل النعم من عند الله سبحانه، وإغلاقها وانعدامها عليكم فمن شرور أنفسكم. أما في قراءة المبني للمعلوم فإنه أراد أن يركز على عدم وجود القابلية والاستعداد لنزول الرحمة الإلهية على هؤلاء،

¹ - ينظر معاني القرآن وأعرابه: للزجاج 48/3، والبحر المحيط، 143/6

² - مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، 361/1

³ - معاني القرآن: للفراء، 12/2

وهذا ما صرحت به الآية المباركة، فإن الله سبحانه وتعالى عما هم عن نزولها والانتفاع منها لكرهم إياها وتكذيبهم بها¹.

ز - في قوله تعالى: (لَفَالَوْأَ إِنَّمَا سَكِرَتِ أَعْيُنُنَا بِلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ)².

قرأ الحسن، ومجاهد، وابن كثير: سَكِرَتِ بالكاف مبنيًا للمفعول، وقرأ باقي السبعة: بشدها مبنيًا للمفعول. وقرأ الزهري: بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنيًا للفاعل، شبهوا رؤية أبصارهم برؤية السكران لقلة تصوره ما يراه. فأما قراءة التشديد فعن ابن عباس وقتادة، منعت عن رؤية الحقيقة من السكر، بكسر السين وهو الشد والحبس. وعن الضحاك شدت، وعن جوهري جدعت، وعن مجاهد حبست، وعن الكلبي عميت، وعن أبي عمرو غطيت، وعن قتادة أيضا أخذت، وعن أبي عبيد غشيت. وأما قراءة التخفيف فقليل: بالتشديد، إلا أنه للتكثير، والتخفيف يؤدي عن معناه. وقيل: معنى التشديد أخذت، ومعنى التخفيف سحرت. والمشهور أن سكر لا يتعدى. قال أبو علي: ويجوز أن يكون سمع متعديا في البصر. وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه يقال: سكرت أبصارهم إذا غشيها سهاد حتى لا يبصروا. وقيل: التشديد من سكر الماء، والتخفيف من سكر الشراب، وتقول العرب: سكرت الريح تسكر سكرًا، إذا ركبت ولم تنفذ لما انتفت بسبيله أولاً، وسكر الرجل من الشراب سكرًا إذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ فيما كان للإنسان أن ينفذ فيه. ومن هذا المعنى سكران لا يبيت أي: لا يقطع أمرا. وتقول العرب: سكرت في مجاري الماء إذا طمست، وصرفت الماء فلم ينفذ لوجهه. فإن كان من سكر الشراب، أو من سكر الريح، فالتضعيف للتعدية. أو من سكر مجاري الماء فالتكثير، لأن مخففة متعد. وأما سكرت بالتخفيف، فإن كان من سكر الماء ففعله متعد، أو من سكر الشراب أو الريح فيكون من باب وجع زيد ووجعه غيره، فتقول: سكر الرجل وسكره غيره، وسكرت الريح وسكرها غيرها، كما جاء سعد زيد وسعده غيره. ولخص الزمخشري هذا

¹ - الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم، ص 212

² - سورة الحجر، الآية، 15.

فقال: وسكرت حيرت أو حبست من السكر، أو السكر. وقرئ بالتخفيف أي: حبست كما يحبس النهر عن الجري انتهى. وقرأ أبان بن ثعلب: سحرت أبصارنا¹.

لقد وقع لفظ سكر في الآية الكريمة بين بنائه للمفعول، وبنائه للفاعل، نظرا لتغاير الحركات الداخلية للبناء، وهذا ما اتضح مما جاء عليه اللفظ من قراءات قرآنية، الأمر الذي جعل دلالات الفعل سكر تتعدد، "رغم أن الأصل في السين والكاف والراء واحد يدل على حيرة²

وتبقى الأقوال التي نقلها أبوحيان في النص السابق متقاربة، فإما أن تكون سكرت بالتشديد غطيت، وبالتخفيف سحرت، أو يكون المعنى في الفعلين واحد، ولكن التشديد يدل على التكثير أو التكرير"³.

ح- في قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا فِيلَ لَكُمْ إِنهَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا فَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ)⁴. يريد النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن صرفه الفعل بما لا يسمى فاعله، يقتضي إغلاظا ومخاشنة ما⁵. فالقائل هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية، ما لكم إذا قيل لكم انفروا إلى الغزو اثاقلتم إلى الأرض؟ فقد وبخهم وانكر عليهم فعلهم، وبنى الفعل (قال) للمجهول، فأصبح "قيل" ليناسب مقام السخط وعدم الرضا؛ لأن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن يناسب مقام الرحمة واللين والمغفرة؛ ولأن الآيات واردة في التهديد والوعيد، لذلك لم يذكر

¹ - البحر المحيط 470/6.

² - معجم مقاييس اللغة، مادة (سكر).

⁽³⁾ - المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته، في القرآن الكريم: شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية،

ص 61.

⁴ - سورة التوبة، الآية 38.

⁵ - المحرر الوجيز، 34/3.

اسم الرسول صونا له، وإعلاء من شأنه، إذ أخذ إلى الهوينة والدعة من أخذ، وخالف أمره صلى الله عليه وسلم¹.

ط- في قوله تعالى: (فَالرَّجُلَيْنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَغَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فِتْوَاكُمْ لَوْ أَنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)². حيث قرئ قوله تعالى "يخافون" قراءتان، يَخَافُونَ بالبناء للفاعل، وَيُخَافُونَ بالبناء للمفعول. فعلى قراءة يَخَافُونَ، بفتح الياء، يكون فعل الخوف مسندا إلى الرجلين، الذين كانا من الجبارين، فأما بموسى، واتباعه، وأنعم الله عليهما بالإيمان، فالمعنى يخافون الله، فلا يبالون بالعدو أو يخافون العدو، ولكن أنعم الله عليهما بالإيمان والثبات. وعلى قراءة يخافون بضم الياء؛ أي بالبناء للمفعول، يكون الفعل مستندا إلى بني إسرائيل، والتقدير "يخافهم بنو إسرائيل، أو يكون الفعل مستندا إلى الرجلين، أي يهابون ويوقرون، ويسمع كلامهم لتقواهم وفضلهم³، أو يكون الفعل من أخاف، لكن يبقى مسندا إلى الرجلين، والمعنى يخيفون بأوامر الله، ونواهيته، وزجره، ووعيده، فيكون ذلك مدحا لهم⁴.

إن الخوف الذي تضمنه فعل "خاف" في الآية الكريمة، تتوزع معانيه حسب ما أسند إليه، فإذا أسند إلى الرجلين، كان المعنى، خوف الرجلين من الله تعالى، أو من العدو وإذا أسند إلى بني إسرائيل، كان المعنى، خوف بني إسرائيل من الرجلين لتقواهما وفضلهما أو تخويف الرجلين بني إسرائيل بأوامر الله ونواهيته وزجره.

¹ - البحر المحيط، 419/5.

² - سورة المائدة، الآية 23.

³ - البحر المحيط، 218/4.

⁴ - البحر المحيط، 218/4.

نستنتج أن بناء الفعل للمفعول، يرتبط بالمعنى من ثلاث نواح، من ناحية الفعل ذاته، أو من ناحية الفاعلين المحذوفين، وهو كثير، وبه ربط أكثر الصرفيين الأغراض التي جاء من أجلها، وقسموها إلى أغراض لفظية، وأخرى معنوية. وأن التنوع في الفعل المبني للمفعول، يمكن المتكلم من التعبير عن مقاصده، بالاختصار في تعبيره، دون إطالة مملة، كما أن التعبير بالفعل المبني للمفعول لا يأتي "هكذا اعتباطاً وإنما لأغراض ودواع، تستدعي من المتكلم ذكر اللفظ، أو حذفه أو تقديره، وصياغة الجملة وفق ما يقتضيه السياق"¹. وأن للقرآن العظيم إعجازاً لغوياً في تراكيبه البديعة ووصفه العجيب، ولقد أدت صيغة المفعول دلالات عظيمة نطقت بسنن الكبرياء ومقام العزة والتحدي للمعاندين، وهذا ما كان واضحاً من اختلاف القراءات القرآنية، الذي أدى إلى اختلاف الدلالة داخل السياق.

¹ - ينظر: المسائل الصرفية في تفسير البحر المحيط، ص 157.

الباب الثالث

التوجيه الصرفي لتعدد

القراءات في البحر المحيط

" الأسماء "

الفصل الأول

التحويلات الداخلية

في بنية الأسماء

المبحث الأول: الاسم، وأقسامه

قال الخليل: "والاسم أصل تأسيسه السُّمُو"¹، وسما الرجل يسمو سموا، إذا علا وارتفع فهو سام، وسماء كل شيء أعلاه، والوسم: كل شيء وسمت به شيئاً² وسما الشيء سموا، ارتفع وسما به وأسماه أعلاه³، وللاسم أربع لغات إسم وأسم بكسر الهمزة وضمها، وسم وسم بكسر السين وضمها⁴ والاسم مشتق من سموت لأنه تنويه ورفع، ومنه يقال: سمت همته إلى معالي الأمور، إذا طلب العز والشرف، ووسمت الشيء وسماً، إذا أثرت فيه بسمه ووسم دابته بالميسم وسماً وسمه⁵.

إن الدلالة اللغوية للاسم، تنحصر في العلو والرفعة، وفي العلامة، لذلك اختلف في أصل اشتقاقه، فذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو والعلو، وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من الوسم، وهو العلامة؛ لأن أصل الاسم عند الكوفيين (سم) حذفت فاءه هي الواو وعوض عنها بالهمزة، وإنما لقب هذا النوع اسماً؛ لأنه سما بمسماه فأوضحه وكشف معناه⁶، أو لأنه سما على مسماه وعلا على ما تحته من معناه⁷. أو لأنه سما على الفعل والحرف؛ لأنه يُخبر به، ويُخبر عنه، والفعل يُخبر به، ولا يخبر عنه، والحرف لا يخبر عنه⁸، أو لأنه علا بقوته على قسمي

¹ - معجم العين، 318/7.

² - جمهرة اللغة، مادة سمو.

³ - المحكم والمحيط الأعظم: إسماعيل بن سيده، مادة سمو.

⁴ - الزاهر في معاني كلمات الناس: ابن الأنباري، 53/1.

⁵ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، "مادة سمو". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر الفارابي، "مادة سما".

⁶ - شرح المقدمة المحسبة: ابن بابشاذ، 96/1-97.

⁷ - الإنصاف في مسائل الخلاف، 8/1.

⁸ - مسائل خلافه في النحو: أبو البقاء العكبري، ص: 64.

الكلام الحرف، والفعل والاسم أقوى منهما بالإجماع؛ لأنه الأصل¹. ويلاحظ أن ما ذهب إليه الكوفيون، وإن كان صحيحا من جهة المعنى، إلا أنه فاسد من جهة التصرف²؛ لأنه لو صح رأي الكوفيين لوجب تصغير الاسم على وُسْمٍ، وجمعه على أو سام، وفي اشتقاق الفعل منه: وُسَمَت، وكل ذلك غير وارد ولم يقل به أحد، بل قالوا في تصغيره سُمَيَّ، وفي جمعه أسام، وفي اشتقاق الفعل منه سَمِيت، وهذا مناسب لاشتقاق الاسم من السمو.

وجاء في كتاب سيبويه "الاسم رجل وفرس وحائط"³، فقد اقتصر هذا التعريف على المثال، ولعل السبب يعود إلى أنه غير مُشْكِل⁴، أو إلى كون "الاسم لا حدّ له فاكتفى بالمثال"⁵، وكأن سيبويه، لما حد الفعل والحرف، تميز عنده الاسم⁶.

وترجع أسباب عدم ورود حد الاسم لدى سيبويه عند البطليوسي إلى ثلاثة أسباب:

- 1- أنه جعل تعريفه من حد الفعل وحد الحرف حدا له.
 - 2- أن الاسم هو الأصل، والفعل والحرف فرعان له، والفروع تحتاج إلى البيان أكثر مما تحتاج إليه الأصول.
 - 3- أنه رأى ما في تحديده من الإشكال الموجب لاضطراب كلام العلماء فيه.
- لقد تنوعت تعريفات العلماء للاسم بعد سيبويه، فذكروا فيه تعريفات كثيرة، تزيد على سبعين حدا⁷، وذلك بحسب ما يتعلق به الاسم في كل تعريف، فكان منهم من اقتصر في اصطلاحه للاسم

¹ - الجامع لأحكام القرآن، 101/1.

² - المرتجل في شرح الجمل: ابن الخشاب، ص: 6. والانصاف في مسائل الخلاف، 8/1.

³ - الكتاب، 12/1.

⁴ - الايضاح في علل النحو، ص: 49.

⁵ - أسرار العربية، ص: 39.

⁶ - شرح المفصل، 51/1.

⁷ - أسرار العربية، ص: 38.

على علامته، كالفراء في قوله: "الاسم ما احتمل التنوين والإضافة والألف واللام"¹ وهشام الضرير في قوله: "الاسم ما نودي"²، ومنهم من ربط الاسم بما يقع عليه من حالات أثناء الإسناد ذي التركيب، كالكسائي في قوله: "ما جاز الإخبار عنه"³، ويرى ابن الأنباري أن الاسم هو "كل لفظة دلت على معنى تحتها، غير مقترن بزمان محصل، وقيل: ما دل على معنى، وكان ذلك المعنى شخصا وغير شخص"⁴ وتبع ابن الحاجب ابن السراج، فجمع في تعريفه بين الاسم والفعل، دون أن يشير إلى الزمن، الذي يعتبر فاصلا بين الفعل والاسم، فقال: "ما دل على معنى في نفسه" والضمير "في نفسه" عائد على المعنى، يعني أن اللفظ دال على معنى باعتبار نفسه، لا باعتبار تعلقه؛ لأن دلالة الألفاظ على ضربين، ضرب يدل على المعنى، من غير اعتبار تعلق بالغير، وهي الأسماء والأفعال، وضرب يدل على معنى باعتبار تعليقه بالغير هي الحروف"⁵.

أما أبو حيان فله تعريفان للاسم، لم يخالف بهما حدود تعريفات العلماء الذين سبقوه، التعريف الأول، أورده في البحر المحيط، إذ قال: "إنه اللفظ الدال بالوضع على موجود في العيان، إن كان محسوسا، ومدلوله هو المسمى"⁶. والتعريف الثاني قوله: "وأحسن ما حُدَّ به الاسم أن يقال: الاسم كلمة دالة بانفرادها على معنى غير متعرضة ببنيتها للزمانية"⁷.

فالتعريفان متفقان، إلا أنه في التعريف الأول، فصل في المقصود بالمعنى، الذي أجمله في التعريف الثاني، فقال: "أن يكون - أي المعنى - محسوسا وغير محسوس".

¹ - الصاحبى في فقه اللغة العربية، ص: 48.

² - م. نفسه، ص: 48.

³ - م. نفسه، ص: 48.

⁴ - أسرار العربية، ص: 38.

⁵ - أمالي ابن الحاجب: ابن الحاجب، 547/2.

⁶ - البحر المحيط، 30/1.

⁷ - التذييل والتكميل، 46/1.

وتنبه أبو حيان إلى عدم تعرض الاسم للزمن ببنيته، وهذا منه أكثر دقة من قولهم "غير مقترن بزمان؛ لأن الزمن قد يكون من معاني بعض الأسماء، لكنها لا تدل على الزمن ببنيته، وإنما بأصل وضعها. ويربط أبو حيان أصول بعض الأسماء ببيان ما اشتقت منه، وأن هذا الاشتقاق يعود في نظره، إما إلى المعنى، كما في قوله: "عرفات"، وقيل: مشتق من المعرفة، وذلك سبب تسميته بهذا الاسم¹ وإما إلى الشكل، كما في قوله: "الظَّهر" وهو مشتق من الظهور² وقوله: "الخليل سميت بذلك" لاختيالها "في مشيها"³ وقوله "النَّعَم سميت بذلك لنعومة سنها"⁴ وإما إلى اللفظ كما في قوله: " فالذهب مشتق من الذهاب " والفضة من انفض الشيء"⁵.

وللأسم أقسام متعددة منها المجرد والمزيد، وأقل ما يتكون منه المجرد، هو ثلاثة أحرف، وما "قصر عن الثلاثة فمحذوف"⁶ وأقصى ما يصل إليه هو خمسة أحرف، فالثلاثي والرباعي والخماسي من الأسماء أصول، لأن حروفهما كلها أصلية⁷، وما جاوز الخمسة "مزيد فيه"⁸ ولا يتجاوز بالزيادة سبعة أحرف⁹، وكل زيادة على المجرد تفيد معنى، بناء على قاعدة: (الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى)¹⁰ فمثلا زيادة الهمزة في (أَفْعَل التفضيل، وزيادة الميم في (مَفْعَل

¹ - البحر المحيط، 275/2.

² - م. نفسه، 510/1.

³ - م. نفسه، 43/3.

⁴ - م. نفسه، 43/3.

⁵ - م. نفسه، 43/3.

⁶ - الكتاب، 230/4.

⁷ - الكتاب، 229/4.

⁸ - م. نفسه، 230/4.

⁹ - شذا العرف في فن الصرف، ص: 54.

¹⁰ - الخصائص، ص: 267.

للتعبير عن المصدر أو الزمان أو المكان، والأفضل في كل زيادة أن تحال على الغرض المعنوي¹.

ومن أقسام الاسم: الجامد والمشتق، فالجامد هو: الاسم الذي لم يؤخذ من غيره، ويدل على حدث أو معنى، من غير ملاحظة صفة، كأسماء الأجناس المحسوسة، مثل: رجل وشجر، وبقر، وأسماء الأجناس المعنوية كنصر، وفهم، وقيام، وقعود، وضوء، ونور، وزمان² وينقسم الجامد إلى قسمين:

اسم الذات: هو الاسم الذي يقع ضمن الأجناس المحسوسة، مثل رجل، وشجرة أي ما يمكن التعرف عليه بواسطة الحواس الخمس.

اسم المعنى: هو الاسم الذي يقع ضمن الأجناس المعنوية، التي يدل معناه عليها دون حاجة إلى الحواس الخمس³.

أما الاسم المشتق فهو ما أخذ من غيره، ودل على ذات، مع ملاحظة صفة، كعالم وظريف، ومن الأجناس المعنوية المصدرية يكون الاشتقاق، كفهم من الفهم، ونصر من النصر⁴، أو هو الاسم الذي يؤخذ من غيره، للدلالة على ذات أو حدث⁵.

فالمشتق فرع عن الجامد؛ لأن الجامد لم يؤخذ من غيره ليدل على ذات وحدث بينهما ارتباط، وإنما يدل على ذات فقط، مثل: فرس، أو معنى مثل: ضَرْب وشجاعة.

¹ - شرح شافية ابن الحاجب، 53/1.

² - شذا العرف في فن الصرف، ص: 56.

³ - الأبنية الصرفية في السور المدنية دراسة لغوية دلالية: عائشة محمد قشوع، ص: 181.

⁴ - شذا العرف في فن الصرف، ص: 56.

⁵ - التطبيق الصرفي: عبده الراجحي، ص: 73.

وللمشتق عدة أشكال منها اسم الفاعل واسم المفعول، وصيغ المبالغة، والصفات المشبهة، واسم التفضيل، واسم الزمان، واسم المكان، وكل شكل من هذه الأشكال، تدل هيئته على معنى صرفي من الصيغة نفسها، بغض النظر عن السياق الذي ترد فيه¹.

ومن أقسام الاسم: المثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، والمنسوب، والمصغر، والمقصور، والممدود، والصحيح.

المبحث الثاني: الإِتباع

يراد بالإِتباع في اللغة: اللحق، والإِدراك²، وفِعْلُك شيئاً بعد شيء، وهو "من تبع الشيء تَبَعاً، وتَبَاعاً في الأفعال، وتبعت الشيء تُبوعاً سرت في إثره، وأَتَّبَعَهُ، وأَتَّبَعَهُ: قَفَاه، واتبع الشيء

¹ - شذا العرف في فن الصرف، ص: 53 فما بعدها بتصرف.

² - لسان العرب، مادة (تبع).

جعله له تابعا"¹. والإتباع: ظاهرة تعتمد تماثل الجوانب النطقية، تبعا للحركات في بنية الكلمة²، وتختص بالأصوات الصائتة القصيرة، وبالحركات القصيرة (الضمة، الكسرة، الفتحة).

ولقد أدرك القدامى، منذ عهد بعيد هذه الظاهرة، في اللهجات العربية، والتقطوا بعضا من صورها، في بناء "فَعِيل" إذا كان عينه حرفا من حروف الإظهار مثل: لئيم، شهيد، سعيد، رغيف..³ كما وظفوا لفظ الإتباع في باب الساكن والمتحرك⁴.

أما المحدثون فقد أطلقوا على الظاهرة مصطلحات منها: التوافق الحركي، وأطلق عليها إبراهيم أنيس مصطلح انسجام أصوات اللين⁵، ويسمىها أحمد مختار بالمماثلة بين العلل والعلل، أو بين العلل وانصاف العلل، ويرى غانم قدوري الحمد، أن الإتباع أحد صور المضارعة في الحركات⁶. ويحصر عبده الراجحي: "الإتباع فيما يقع من تأثير الصوائت القصيرة بعضها ببعض؛ إذ يحدث أن يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران في كلمة أو كلمتين، فيتأثر أحدهما بالآخر، وينقلب إلى جنبه، ويؤدي ذلك إلى انسجام في الأصوات، وهذا الانسجام يؤدي إلى السهولة، والاقتصاد في الجهد العضلي عند الكلام"⁷.

ويعتبر الإتباع ظاهرة صرفية يوجه بها العلماء القراءات القرآنية، في كثير من الصيغ، ومن ذلك:

1- جمع "فُعْلة":

¹ - الكتاب، 78/4.

² - معجم العين، مادة (تبع)، وتهذيب اللغة (تبع).

³ - الخصائص، 33/2.

⁴ - اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي، ص: 173.

⁵ - دراسة الصوت اللغوي، ص: 383.

⁶ - المدخل إلى علم أصوات العربية: غانم قدوري، ص: 213.

⁷ - اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: 143.

في قوله تعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)¹. "فالخطوة بالضم، عبارة عن المسافة التي يخطو فيها كالحُرْفَة والقَبْضَة، وهما عبارة عن الشيء المغروف والمقبوض، وفي جمعها بالآلف والتاء لغى ثلاث: إسكان الطاء كحالها في المفرد، وهي لغة تميم وناس من قيس، وضمة الطاء اتّباعاً لضمة الخاء، وفتح الطاء، ويجمع تكسيرا على خطى، وهو قياس مطرد في فِعْلَة الاسم"².

ويعزز أبو حيان هذا الإتيان بقول صاحب "الكتاب الموضح" "بأن ضم عين الكلمة في مثل هذا، هو مذهب أهل الحجاز، وقال فيمن سكن الطاء، إنهم لما جمعوا نووا الضمة في الطاء ثم أسكنوها استخفافاً"³.

ويلحق بكلمة "خطوات" "غرفات" و"حجرات"، وكلها جاءت جمعا "لِفُعْلَة"، وكلها أسماء، يصح فيها الإتيان للضم؛ "لأن النعوت لا تكون إلا ساكنة، للفصل بين الاسم والنعوت"⁴، ويستوي في ذلك، ما كانت التاء فيه ظاهرة، نحو: يُسْرَة ويسرات، وظلمة وظلمات، وما كانت التاء فيه مقدرة، كجُمْل. يقول سيبويه: "وإذا جمعت جُمْل على فُعْلَات قلت: جُمْلَات"⁵، لكن على الرغم من ذكر أبي حيان لجمع خطوة ثلاث لغات، وكذلك عرفات وحجرات، يبقى الرفع أجود لدى الفراء⁶. فالشرط في تحقق الإتيان في هذه الكلمات، هو كونها جاءت كلها أسماء؛ لأنه لا إتيان في الصفة، نحو: حلوة وحلوات.

¹ - سورة البقرة، الآية 168.

² - البحر المحيط، 2/ 98.

³ - م. نفسه، 2/ 341.

⁴ - المقتضب، 2/ 188.

⁵ - الكتاب، 3/ 397.

⁶ - معاني القرآن: الفراء، 3/ 70.

2- اسم الفاعل: (مُفْعِل):

الأصل في اسم الفاعل من مزيد الثلاثي، صياغته على وزن مضارعه، مع إبدال ياء المضارعة ميما مضمومة، وكسر ما قبل الآخر، فنقول في أَنْتَن، مُنْتِن، وفي انحدر مُنَحْدِرٌ¹. غير أنه ورد على صيغة مُفْعِل بضم العين، على سبيل الإتياع في ذلك، حيث قالوا: «مُنْتِن، وَمُنَحْدِرٌ أَتَبَعُوا ضَمَةَ الدال لضممة الميم»².

ففي قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِ مِصْرَ الْمَكِّيَّةِ مُرْدَفِينَ)³. قال أبو حيان: "وروي عن الخليل أنه يُضَم الراء إتياعاً لحركة الميم، كقولهم مُخْضَم"⁴، وقد أورد سيبويه رواية الخليل في "الكتاب"، أن ناساً يقولون (مُرْدَفِينَ) فمن قال هذا، فإنه يريد مرتدفين، وإنما أتبعوا الضمة للضمة حيث حركوا، وهي قراءة لأهل مكة⁵، وقال ابن جني: "أصله مرتدفين مُفْتَعِلِينَ من الردف، فأثر إدغام التاء في الدال، فأسكنها، وأدغمها في الدال، فلما التقى ساكنان، وهي الراء والدال، حرك الراء، لالتقاء الساكنين، فتارة ضمها إتياعاً لضممة الميم، وأخرى كسرهما إتياعاً لكسرة الدال"⁶.

3- اسم المفعول (مُفْعَل):

¹ - ارتشاف الضرب، 509/2.

² - الخصائص، 338/2.

³ - سورة الأنفال، الآية 9.

⁴ - البحر المحيط، 279/5.

⁵ - الكتاب، 444/4.

⁶ - المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، 273/1.

في قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)¹. قال أبو

حيان: "وقرأ يزيد بن قطيب "والمحصنات" بضم الصاد، إتباعاً لضمة الميم، كما قالوا في مُنْتُنْ، ولم يعتدوا بالحاجز؛ لأنه ساكن، فهو حاجز غير حصين"².

4- في (فَعِلْ):

في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)³. قرأ

الجمهور "نِعْمًا" بكسر النون، إتباعاً لحركة العين⁴. واستشهد ابن جني على هذا الإتباع في "الخصائص"، في باب الساكن والمتحرك⁵. فأصل "نِعَمَ" هو "نَعِمَ" لكن وحتى يبقى اللسان في رتبة واحدة، تأثرت حركة النون (الفتحة) بحركة العين (الكسرة)، تأثراً متصلاً مدبراً، فوقع الإتباع للكسر.

4- في "تُفْعُول" إذا وقعت جمعا:

¹ - سورة النساء، الآية 24.

² - البحر المحيط، 584/3.

³ - سورة النساء، الآية 57.

⁴ - البحر المحيط، 685/3.

⁵ - الخصائص، 338 /2.

قال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌّ

(¹، قال أبو حيان: "وقرأ الأخوان من خُلِيِّهم بكسر الحاء، إتباعا لحركة اللام، كما قالوا عِصِيَّ"²، فجمع "خُلِي" على فُعُول، كَقُلُسَ وقُلُوسَ، فأصله، خُلُوي كَثُثِيَّ، وثُدُوي، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت، وكُسرت عين الكلمة، وإن كانت في الأصل مضمومة لتصح الياء، لذلك جاز فيها الوجهان: تَرَكُ الفاء على ضمها، أو إتباعها للعين في الكسرة، وهذا مطرد في كل جمع على فُعُول من المعتل اللام³. ولما صارت خُلِي مضمومة الحاء واللام، بعدها ياء مشددة، كان ذلك أشد "ثقلًا" فكسرت اللام، لمجيء الياء، فصارت خُلِي بضم الحاء، وكسر اللام، وأما كسر الحاء، فيرجع إلى استئثار ضمة الحاء بعد كسر اللام وبعدها ياء. فكسر الحاء راجع إلى مجاورة كسرة اللام، وإلى رد علماء العربية ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، وهو قوله تعالى: °(وَعِصِيَّهُمْ)⁴.

إن جمع خُلِيَّ، جاء نتيجة لإبدال الضمة كسرة، وقلب الواو ياء، ونتيجة للاجتراء عليه بالتغيير، عن طريق "ضمة الأول من الكلمة، وهو الحاء، إتباعا لكسرة ما بعده، وهو اللام من "حلي" فبقي حلي بكسر الحاء"⁵، وما يجري على "حلي" يجري على "صليا" من سورة مريم مما جاء لأمه ياء.

¹ - سورة الأعراف، الآية 148.

² - البحر المحيط، 176/5.

³ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، 451/5.

⁴ - سورة طه، الآية 62.

⁵ - الكتاب الموضح، 314/1.

وفي قوله تعالى: (وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)¹. قرأ أبو بحرية، وابن أبي ليلى، والأعمش، وحمزة، والكسائي، "عتيا" بكسر العين، وباقي السبعة بالضم، وعبد الله بفتح العين، وصاد "صليا" جعلهما مصدرين كالعجيج والرحيل، وفي الضم هما كذلك، إلا أنهما على "فُعُول"². وقرأ طلحة بن سليمان "جَنِيًّا" بكسر الجيم إتباعا لحركة النون³. وفي "بكيا" قرأ الجمهور "بُكِيًّا" بضم الباء، وعبد الله، ويحيى، والأعمش، وحمزة، والكسائي، بكسرها، إتباعا لحركة الكاف كعَصِيٍّ ودَلِيٍّ⁴.

وأما ما كان لامه ياء نحو "ثدي" و"حلي" و"صلي" فإنهم يكسرون الفاء أيضا، لأن الأصل تُدوي، فقلبت واو فُعُول ياء، لاجتماع الواو والياء، وسكون الأول، فأدغمت الياء في الياء، إلا أنهم أجروها مجرى ما كان من الواو فكسروا فاءها⁵. أما المصدر على "فُعُول" فقد عاملوه معاملة الجمع، فقالوا: عَتي، كما قالوا: دَلي، وعلى هذا جاء في حرف عبد الله (ظلمنا وعلينا)⁶. ومن هذا الجانب رد أبو حيان اعتبار ابن عطية بكيا مصدرا، لا يجري عليه الإتباع، فقال: "وقوله ليس بسديد؛ لأن إتباع حركة الكاف لا تعين المصدرية، ألا تراهم قرأوا جثيا بكسر الجيم، جمع جاثٍ، وقالوا عَصِيٍّ فأتبعوا"⁷. لكن صاحب الموضح، يرى أن ما كان مصدرا من الياء، لا يستمر الكسر

¹ - سورة مريم، الآية 7.

² - البحر المحيط، 243/7.

³ - م. نفسه، 255/7.

⁴ - م. نفسه، 277/7.

⁵ - الكتاب الموضح، 812/2.

⁶ - م. نفسه، 183/2.

⁷ - البحر المحيط، 277 / 7.

في فائه، كما استمر في الجمع والمصدر الذي من الواو؛ لأنه ليس بجمع ولا فيه تغييران؛ ولأن أحدا لم يرو في الماضي إلا ضم الميم، قال تعالى: (فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ)¹2.

هكذا نستخلص أن الإتياع للكسر، يتحقق في "فُعول" إذا كان جمعا، وقد يكون مصدرا، لكنه يعامل معاملة الجمع، إلا أنه يُستثنى المصدر من الياء خلافا للمصدر الذي من الواو.

6- في لفظ "منسيا"

في قوله تعالى: (وَكَنتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا)³. قرأ الأعمش في رواية: منسيا، بكسر الميم، إتياعا لحركة السين، كما قالوا مَنَتْنُ، باتباع حركة الميم لحركة التاء⁴. فقد جاءت حركة الميم تابعة لحركة السين، حيث تأثر الحرف الأول، بالحرف الثاني تأثرا مدبرا منفصلا، إذ لا يعتد بالساكن بين الحرفين المتحركين، لأنه حاجز غير حصين. ووقع مثل هذا في كلمة المرء من قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)⁵. وفيه قراءة ابن أبي إسحاق: "بَيْنَ الْمَرْءِ" بكسر الميم إتياعا لحركة الإعراب، إذ في المرء لغتان، هما فتح الميم مطلقا، وإتياعها حركة الإعراب⁶. وجعله ابن جني في المحتسب من الشواهد الثابتة في الاستعمال اللغوي⁷

¹ - سورة يس، الآية 67.

² - الكتاب الموضح، 183/2.

³ - سورة مريم، الآية 22.

⁴ - البحر المحيط، 253/7.

⁵ - سورة الأنفال، الآية 24.

⁶ - البحر المحيط، 303/5.

⁷ - المحتسب، 102/1.

المبحث الثالث: الإعلال

الإعلال مصدر الفعل "أَعَلَ"، والعِلَّة: المرضُ، وسميت حروف العلة بذلك لئنها وموتها. والمقصود باللين الضعف، وحروف اللين، هي حروف المد، وهي حروف العلة أيضا.

أما اصطلاحا فيراد به: تغيير حروف العلة للتخفيف، ويجمعه القلب، والحذف والإسكان¹. ويرجع سبب الإعلال حسب هذا التعريف إلى التخفيف، وتسهيل النطق، إذ لما ثقلت الواو الساكنة بعد الكسرة، والياء الساكنة بعد الضمة، في نحو مَوْزَان، قالوا: ميزان، وهذا الأمر "يدعو الحس إليه ويحدو طلب الاستخفاف عليه"².

1- في فُعلول، جمعا ومصدرا:

قوله تعالى: (مِنْ حُلِيِّهِمْ)³. فحُلِيِّهِمْ بضم الحاء "فُعلول" وهي جماعة "الحُلَي" ومن قال حُلِيِّهِمْ في اللغة الأخرى فلمكان الياء كما قالوا: قِصِي، وَعِصِي⁴. وقرأ الأخوان من حُلِيِّهِمْ، بكسر الحاء، إتباعا لحركة اللام، كما قالوا: عصي، وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر وشيبة بضم الحاء، وهو جمع حلي، نحو ثدي، وتُدَي، وتُدَي، ووزنه "فُعلول" اجتمعت ياء وواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء وكسر ما قبلها لتصح الياء⁵. ففي القراءة الثانية، وقع الإعلال بقلب الواو ياء، وإدغامها في الياء، لأن أصل حُلَي، حلوو، على وزن "فُعلول" إذ جاءت الواو لام "فُعلول"، وما كان على فُعلول، مما لامه حرف علة، جمعا كان أو مصدرا، فإن الواو منه

¹ - شرح شافية ابن حاجب، 66/3.

² - الخصائص، 1/ 50-51.

³ - سورة الأعراف، الآية 148.

⁴ - معاني القرآن: الأخفش، 337/1.

⁵ - البحر المحيط، 176/5.

تقلب ياء، وتدغم في اللام بعد قلبها ياء إذا كانت واوا¹. وأما إذا كان "فُعول" مفردا كالمصدر من "علا، وعَتَا" فإن الواو فيه لا تقلب ياء بل نقول "عُتُوا" و"عُلُوا" ويقلب فيه قلب الواو ياء، لذلك وردت القراءة به فقرأ "عُلِيَّا" على خلاف القياس، حيث قرئ بقلب الواو ياء وهي قراءة زيد بن علي.

فالتصحيح في المفرد مقدم على الإعلال، بخلاف الجمع، فإن الإعلال فيه هو المقيس، وشذ التصحيح نحو: نَهْوٌ، وَهُؤُ²، ويرى الفراء جواز أن يكون المصدر بالياء، لأن المصادر والأسماء تتفق في هذا المعنى³، ويعلل الرضي قلب الواو ياء، بحمله على الإعلال في الفعل فيقول: "ما كان ترك القلب فيه أولى، كل مصدر على فُعول، "كجُئُوا" و"عُتُوا"، ومن قلب فلاإعلال الفعل.

ويبقى الإعلال بقلب الواو ياء في "فُعول"، إذا كان مصدرا سماعيا، وبه جاءت القراءة القرآنية في قوله "عُتُوا" وأما إذا كان جمعا فالإعلال فيه هو القياس⁴.

2- في فُعَلَى:

في قوله تعالى: (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) ⁵. جاءت لفظة الدنيا بالياء مبدلة من واو، إذ هي مشتقة من الدنو بمعنى القرب، وأما القصوى والحلوى فشاذ، وإذا استعملت استعمال الأسماء فكذاك⁶، فـ"الدنيا"، جاء على القياس حيث أبدلت الواو ياء وأما القصوى

¹ - الكتاب، 384/4. شرح شافية ابن الحاجب، 161/3.

² - البحر المحيط، 13/7.

³ - معاني القرآن، 255/2.

⁴ - شرح شافية ابن الحاجب، 171/3.

⁵ - سورة الأنفال، الآية 42.

⁶ - البحر المحيط، 455/1.

فعلى غير قياس¹، لأن الياء في الدنيا منقلبة عن واو، سواء كانت اسما أو صفة، قال الرضي: "وتقلب الواو ياء في فُعْلى، إذا كانت اسما نحو: الدنيا والعليا، أصلهما الدنو من دنا يدنو، والعلو من علا يعلو من العلو"². وأما "القصوى" فقد جاءت بالتصحيح على "قصوى" وبالإعلال على "قصيا" وبه وردت قراءة زيد بن علي، وهو القياس على لغة تميم³، فلما استنقلوا اجتماع الضم والواو، قلبوا الواو ياء، وهو القياس، أما قصوى بالواو على التصحيح، دون إعلال ففصيح من جهة الاستعمال، وعليه يكون الإعلال بالقلب في "قصوى" قياسا على دنيا، ولهذا اعتبر ابن السكيت، فيما نقله عنه ابن منظور وأبو حيان، أن "قصوى" نادرٌ وخارجٌ عن القياس، إذ القياس عنده (القصيا) على لغة تميم⁴.

وفي قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَدَا لَهُمْ) ⁵. قَرَأَ بَكْرَةُ الْأَعْرَابِيُّ (طَبِيبِي) بِكَسْرِ الطَّاءِ، لِتَسْلَمَ الْيَاءُ مِنَ الْقَلْبِ، وَإِنْ كَانَ وَزْنُهَا "فُعْلى"، كَمَا كَسَرُوا فِي بَيْضٍ لِتَسْلَمَ الْيَاءُ، وَإِنْ كَانَ وَزْنُهَا فُعْلًا كَحُمُرٍ ⁶. إذ القراءة بكسر الطاء جاءت على الأصل، والقياس "طوبى"، بقلب الياء واوا؛ لأنه على وزن "فُعْلى" "مِنَ الطَّيِّبِ، قُلِبَتْ يَأُؤُهُ وَاَوَّا لِحَمَّةٍ مَا قَبْلَهَا" ⁷؛ أي أن ضمة الطاء، فأحالتها إلى الواو، ليصح الجمع بين الضم والواو، لكن لا يتم، إلا إذا كانت طوبى اسما. قال سيبويه: "هذا باب ما تقلب فيه الياء واوا، وذلك إذا كانت اسما كالطوبى، والكوسى" ⁸.

¹ - إعراب القرآن: النحاس، 98/2، والكشاف، 283/2.

² - شرح شافية ابن الحاجب، 831/2.

³ - البحر المحيط، 328/5.

⁴ - لسان العرب، مادة "قصو". والبحر المحيط، 324/5.

⁵ - سورة الرعد، الآية 29.

⁶ - البحر المحيط، 386/6.

⁷ - البحر المحيط، 386/6.

⁸ - الكتاب، 364/4.

3- في مفعلة:

في قوله تعالى: (مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ)¹، "مَثُوبَةٌ: مَفْعَلَةٌ مِنَ الثَّوَابِ، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الْوَاوِ إِلَى الثَّاءِ، وَيُقَالُ: مَثُوبَةٌ. وَكَانَ قِيَاسُهُ الْإِعْلَالُ فَتَقُولُ: مَثَابَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ صَحَّوْهُ كَمَا صَحَّوْا فِي الْأَعْلَامِ مُكَوَّرَةً"². فالقياس في مثوبة، هو الإعلال؛ أي مثابة، والتصحيح مثوبة، إذ قلبت حركة الواو على الثاء، فانقلبت الواو ألفا إتباعا لثاب يثوب"³. ويرى ابن جني أن "أصل مَثُوبَةٌ مَثُوبَةٌ، فنقلت الضمة من الواو، إلى الثاء"⁴

¹ - سورة المائدة، الآية 60.

² - البحر المحيط، 512/1.

³ - إعراب القرآن، 76/1.

⁴ - المحتسب، 213/1.

المبحث الرابع: الإبدال

رأينا أن الإبدال يقع في صيغة الافتعال، في الأفعال قياساً، وقد يجري في غير صيغة الافتعال، لكنه على غير قياس، وهو ما اصطلح عليه بالإبدال السماعي، وهو كثير، لا يسلم منه حرف من حروف العربية، إذ "قلما نجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البديل إلا نادراً¹.

1- في قوله تعالى: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)². قال أبو حيان: "ولا يجوز الإبدال

إلا فيما سمع، حكى: زراط في صراط"³. فأصل كلمة "صراط" هو "سراط" بالسين على قراءة قنبل ورويس"⁴. قال الأزهري: "ومن قرأ بالسين فهو الأصل؛ لأن العرب تقول سرطت اللقمة سرطاً، وزرذتها، زرداً أي: بلعتها بلعاً"⁵. وروى الأصمعي عن أبي عمرو، أنه قرأ (الزراط) بالزاي خالصة⁶، فإبدال الزاي سينا، راجع إلى أن "الزاي من حروف الصغير، مثل السين، والزاي أشبه بالطاء، لأنهما مجهورتان⁷، وراجع كذلك إلى كون الزاي لغة لعذرة وكعب وبني القيس"⁸، لذلك جاز -حسب القراءة والقبائل العربية- إبدال السين زايًا في (السراط) أو في غيره من الكلمات.

¹ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، 356/1.

² - سورة الفاتحة، الآية 6.

³ - ارتشاف الضرب، 326/1.

⁴ - الكتاب، 143/1 والبحر المحيط، 45/1.

⁵ - معاني القراءات، 111/1.

⁶ - السبعة في القراءات: البغدادي، 105.

⁷ - التبيان في إعراب القرآن: العكبري، 8/1.

⁸ - البحر المحيط، 45/1.

فإذا كان -كما قلنا- الأصل في (الصراط) هو (السرط) بالسين، فإن إبدال سينه صادًا، هو الفصحى، وهي لغة قريش، وبها قرأ الجمهور، وبها كتبت في الإمام¹.

ويتحدد توجيه هذا الإبدال في كون "مخرج السين والصاد من طرف اللسان، فيما بينه وبين الثنايا، والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف؛ أي كلمة، فيه غين أو قاف، أو طاء، أو فاء². الحروف التي تأتي بعد السين مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستقل فكرهوا الخروج منه إلى هذه الحروف لثقله، فأبدلوا من السين صادًا، لأنها توافق السين في الهمس، والصفير وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فتجانس الصوت بعد الإبدال³. ويتصل بلفظ (الصراط) أمثلة كثيرة، وردت بها القراءات القرآنية، وجاءت على لسان العرب، وهي مبنوثة في كتاب البحر المحيط، ومنه قوله تعالى: (وَالنَّحْلَ بَاسِفَتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ)⁴، حيث روى قطبة بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قرأ: باصقات بالصاد، وهي لغة لبني العنبر، يبدلون من السين صادًا، إذا وليتها، أو فصل بحرف، أو حرفين خاء، أو عين، أو قاف، أو طاء⁵.

2- في قوله تعالى: (مِرْ بَفْلِهَا وَفِثَّآيَهَا وَبُومِهَا)⁶. نقل أبو حيان عن الكسائي والفرء والنضر بن شميل: هو الثوم بإبدال الثاء فاء كما قالوا: في مَعْثُورٍ مَعْفُورٌ⁷. فعلى قراءة عبد الله

¹-البحر المحيط، 45/1.

²- معاني القراءات، 110/1.

³- التبيان في إعراب القرآن، 8/1. وشرح شافية ابن الحاجب، 231/3. وارتشاف الضرب، 324/1.

⁴- سورة ق، الآية 10.

⁵- البحر المحيط، 531/9.

⁶- سورة البقرة، الآية 61.

⁷- البحر المحيط، 376/1.

بن مسعود، وعبد الله بن عباس¹ جاء الإبدال، إذ الثاء في (ثومها) هو الأصل، والياء بدل من الثاء، والمقصود الثوم، وهو مناسب للعدس والبقل والبصل². فلما تجاور الثاء والفاء في المخرج، واتفقا في الصفة، أي في الرخاوة والهمس جاز إبدالها³.

ويجري هذا النوع في كثير من الحروف المتجاوزة، مما يدل على أن شرطه تجاور الحرفين في المخرج، ويرد - في إبدال القاف والكاف، لأنهما متجاوران، وهما من الحروف الشديدة، لكن الكاف مهموسة، والقاف مجهورة⁴.

وبإبدال القاف كافا، قرأ عبد الله ابن مسعود قوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَرْ)⁵، ووافقه على القراءة إبراهيم التيمي والشعبي⁶. وعليه حديث معاوية بن الحكم السلمي، أنه قال: "ما رأيت معلما قبله، ولا بعده أحسن تعليما من النبي صلى الله عليه وسلم، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني"⁷، أي قهرني.

3- في قوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)⁸. قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي

(بظنين) أي بمتهم، وقيل: معناه بضعيف القوة على التبليغ، من قولهم بئر ظنون إذا كانت

¹ - المحتسب، 88/1.

² - البحر المحيط، 376/1.

³ - المحتسب، 88/1.

⁴ - الكتاب، 452/4.

⁵ - سورة الضحى، الآية 9.

⁶ - البحر المحيط، 497/10.

⁷ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، 381/1، باب تحريم الكلام في

الصلاة رقم، الحديث 537.

⁸ - سورة التكويد، الآية 24.

قليلة الماء وأما بالضاد فالمعنى ببخيل¹، إذ من السهولة واليسر الانتقال من الضاد إلى الظاء لقربهما في المخرج، واتفاقهما في الجهر والإطباق والاستعلاء، لذلك ورد التبادل بين الضاد والظاء.

إن الإبدال السماعي، لا يكاد ينحصر في صنف من حروف العربية، بل يشملها جميعا، شريطة حصول التقارب والتجانس والتجاور بين الحرفين، داخل الصيغة الواحدة، ولو أردنا مسك حالات الإبدال في الحروف المتجانسة والمتجاورة والمتقاربة لطال بنا مقام البحث إلى صفحات عديدة، ربما لا تناسب التوازن مع المطالب الأخرى السابقة، خاصة وقد علمنا أن أبا حيان قد نقل عن شيخه أبي الحسن الصائغ "أنه قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه الإبدال إلا نادرا"²

¹ - البحر المحيط، 419/10. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص 364.

² - المزهر في علوم اللغة، 356/1.

الفصل الثاني
وقوع اللفظ
بين
صيغة وأخرى

المبحث الأول: بين المصدر والاسم

المصدر لغة مأخوذ من صدر كل شيء؛ أي أوله وصدر السهم، ما جازه من وسطه إلى مستدقه، وسمي بذلك لأنه المتقدم إذا رمي، والصدرة من الإنسان ما أشرف من أعلى حدود، والوضع مصدر ومنه مصادر الأفعال¹. وفي الاصطلاح "أن المصدر، كل اسم دلّ على حدث وزمان مجهول، وهُوَ وفعله من لفظ واحد"². ويعد المصدر من الصيغ الاسمية التي تشكل نسبة كبيرة في أقسام الكلام، وله أهمية كبيرة في اللغة العربية، إذ شغل حيزا كبيرا من الدراسات اللغوية والنحوية، ويرجع هذا الاهتمام إلى ما يثيره المصدر من إشكالات، كانت محل نقاش بين علماء اللغة والتفسير والقراءات.

فمن المؤلف المعتقد في الأحكام اللغوية، أن لا يوصف بالمصدر، ولا يخبر به عن اسم ذات، ولا يخبر باسم الذات عنه، فلا نقول: زيد انطلق، ولا الانطلاق زيد، لكن قد تنشأ علاقة نحوية بين الذات والمصدر على غير المعتقد، وعلى غير الأصل فنقول: "رجل عدل وصوم ورضا"³. وبناء على العلاقة بين الذات والمصدر على غير المعتقد، اختلف العلماء في توجيه المصدر، فأوله بعضهم بالمشتق، (اسم الفاعل، واسم المفعول)، فرجل عدل تعني (عادل) ورجل رضى (مرضى)، وأوله بعضهم على أن هناك محذوفا مقدرا، "ذو عدل، وذو رضا" ويذهب البعض الآخر إلى أنه لا يوجد تأويل، بل هو على جهة المبالغة، فكأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى، لكثرة حصوله منه، "وقالوا رجل عدل وفضل، كأنه لكثرة عدله والرضا عنه، وفضله، جعلوه نفس العدل والرضا والفضل"⁴.

¹ - تاج اللغة وصحاح العربية، "مادة صدر".

² - اللمع في العربية: ابن جني، ص: 48.

³ - معاني النحو: فاضل السامرائي، 1/193.

⁴ - شرح الكافية، 2/3.

فالمصدر في استعمالاته غير المألوفة، يدل إما على المبالغة، أو أنه بمنزلة المشتق، أو أنه تم الاستغناء عن فعل محذوف من جنس المصدر، والاكتفاء بالمصدر لدلالته على الفعل المحذوف.

ومرجع هذه الاستعمالات غير المألوفة يعود لسببين: اختلاف لغة العرب، إذ تختلف قبائل العرب، في استعمال لفظة أو تعبير، فقد تستعمل قبيلة مصدرا لفعل لا تستعمله قبيلة أخرى؛ لذلك توجد كثير من المصادر لفعل واحد، لكن المعنى بينهما واحد، وقد أشار أبو حيان إلى هذا الصنف في كتابه البحر المحيط في مواضع مختلفة، ومن ذلك "ويقال نعق ينقع نعيقا ونعقا"¹ ومنه أيضا "عاذ بكذا اعتصم به عودا وعايذا ومعادا ومعادة، ومعناه التجأ واعتصم"². اختلاف المعنى، وهو سبب مهم في اختلاف المصادر، إذ يكون لأحد المصدرين معنى يختص به، لا يستعمل له المصدر الآخر، أو يكثر الاستعمال فيه، كالضرر والضر، فهو بالفتح الضرر في كل شيء، وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال، قال تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)³. وقال: (فُلْ مِّنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فُلِ اللَّهِ فُلٌ أَقْبَاتُخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)⁴. فالضر عام مقابل النفع، ففرق بين البنائين لا فتراق المعنيين، فقد جاء تأثير الدلالة واضحا على صياغة المصدر، وقد جاء هذا في

¹ - البحر المحيط، 98/2.

² - م. نفسه، 106/3.

³ - سورة الحج، الآية 83.

⁴ - سورة الرعد، الآية 17.

تفسير أبي حيان في قوله: "ومعنى أخزيته فضحته، من خزى الرجل يخزي، خزيا إذا افتضح، وخزاية إذا استحيا، الفعل واحد، واختلف في المصدر فمن الافتضاح خزي، ومن الاستحياء خزاية¹

أما الاسم فقد فصلنا في تحديده، في مبحث الاسم وأقسامه، والمهم عندنا هنا، هو بيان احتمالية اللفظ، وقوعه بين المصدر والاسم، بجميع أنواعه، مفردا، وجمعا، ومشتقا..

ونبين احتمال وقوع اللفظ بين الاسم والمصدر من خلال ما يأتي من النماذج.

1- فَعْلٌ وَفَعْلٌ:

-حَجَّ وَحَجَّ: في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ

إِلَيْهِ سَبِيلًا)². قرأ حفص وحمة والكسائي: (حج البيت) بكسر الحاء وفتح الباقون الحاء. قال

أبو منصور: من قرأ (حج البيت) فهو مصدر حجبت حجا. وقال بعضهم: (الحج) بكسر الحاء:

عمل السنة، و (الحَج): المصدر. وقال أحمد بن يحيى: هما لغتان: حجبت حجا وحجا. قال:

ونحن نذهب إلى أن اللغتين إذا شهرتا جمع بينهما، وهذا من ذاك، وأيهما قرئ به فهو صواب.

وأحب الكسائي ألا يخرج من اللغتين جميعا. قال: والحج مكسورة، لغة أهل نجد، والفتح لغة أهل

العالية. قال: واختار بعض أصحابنا الفتح في كل القرآن. وقال: ليس بين الحرف الذي في آل

عمران وبين غيره في كل القرآن فرق، فإما أن يجعل كله على لغة هؤلاء أو على لغة أولئك³. وقيل

1_ البحر المحيط، 455/1.

2_ سورة آل عمران، الآية 97.

3_ معاني القراءات، الأزهرى، 268، 269/1.

إن الفتح مصدر والكسر اسم¹. وهما لغتان: الكسر لغة نجد، والفتح لغة أهل العالية. وجعل سيبويه الحج بالكسر مصدرا نحو: ذكر ذكرا. وجعله الزجاج اسم العمل. ولم يختلفوا في الفتح أنه مصدر².

-سَلِمَ وَسَلَمَ: في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ دَخِلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ)³، اختلف في السلم هنا، فقليل: هو الإسلام، لأن الإسلام:

قد يسمى: سلما بكسر السين، وقد يروى فيه الفتح، كما روي في السلم الذي هو الصلح الفتح والكسر، إلا أن الفتح في السلم، الذي هو الإسلام قليل، وجوز أبو علي الفارسي أن يكون السلم هنا، هو الذي بمعنى الصلح، لأن الإسلام صلح على الحقيقة، ألا ترى أنه لا قتال بين أهله، وأنهم يد واحدة على من سواهم؟ فإن كان الخطاب لابن سلام وأصحابه فقد أمروا بالدخول في شرائع الإسلام، وأن لا يبقوا على شيء من شرائع أهل الكتاب، التي لا توافق شرائع الإسلام، وإن كان الخطاب لأهل الكتاب، الذين لم يؤمنوا بالرسول، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بما سبق من أنبيائهم، ادخلوا في هذه الشريعة، وهي لهم، كأنه قيل: يا من سبق له الإيمان بالتوراة والإنجيل، وهما دالان على صدق هذه الشريعة، ادخلوا في هذه الشريعة، وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: يا من آمن بقلبه، وصدق، ادخل في شرائع الإسلام، واجمع إلى الإيمان الإسلام. وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام في حديث سؤال جبريل، حين سأله عن حقيقة كل واحد منهما. وإن كان الخطاب للمنافقين، فالمعنى: يا من آمن بلسانه، ادخل في الإسلام بالقلب حتى يطابق القول الاعتقاد⁴.

1_ حجة القراءات ابن زنجلة، ص 170.

2_ البحر المحيط، 274/3.

3_ سورة البقرة، الآية 208.

4_ البحر المحيط 338/2

وفي «السلم» ثلاث لغات: كسر السين وتسكين اللام. وبها قرأ أبو عمرو وابن عامر في «البقرة» وفتح السين في «الأنفال» وسورة «محمد». وفتح السين مع تسكين اللام. وبها قرأ ابن كثير ونافع والكسائي في المواضع الثلاثة، وفتح السين واللام. وبها قرأ الأعمش في «البقرة» خاصة. وفي معنى «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. والثاني: أنها الطاعة، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول أبي العالية، والربيع¹.

2- فَعَلَ وفَعَّلَ:

-أَرْضَ وَأَرْضَ: (في قوله تعالى: مَا دَلَّهِمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ

تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ²) قيل: المراد بدابة الأرض سوسة الخشب، وهي الأرضة، وقالت فرقة، منها أبو حاتم: الأرض هنا مصدر، فَعَلَهُ أَرْضَتِ الدَّابَّةُ الْخَشَبَ تَأْرُضُهُ أَرْضًا، فَأَرْضَ بِكسْرِ الرَّاءِ، نَحْوُ: جَدَعْتُ أَنْفَهُ فَجَدَعَ. ويُقال: إِنَّهُ مَصْدَرٌ لِفِعْلِ مَفْتُوحِ الْعَيْنِ. قراءةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ: (الْأَرْضُ) بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَقِيلَ: الْأَرْضُ بِفَتْحِ الرَّاءِ جَمْعُ أَرْضَةٍ³.

إن لفظة "الأرض" إما أن تكون مصدراً من أَرْضَتِ الخشبة، إذا أكلتها الأرضة⁴ ويكون المراد دابة أكل الخشب، وهي الأرضة، وهي الدُّويبة التي يقال لها السُّرْفَةُ، أي سوسة الخشب،

1- زاد المسير 173/1

2- سورة سبأ، الآية 14.

3- البحر المحيط، 524/8.

4- لسان العرب، مادة (أرض).

والأرض فعلها فأضيفت إليه¹، وإما أن تكون اسماً بمعناها المعروف؛ أي الأرض التي يعيش عليها الناس، ويكون المراد حيوان من الأرض، وعليه قيل: ليس المراد الأرضة التي هي سوسة الخشب؛ لأنها ليست من دواب الأرض، بل هي حيوان، إلا أنه أضيفت دابة إلى الأرض، لأنها تؤثر في الخشب، كما تؤثر الأرض فيه، إذا دخل فيها².

3- فَعْلٌ وفُعْلٌ:

-قَرَحَ وقَرَحَ: في قوله تعالى: (إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)³ ، قرأ الأخوان وأبو بكر والأعمش من طريقه قُرَحَ بضم القاف، وباقي السبعة بالفتح، والسبعة على تسكين الراء، قال أبو علي: والفتح أولى، ولا أولوية إذ كلاهما متواتر، وقرأ أبو السمال، وابن السميع "قَرَحَ" بفتح القاف والراء، وهي لغة كالطَرْد والطَرْد، والشلّ والشلل⁴.

إن لفظ قرح مصدر على وزن فَعْلٌ، مفتوح الأول، ساكن الثاني، وهو القياس، ويكون مصدراً للثلاثي اللازم والمتعدي⁵، لكنه قد يكون اسماً بضم حرف القاف لذلك اختلفت معانيها، بناء على اختلاف صيغتها، فعلى قراءة فتح القاف، نقول: "قَرَحَتْه قَرْحاً" إذا جرحته، وعلى قراءة الضم، تكون بمعنى الجرح. قال الفراء: "وأكثر القراء على فتح القاف، وقرأ أصحاب عبد الله قُرَحَ ، وكأن

1- الكشف، 583/3.

2_ روح المعاني، 121/22.

4_ سورة آل عمران، الآية 140

4_ البحر المحيط، 354/3 .

5_ شرح ابن عقيل، 123/3.

الْقَرْحُ أَلَمُ الْجَرَاحَاتِ، وَكَأَنَّ الْقَرْحَ الْجَرَاحَ بِأَعْيُنِهَا، وَهُوَ فِي ذَاتِهِ مِثْلُ قَوْلِهِ "أَسْكَنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ"، وَوُجِدْكُمْ، وَقَوْلُهُ: "وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ"²¹، فَالْفَرَاءُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْمَضْمُومَ هُوَ أَلَمُ الْجَرَاحِ، وَالْمَفْتُوحُ هِيَ الْجَرَاحَاتُ عَيْنِهَا، لَكِنْ غَيْرُهُ يَرَى أَنَّ لَفْظَةَ قَرْحٍ بَضْمُ الْقَافِ وَفَتْحُهَا لَغَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، مِثْلُ الضَّعْفِ وَالضُّعْفِ³. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو حَيَّانٍ فِي قَوْلِهِ: "الْقَرْحُ وَالْقَرْحُ لَغَتَانِ، كَالضَّعْفِ وَالضُّعْفِ، وَالْكَرْهِ وَالْكَرْهِ، وَالْفَتْحُ لُغَةُ الْحِجَازِ، وَهُوَ الْجَرْحُ".

وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ أَبَا حَيَّانٍ لَا يَرَى فَرْقًا بَيْنَ الْقَرْحِ بِالْفَتْحِ وَالْقَرْحِ بِالضَّمِّ، وَيُرِيدُ قَوْلُ مَنْ قَالَ الْقَرْحُ بِالْفَتْحِ الْجَرْحُ، وَبِالضَّمِّ أَلَمُ الْجَرَاحِ لِأَنَّهُ "يَحْتَاجُ إِلَى صَحَّةِ نَقْلِ عَنِ الْعَرَبِ، لِذَلِكَ لَمْ يَرْجَحْ بَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ، كَمَا فَعَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارْسِيُّ، لِأَنَّ كُلَّيْهِمَا مُتَوَاتِرٌ"⁴

الْمَلَا حَظَّ أَنَّ لَفْظَةَ قَرْحٍ، وَقَعَتْ بَيْنَ دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَصْدَرِ، وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْاسْمِ، وَأَنَّ هَذَا الْوُقُوعُ مِنْهُ مَا عَزَى لِلْقَرَاءَاتِ، وَمِنْهُ مَا عَزَى لِللُّغَاتِ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى الْجَرْحِ، وَهُوَ الْاسْمُ، إِذَا كَانَتْ مَضْمُومَةً الْقَافِ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَصْدَرِ، إِذَا كَانَتْ مَفْتُوحَةً الْقَافِ، وَقِيلَ: "هِيَ صِفَةٌ، لِأَنَّهَا تَمَثِّلُ الْأَلَمَ الَّذِي صَاحَبَ الْجَرْحَ، أَوْ بِكُلَّيْهِمَا عَلَى الْمَصْدَرِ"⁵ وَبِهَذَا يَكُونُ لِلْفَتْحِ الْقَرْحُ فِي الْآيَةِ ثَلَاثَةُ تَوْجِيهَاتٍ: أَنَّ تَكُونَ مَصْدَرًا، بِفَتْحِ الْقَافِ، أَوْ تَكُونَ اسْمًا لِلْجَرْحِ، بِضَمِّ الْقَافِ، أَوْ تَكُونَ مَصْدَرًا، بِالضَّمِّ، وَالْفَتْحُ.

1 _ التوبة، الآية 79.

2 _ معاني القرآن: الفراء، 1/ 234.

3 _ معاني القرآن: الأخفش، 1/ 233. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 1/ 470.

4 _ ينظر البحر المحيط، 3/ 344، 354.

5 _ الاحتمال الصرفي في القرآن: يوسف فيصل العيداني، ص: 54.

4- فَعْلٌ وَفِعْلٌ:

-ضَيْقٌ وضيق: في قوله تعالى: (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ)¹ ، قرأ ابن

كثير وحده (ولا تك في ضيق) بكسر الضاد، ومثله في النمل وكذلك روى أبو عبيد عن إسماعيل عن نافع، وخلف عن المسيبي عن نافع، وقرأ الباقون (في ضيق) بفتح الضاد في السورتين.

قال الفراء: الضيق: ما ضاق عنه صدرك. والضيق: يكون في الذي يتسع ويضيق، مثل: الدار، والثوب². «الضيق» بفتح الضاد في القلب والصدر، «والضيق» بكسر الضاد في الثوب والدار وما أشبهها مما يرى، قال الفراء: فإذا رأيت الضيق بفتح الضاد، قد وقع في موضع الضيق، فهو مخفف من ضيق، أو جمع ضيقة، ولا يعرف البصريون من هذا التفريق شيئاً، وقالوا: إذا أردت المصدر، قلت: الضيق، كما تقول: البيع، وإن أردت الاسم قلت: الضيق كما تقول: العلم، وأجازوا في ضيق التخفيف³.

ونكر أبو حيان أن أبا علي الفارسي قال: الصواب أن يكون الضيق لغة في المصدر، لأنه إن كان مخففاً من ضيق، لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف، إذا تخصص الموصوف، وليس هذا موضع ذلك، والصفة إنما تقوم مقام الموصوف، إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة، كما تقول: رأيت ضاحكاً، فإنما تخصص الإنسان. ولو قلت: رأيت بارداً لم يحسن، وبارد مثل سيبويه، وضيق لا يخص الموصوف. وقال ابن عباس، وابن زيد: إن ما في هذه الآيات من الأمر بالصبر منسوخ، ومعنى المعية هنا بالنصرة والتأييد والإعانة⁴.

1_ سورة النحل، الآية 127 .

2 - معاني القراءات للأزهري 84/2

3- إعراب القرآن للنحاس 263/2

4 - البحر المحيط، 614/6.

-نَسِي، نَسِي: في قوله تعالى: (يَلَيَّتَنِ مِتُّ فَبَلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا)¹

قرأ حمزة وحفص (نَسِيًّا) بفتح النون، وقرأ الباقون (نَسِيًّا) بكسر النون. قال أبو منصور: من قرأ (نَسِيًّا) بكسر النون، فإن النسي في كلام العرب: الشيء الذي يلقى ولا يؤبه له، كالحبضة الملقاة، والخرق البالية، والرَّمَم التي لا قيمة لها ومن قرأ (نَسِيًّا) فإنه كان في الأصل (نَسِيًّا) فخفف فقل: نسي، معناه: المنسي، كما يقال، للهدى هدي، وجاز تكرير لفظين مختلفين بمعنى واحد للتأكيد والنسي أكثر في الكلام من النَّسي² فقد اعتبر القراءة بالفتح والكسر اسما. قال ابن خالويه الهمداني: فمن فتح أراد المصدر نسيت الشيء أنسي نَسِيًّا ونَسِيَانًا³. فقد عد ابن خالويه نسيا بالفتح مصدرا مستعملا إلى جانب نسيان وقال ابن زنجلة: نسيا بفتح النون مصدر نسيت أنسى نسيا ونسيانا مثل غشيته غشيا وغشيانا وبالكسر الاسم، ونقل عن الفراء أنهما لغتان، مثل الجسر والجسر والوتر قال الأخفش النسي هو الشيء الحقيق ينسى نحو النعل⁴.

ومن هذا يمكن القول: إن اللفظة القرآنية (نَسِيًّا)، جاءت فيها احتمالات عزيت إلى أمور عديدة، منها القراءة القرآنية، بكسر النون وفتحها، للدلالة على المصدرية والاسمية، ومنها ما وجهته ظاهرة العدول بالمصدر عن اسم المفعول، ومنها ما كان معزوا إلى كونه لهجة أو لغة⁵.

1 - سورة مريم، الآية 23.

2 - معاني القراءات وعللها: 132/133/2

4- إعراب القراءات السبع وعللها: 15/2

5 - حجة القراءات: 441

5- الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم، ص: 39.

5-فَعْلٌ وفَعَالٌ:

في قوله تعالى: (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ

سُدًّا)¹، - قال أبو منصور: قرأ حمزة والكسائي ثلاثهن بالألف، وقرأهن ابن عامر كلهن بغير

ألف، وقرأ الباقر (خرجًا) بغير ألف، (فخراج ربك) بألف، قال أبو إسحاق النحوي: من قرأ (خرجًا)

فالخرج: الفيء - والخراج: الضريبة. والخراج عند النحويين: الاسم لما يخرج من الفرائض في

الأموال. والخرج: المصدر، وقال الفراء: الخراج: الاسم الأول - والخرج كالمصدر (إن خرج رأسك)

كأنه الجعل. كأنه خاص، والخراج العام².

ونقل ابن أبي زنجلة عن الزجاج قال: الخرج الفيء والخراج الضريبة، وقيل الجزية قال:

والخراج عند النحويين الاسم لما يخرج من الفرائض في الأموال والخرج المصدر وقال غيره: خرجا

أي عطية، نخرجه إليك من أموالنا، وأما المضروب على الأرض فالخراج، ويدل على العطية قوله

في جوابه لهم "ما مكني فيه ربي خير"³ وقيل الخراج الاسم، والخرج المصدر⁴

نستنتج أن لفظ "خرج" وقع بين المصدر والاسم، مما أدى إلى تنوع قراءاته بين فَعْلٌ وفَعَالٌ

ومن ثم إلى اختلاف العلماء في توجيهه" إذ يرى البعض أن فَعْلٌ وفَعَالٌ يأتیان بمعنى واحد، وهو

في "خرج وخراج"، ما يخرج من أموال، وكل ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة، غير أن البعض

1 - سورة الكهف، الآية 94.

2- معاني القراءات للأزهري 124/2

3- حجة القراءات: 433

4 - الموضح: 476/2.

الآخر يرى أن "خرج" مصدر، وخراج اسم لما يخرج، وقيل هما لغتان "خرج" لحَمِير و"خراج" لقريش.

6- فَعَلَ وفَعَال:

-مهد ومهاد: في قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهْدًا وَسَلَكَ

لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ

شَتَّى)¹ وقرأ الأعمش وطلحة وابن أبي ليلي وعاصم وحمزة والكسائي مهدا بفتح الميم وإسكان

الهاء، وباقي السبعة مهادا، وكذا في الزخرف، فقال المفضل: مصدران مهد مهدا ومهادا. وقال أبو

عبيد: مهاد اسم، ومهد الفعل يعني المصدر. وقال آخر مهدا مفرد ومهاد جمعه، ومعنى ذلك أنه

تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم، ونهج لكم فيها طرقا لمقاصدكم حتى

لا تتعذر عليكم مصالحكم²

نلاحظ أن أبا حيان قد نقل الخلاف في بنية لفظ "مهد" دون ترجيح، ويتلخص توجيه ذلك

في ثلاث زوايا:

1: مهاد اسم، ومهد مصدر.

2: مهد ومهاد مصدر.

3: مهد مفرد، ومهاد جمع.

1 - سورة طه، الآية 53.

2 - البحر المحيط، 343/7. وانظر، حجة القراءات، ابن زجلة، ص: 453.

لكن المعنى بين مهد ومهاد متقارب، لذلك قال أبو حيان: ومعنى ذلك أنه تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم. قال أبو علي: المهد: مصدر كالفرش، والمهاد مثل الفراش في قوله: "الذي جعل لكم الأرض فراشا"¹ وقوله "والله جعل لكم الأرض بساطاً"² فالمهاد مثل الفراش والبساط، وهما اسم ما يفرش ويبسط، ويجوز أن يكون المهد استعمل استعمال الأسماء، فجمع كما يجمع فعل على فعال، والأول أبين، ويجوز في قول من قرأ: مهداً أن يكون المعنى: ذا مهد، فيكون المعنى كقول من قال مهاداً"³

وقال ابن زنجلة: قرأ أهل الكوفة مهداً، ذهبوا إلى المصدر، فيكون تقدير الكلام الذي جعل لكم الأرض ممهودة مهذا فكيفي بقوله: "مهذا" من ممهودة، والعرب تضع المصادر في مواضع الموصوف، فتقول: رجل رضى أي مرضي، ورجل صوم، ويمكن أن يكون مهذا اسماً يوصف به الأرض؛ لأن الناس يتمهدونها ويسكنونها، فهي لهم كالمهد الذي يعرف، فسميت به وقال قوم هما لغتان مثل الريش والرياش"⁴

ويرى ابن أبي مريم أن المهد مصدر، كالفرش فيكون بمعنى المفعول، والمعنى ممهوداً ويجوز أن يكون اسماً لما يبسط فيستقر عليه، أي جعل لكم الأرض موضع قرار وأن المهاد اسم لما يفرش كالفرش، وهو كما قال "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا"

1 - البقرة/ 22

2- سورة نوح/ 19

3- الحجة للقراء السبعة: 223/5]

4 - حجة القراءات، ابن زجلة، ص: 453.

ويجوز أن يكون "مِهَادًا" جمع مهدٍ، استعمل - وإن كان مصدرًا يستعمل الأسماء، فجمع

كما تجمع الأسماء¹

7-فُعْل وفُعُل:

-سُحْتُ، سُحْتُ: في قوله تعالى: (سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ)² قرأ

النحويان وابن كثير: السحت بضم السين وإسكان الحاء. وقرأ باقي السبعة: بإسكان الحاء. وزيد بن علي وخارجة بن مصعب عن نافع: بفتح السين وإسكان الحاء، وقرأ بفتحتين. وقرأ عبيد بن عمير: بكسر السين وإسكان الحاء، فبالضم والكسر والفتحتين اسم المسحوت كالدهن والرعي والنبض، وبالفتح والسكون مصدر أريد به المفعول كالصيد بمعنى المصيد، أو سكنت الحاء طلبا للخفة³.

الملاحظ أن أوزان كلمة سحت تعددت، بناء على تعدد القراءات بها، فقد قرئت بضم السين والحاء، وبضم السين وإسكان الحاء، وبفتح السين وإسكان الحاء، وبكسر السين وإسكان الحاء ، وبهذه القراءات تتوقع لفظة سحت بين صيغتين، فهي إما أن تكون اسما للمسحوت، أو تكون مصدرا أريد به المفعول⁴

قال ابن ابي مريم في الموضح: " أما السحت بضم الحاء وإسكانه مع ضم السين، فهما لغتان، أما السحت بالفتح وإسكان الحاء، فهو مصدر سحت الشيء يسحته سَحْتًا، إذا استأصله، واللغتان المتقدمتان مشتقتان من هذا، لأن الحرام أذهبت بركته واستؤصلت⁵

1 - الموضح:2/497.

2 - سورة المائدة، الآية 42.

4- البحر المحيط، 263/4

4 - المسائل الصرفية في تفسير البحر المحيط¹⁸⁴.

5 - الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ابن ابي مريم، 241/1

8- فَعْلَةٌ وَفُعْلَةٌ:

-عَرَفَ وَغُرْفَةً: في قوله تعالى: (إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)¹، قرأ الحرميان،

وأبو عمر، و: غرفة، بفتح الغين وقرأ الباكون بضمها، فقليل: هما بمعنى المصدر، وقيل: هما بمعنى المغروف، وقيل: الغرفة بالفتح المرة، وبالضم ما تحمله اليد، فإذا كان مصدرا فهو على غير الصدر، إذ لو جاء على الصدر لقال: اغترافه، ويكون مفعول اغترف محذوفا، أي: ماء، وإذا كان بمعنى المغروف كان مفعولا به، قال ابن عطية: وكان أبو علي يرجح ضم الغين، ورجحه الطبري أيضا: أن غرفة بالفتح إنما هو مصدر على غير اغتراف². فعلى قراءة الفتح تعني أن غرفة مصدر مرة، منصوب على المصدرية، ومفعول اغترف محذوف تقديره من اغترف ماء غرفة، أي اغترف مرة واحدة بيده³. وعلى قراءة الضم تكون اسما، وهو اسم الماء المغترف، أو للمقدار من الماء الذي يملأ كف اليد، لأنه يقول: فيما بعد فشربوا منه، أي شربوا الماء المغروف، ولأنه اسم عدي الفعل إليه فهو منصوب، على أنه مفعول به⁴.

والغرفة والغرفة بمنزلة الخطوة والخطوة، فالخطوة مصدر المرة الواحدة، تقول خطوات خطوة أي واحدة، والخطوة اسم للمقدار ما بين القدمين⁵. قال ابن عطية: وكان أبو علي يرجح ضم الغين، ورجحه الطبري أيضا: أن غرفة بالفتح إنما هو مصدر على غير اغتراف⁶.

1- سورة البقرة، الآية 247.

2 - البحر المحيط، 2 / 588.

3- ينظر الكشف عن وجوه القراءات، 1 / 304.

4 - ينظر الموضح في وجوه القراءات، 1/336. وحجة القراءات: ابن زنجلة ص: 140. وشرح الهداية، 1/202.

5 - ينظر التفسير الكبير، 5/186. وحجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 140.

6 - البحر المحيط، 2 / 588.

وسواء جاء لفظ غرفة على أنه مصدر أو أنه اسم، فإن أبا حيان لم يقبل الترجيح بين القراءتين، وفي هذا يقول: " وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي، لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية، فلا يمكن فيها ترجيح قراءة على قراءة"¹

9 - فُعْلة وفُعْلة:

-خطبة وخطبة: في قوله تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ

خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ)² الخطبة: بكسر الخاء التماس النكاح، يقال خطب فلان فلانة، أي: سألها خطبه أي: حاجته، فهو من قولهم: ما خطبك؟ أي: ما حاجتك، وأمرك؟ قال الفراء: الخطبة مصدر بمعنى الخطب، وهو من قولك: إنه يحسن القعدة والجلسة، يريد: القعود والجلوس. والخطبة بضم الخاء الكلام المشتمل على: الزجر، والوعظ، والأذكار، وكلاهما راجع للخطاب الذي هو الكلام، وكانت سجاح يقول لها الرجل: خطب، فتقول: نكح..³

ولقد ورد لفظ خطبة في هذا الكلام على هئتين، فهي إما مكسورة الخاء أو مضمومة الخاء، فإذا كانت مكسورة الخاء، فهي إما مصدر مرة، لأنه وصف، ويراد به المرة الواحدة⁴ أو مصدر بمنزلة الخطب، ويحتمل أن يكون مكسور الخاء اسماً، لأن معنى خطبة بكسر الخاء، كمعنى خُطْب، بفتح الخاء، وأما خُطبة بضم الخاء، فهو ماله أول وآخر، نحو الرسالة⁵

1 - نفسه 588/2.

2- سورة البقرة، 235

3- البحر المحيط، 513/2.

4- شرح ابن عقيل، 101/3.

5- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 317/1.

إن الخطاب سواء أكان بمعنى الرسالة، أو بمعنى طلب النكاح من المرأة، لابد لهما من أن يتضمنا خطاباً، لكن السياق العام للآية، حكم على اللفظة بكونها مصدرية، لأن جوها كان يخوض في مضمار طلب المرأة للزواج، فهو مما كان مكسور الخاء دون غيره.¹ وعليه يوجه لفظ خطبة، بالكسر وبالضم، ثلاثة توجيهات: الخطبة: الحاجة، الخطبة بمعنى الخطب أي لأنها مصدر، الخطبة: الكلام المشتمل على الزجر والوعظ.

12- فَعَالَةٌ وَفَعَالَةٌ:

-ولاية ولاية: في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ

وَلَّيْتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا)²، قرأ حمزة وحده من ولايتهم، بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتح الواو³ حيث احتمل لفظ ولاية في الآية الكريمة احتمالين، وفق القراءتين، فعلى قراءة الفتح، تعني النصر، وهي ولاية الدين، وعلى قراءة الكسر، تعني الإمارة، وأورد أبو حيان اختلاف القراء في تحريك لفظة "ولايتهم"، بين الفتح والكسر، وبين أن هذا الاختلاف، نشأ عنه اختلاف في الدلالة، ونقل قول أبي عبيدة في ذلك فقال: «وقال أبو عبيدة بالكسر من ولاية السلطان، وبالفتح من المولى»، ونقل أيضاً قول الزجاج أن قراءة الفتح تعني النصر، وأن قراءة الكسر تعني الإمارة⁴

ويرى بعض العلماء، أن الأصل هو الفتح، وأن الواو كسرت، لأن في الولاية معنى الحرفة، وكل ما دل على صناعة يكون مكسوراً، مثل خياطة، وخبازة، وإمارة، إلا أنهم فتحوا فاء الكلمة

1- الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم، ص: 32.

2- سورة الانفال، الآية 72.

3- معاني القراءات، 1/445.

4- ينظر البحر الحيط، 5/358.

جوازاً في بعضها كالوكالة، والدلالة، والولاية.¹ إلا أن الآخرين يذهبون إلى الأخذ بكسر الواو، لأنها إنما تفتح إذا كانت نصرة، أما أبو حيان فلم ير فرقاً بين المعنيين، وعدّ القراءتين لهجتين دون أن ينسب أيهما إلى قبيلة معينة، لأن العلماء لم يستبعدوا أن تحمل لفظة ولاية بالفتح والكسر على معنى واحد، لأنهما مسموعتان بالفتح والكسر.

نستخلص أن صيغة فعالة هنا، تضمنت معنيين، بسبب القراءتين، فدلّت على المصدرية، والاسمية، بفتح الواو وكسرها، كما احتملت اللغات في القراءتين وقرئ بهما، وقد يكون مما حمل على المصدرية بالفتح والكسر للواو، وعزوا هذا إلى تعدد اللغات في المصدر.²

13- فَعْلَالٌ وَفَعْلَالٌ:

زَلْزَالٌ وَزِلْزَالٌ: في قوله تعالى (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)³. جاءت زلزال على

وزن فعلال، وهي صيغة مصدرية سماعية، من الفعل الرباعي المجرد زلزل، على وزن فَعْلَل، لكن القياس في هذا المصدر هو فَعْلَلَةٌ، نحو دحرج دحرجة، وزلزلة زلزلة.⁴

وقد ورد هذا المصدر في القرآن بقراءتين، بكسر الفاء وفتحها، قال أبو حيان: "وقرأ الجُمهُورُ: (زِلْزَالَهَا) بِكُسْرِ الزَّاي، وَالْجَحْدَرِيُّ وَعِيسَى: بِفَتْحِهَا، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَهُوَ مَصْدَرٌ كَالْوَسْوَاسِ"⁵

1- شرح الشافعية، 153/1.

2_ الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 35.

3_ سورة الزلزلة، الآية: 1.

4_ ينظر المقتضب، 95/2. وشرح الشافعية، 493/2.

5_ البحر المحيط، 522/10.

وأقر أبو حيان بمصدرية زلزال، في قوله: ويجوز فتح أول مصدر فَعَّل المضاعف، فتقول زَلزال¹، ونقل عن الزمخشري، أن المكسور المصدر، والمفتوح الاسم² وذهب الزجاج إلى أن القراءتين بالفتح والكسر تدلان على المصدر، وليس في كلام العرب فَعَلال بالفتح إلا في المضاعف، نحو الزلزال والصلصال³، وإلى هذا ذهب الزمخشري فيما نقله عنه أبوحيان في البحر المحيط⁴، لكن أبا حيان يرد هذا المذهب مشيراً إلى أنه قد وجد فَعَلال بالفتح من غير المضاعف، قالوا: "ناقّة بها خَزَعانٌ يَفْتَحُ الخاءَ وَلَيْسَ بِمُضَاعَفٍ"⁵. ويرى الكسائي والفراء ووافقهما الزمخشري، أن الزلزال بكسر الزاي مصدر، وبفتح الزاي اسم لأنه يقال وسوس وسواسا، والوسواس الشيطان، وهو مما حُمِلَ على اسم الفاعل بمعنى الموسوس، فهو فعّال بمعنى اسم فاعل، كفضفاض في معنى مفضفض وصلصال في معنى مُصلصل⁶

والخلاصة أن لفظة زلزال، تحتل احتمالين: أن تكون مصدراً سواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، أو تكون اسماً إذا كانت مفتوحة، وتحمل على أنها اسم فاعل، كصلصال بمعنى مصلصل، ووسواس بمعنى موسوس.

1_ ارتشاف الضرب، 494/2.

2_ البحر المحيط، 522/10.

3_ معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 351/5.

4- ينظر البحر المحيط، 522/10.

5- م. نفسه، 522/10.

6- ينظر معاني القرآن للكسائي، ص258. ومعاني القرآن للفراء، 173/3. والبحر المحيط، 522/10.

المبحث الثاني: بين المصدر والمشتقات

سبقت الإشارة إلى بيان احتمالية اللفظ المصدر والاسم غير المشتق، ونشير هنا إلى أن المصدر قد يحتل المصدر والاسم المشتق، كاسم الفاعل الذي يعد من المشتقات، التي تدل على الحدث والحدوث وفاعله¹ وهو من أهم موضوعات علم التصريف، لكثرة دلالاته، وكثرة وروده في القرآن الكريم، مقارنة مع باقي المشتقات. قال ابن منظور: "الفعل كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد. قال الليث: والفعال اسم للفعل الحسن، من الجود والكرم، وقال المبرد: الفعال يكون في المدح والذم، والفعلة صفة غالبية على عملة الطين والحفر ونحوهما، لأنهم يفعلون و"التاجر" يقال له "فاعل"². ويصطلح البصريون عليه باسم الفاعل، ويطلق عليه الكوفيون الفعل الدائم ويسميه سيبويه "الاسم" كما في قوله "وخلقه يخلقه خلقا، والاسم خالق"³ وقال ابن هشام "هو ما دل على الحدث، والحدوث وفاعله"⁴.

واسم المفعول الذي لا يقل عن اسم الفاعل درجة في اهتمام العلماء، فهو من صيغ الوصف العامل التي لقيت عناية بالغة، بتحديد أهم القواعد التي منحتة استقلالية افترق بها عن

1- لسان العرب، مادة "ف.ع.ل.". "

2- الكتاب، 5/4.

3- م. نفسه، 5/4.

4- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 181/3.

غيره من المشتقات، و"هو ما دل على حدث ومفعوله كمضروب ومُكْرَم"¹ أي ما دل على الحدث، والحدوث، وذات المفعول² وكذلك الجمع في مجموع تشكلاته، سواء السالم أو المكسر، والذي يعني كل اسم ناب عن ثلاثة فأكثر، بزيادة في آخره، أو تغيير في بنائه³.

وفيما يلي نتتبع ما يقع في اللفظ من احتمالية وقوعه بين المصدر والمشتقات.

أ_ المصدر واسم الفاعل والمفعول

1-فَعْل وفَاعِل

-سَلَمَ وسَالِمٌ: في قوله تعالى:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ

مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا اَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: (سالما) بألف مكسورة اللام. وقرأ الباقر (سلما

لرجل). قال أبو منصور: من قرأ (سالما) فمعناه: الخالص، وقد سلم يسلم فهو سالم - ومن قرأ

(سلما) فهو مصدر، كأنه قال: ورجلا ذا سلم لرجل، والمصدر يقوم مقام الفاعل⁴. ورجلا سالما /

بالألف وكسر اللام أي خالصا للرجل كذا جاء في التفسير وهو اسم الفاعل على سلم فهو سالم

وحجتها قوله {فيه شركاء متشاكسون} فكما أن الشريك عبارة عن العين وليس باسم حدث كذلك

الذي بإزائه ينبغي أن يكون فاعلا، ولا يكون اسم حدث وكذلك اختارها أبو عبيد وقال: "إن الخالص

هو ضد المشترك وأما السلم فإنما ضد المحارب ولا موضع للحرب ها هنا. وقرأ الباقر {سلما}

1- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، 196/3.

2- معاني الأبنية، ص: 52.

3_ شرح المفصل، ابن يعيش، 213 / 3

4_ معاني القراءات للأزهري 338/2

بغير ألف ومع اللام وهو مصدر سلم سلماً وحجتهم قوله {متشاكسون} لأن معناه متنازعون يدعيه كل واحد منهم ثم وصف من هو ضد هذه الحال ممن لا تنازع فيه ولا اختصام فقال رجلاً سلماً لرجل وكان معلوماً أن السلم ضد التنازع فكان تأويله ورجلاً سلم لرجل فلم يناع فيه ومنه قيل للسلف سلم لأنه سلم إلى من استسلفه¹

قال ابن الجوزي: "والمعنى: ورجلاً خالصاً لرجل قد سلم له من غير منازع. ورواه عبد الوارث إلا القزاز كذلك، إلا أنه رفع الاسمين، فقال: «ورجل سالم لرجل»، وقرأ ابن أبي عبة: «سلم لرجل» بكسر السين ورفع الميم. وقرأ الباقر: ورجلاً سلماً بفتح السين واللام وبالنصب فيهما والتثنية. والسلم، بفتح السين واللام، معناه الصلح، والسلم، بكسر السين مثله. قال الزجاج: من قرأ: «سلماً» و «سلماً» فهما مصدران وصف بهما، فالمعنى، ورجلاً ذا سلم لرجل وذا سلم لرجل فالمعنى: ذا سلم والسلم: الصلح، والسلم، بكسر السين مثله. وقال ابن قتيبة: من قرأ «سلماً لرجل» أراد: سلم إليه فهو سلم له. وقال أبو عبيدة: السلم والسلم الصلح².

2- فَعْلَةٌ وَفَاعِلَةٌ:

-صَعَقَةٌ وَصَاعِقَةٌ: في قوله تعالى: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)³

الصاعقة يعني العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل. وقرأ الكسائي وحده: «الصعقة» بسكون العين من غير الف وهي الصوت الذي يكون عن الصاعقة⁴. وقرأ الجمهور: الصاعقة وعمر

1_ حجة القراءات لابن زنجلة 621

2_ زاد المسير 17/4

3_ سورة الذاريات، الآية 44.

4_ زاد المسير 172/4

وعثمان رضي الله تعالى عنهما، والكسائي: الصعقة، وهي الصيحة هنا. وقرأ الحسن: الصاعقة وزيد بن علي كقراءة الكسائي¹.

فمن قرأ (الصعقة) أراد مصدر صَعَق يصَعَق صَعَقاً، وصعقة واحدة، فالصعقة هي المرة الواحدة أو المصدر².

3-فَعَلَ فاعِل

-طيف، وطائف: في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ

الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)³، قرأ النحويان وابن كثير: طيف فاحتمل أن يكون مصدراً من طاف يطيف طيفاً أنشد أبو عبيدة:

أنى ألم بك الخيال يطيف ... ومطابه لك ذكره وشغوف

واحتمل أن يكون مخففاً من طيف كميته وميت أو كلين من لين لأن طاف المشددة يحتمل أن يكون من طاف يطيف ويحتمل أن يكون من طاف يطوف، وقرأ باقي السبعة طائف اسم فاعل من طاف، وقرأ ابن جبير طيف بالتشديد وهو فيعل وإلى أن الطيف مصدر مال الفارسي جعل الطيف كالخطة والطائف كالخاطر، وقال الكسائي: الطيف اللم والطائف ما طاف حول الإنسان. قال ابن عطية: وكيف هذا؟ وقد قال الأعشى:

وتصبح عن غب السرى وكأنها ... ألم بها من طائف الجن أولق

1_ البحر المحيط/9/559

2_ الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص:331، وحجة القراءات ابن زنجلة، ص: 680. والبحر المحيط، 9/559.

3- سورة الأعراف، الآية 101

انتهى. ولا يتعجب من تفسير الكسائي الطائف بأنه ما طاف حول الإنسان بهذا البيت لأنه يصح فيه معنى ما قاله الكسائي لأنه إن كان تعجبه وإنكاره من حيث خصص الإنسان والذي قاله الأعشى تشبيهه لأنه قال كأنها وإن كان تعجبه من حيث فسر بأنه ما طاف حول الإنسان، فطائف الجن يصح أن يقال طاف حول الإنسان وشبهه هو الناقة في سرعتها ونشاطها وقطعها الفيافي عجلة بحالتها إذا ألم بها أولق من طائف الجن، وقال أبو زيد: طاف أقبل وأدبر يطوف طوفا وطوفا وأطاف استدار القوم وأتاهم من نواحيهم، وطاف الخيال ألم يطيف طيفا وزعم السهيلي أنه لم يقل اسم فاعل من طاف الخيال قال: لأنه تخيل لا حقيقة وأما فطاف عليها طائف من ربك فلا يقال فيه طيف لأنه اسم فاعل حقيقة انتهى، وقال حسان:

جنية أرقني طيفها ... تذهب صباحا وترى في المنام

وقال ابن عباس: هما بمعنى النزع، وقال السدي: الطيف الجنون، والطائف الغضب، وقال أبو عمرو: هما بمعنى الوسوسة، وقيل: هما بمعنى اللمم والخيال، وقيل: الطيف النخيل، والطائف الشيطان، وقال مجاهد: الطيف الغضب ويسمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لأنه لمة من الشيطان¹

والذي يبدو أن اعتبارها مصدرا، أبلغ من اعتبارها اسم فاعل، لأن تفسير خائنة بالمصدر هنا أعم وأشمل، لأن المعنى حينئذ يكون: لا تزال تطلع على خيانة، فيشمل كل فعلٍ خائن أو قول خائن أو قرية خائنة أو نفس خائنة، لهذا "احتملت الصيغة المصدرية مع العدول إلى اسم الفاعل²، وعلى هذا الاعتبار تجيء أغلب الأبنية التي تكون على "فاعل" أو "فاعلة" مفيدة للمصدر وهو أبلغ

1_ البحر المحيط 258/5

2_ الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 54.

من إفادتها اسم فاعل رغم وقوعه، لذلك لم يجزم أبو حيان برأي واحد ولكنه رأى إمكانية وقوع اسم الفاعل موقع المصدر¹.

4 _ فَعْلَةٌ وَفَعْلَةٌ

-عَوْرَةٌ وَعَوْرَةٌ: في قوله تعالى: (يَفْهَمُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ

يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)²، جاءت لفظة عورة على وزن فَعْلَةٌ، وهي صيغة سماعية، مثل الرَّحْمَةِ وَاللَّقِيَّةِ³، والقياس فَعْلٌ؛ لأنه من فعل الثلاثي المتعدي، وقرئت لفظة عورة، بسكون الواو، وهي قراءة الجمهور، وبكسرها، فعلى قراءة كسر الواو، تكون عَوْرَةٌ اسم فاعل، وعلى قراءة السكون تكون مصدراً أو بمنزلة المشتق، أي اسم فاعل، مثل رجل عَذْلٌ أي عادل⁴، وقد يكون لفظ عورة مصدراً معدولاً به عن اسم المفعول فهي عَوْرَةٌ أي مُعَوْرَةٌ⁵

قال أبو حيان: وقرأ ابن عباس، وابن يعمر، وقتادة، وأبو رجاء، وأبو حيوة، وابن أبي عتبة، وأبو طلوت، وابن مقسم، وإسماعيل بن سليمان عن ابن كثير: عورة وبعوزة، بكسر الواو فيهما والجمهور: بإسكانها. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون تخفيف عورة وبالكسر هو اسم فاعل. وقال ابن جني: صحة الواو في هذا إشارة لأنها متحركة قبلها فتحة. انتهى. فيعني أنها تتقلب ألفاً، فيقال: عارة، كما يقول: رجل مال، أي ممول. وإذا كان عورة اسم فاعل، فهو من عور الذي

1_ البحر المحيط، 493/8.

2_ الأحزاب، الآية 13

3- الكتاب، 8/4.

4- إعراب القرآن: النحاس، 209/3.

5- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 219/4.

صحت عينه، فاسم الفاعل كذلك تصح عينه، فلا تكون صحة العين على هذا شذوذاً. وقيل: السكون على أنه مصدر وصف به، والبيت العور: هو المنفرد المعرض لمن أراد سوءاً. وقال الزجاج: عور المكان يعور عورا وعورة فهو عور، وبيت عورة. وقال الفراء: أعور المنزل: بدا منه عورة، وأعور الفارس: كان فيه موضع خلل للضرب والطعن.

قال الشاعر:

متى تلقهم لم تلق في البيت معورا ولا الضيف مسحورا ولا الجار مرسلا

قال الكلابي: عورة: خالية من الرجال ضائعة. وقال قتادة: قاصية، يخشى عليها العدو. وقال السدي: قصيرة الحيطان، يخاف عليها السراق. وقال الليث: العورة: سوءة الإنسان، وكل أمر يستحيا منه فهو عورة، يقال: عورة في التذكير والتأنيث، والجمع كالمصدر.¹

نستخلص أن اللفظة عورة توجيهات عديدة بناء على القراءتين، بكسر الواو وبسكونها، فهي تفيد المصدر، وتفيد المصدر المعدول به عن اسم الفاعل لتحقيق المبالغة، وتفيد المصدر المعدول به عن اسم المفعول²

قد تذكر اللفظة الواحدة في الآية، لكن المراد منها يحتمل الدلالة على المصدر، ويحتمل الدلالة على المشتق، اسم الفاعل أو اسم المفعول، ويتضح ذلك باختلاف القراءات القرآنية، فتكون إحدى القراءات بالمصدر، والأخرى بالمشتق.

1- البحر المحيط، 461/8.

2- الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 42.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَلْمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ

جَهْرَةً ¹) فلفظ "جهرة" قرئ قراءتين بسكون الهاء، وبفتحةا، وقد خصص أبو حيان لكل قراءة ما يناسبها من توجيه:

-على قراءة جَهْرَة بسكون الهاء، يكون "جهرة" مصدرا مؤكدا مزيلا لاحتمال الرؤية أن تكون مناما أو بالقلب، والمعنى: حتى نرى الله بيانا. أو يكون "جَهْرَة" مصدرا منصوبا في موضع الحال على تقدير محذوف، أي "ذوي جهرة" أو على معنى "جاهرين" لا على المبالغة، لأن المبالغة لا تراد هنا.

فالقول الأول يجعل "جهرة" من صفات الرؤية، والقول الثاني يجعل "جهرة" من صفات الرائيين، وهناك قول ثالث يجعل "جهرة" من صفات معنى القول والتقدير: قلتم قولا جهرة أو جاهرين ².

-وعلى القراءة الثانية يكون "جَهْرَة" مصدرا كالغلبة فتشترك مع (جَهْرَة) المسكنة الهاء في المعنى، أو يكون جمعا لجاهر، كما تقول فاسق، وفَسَقَة، فيكون انتصابه على الحال أي جاهرين بالرؤية ³.

1- سورة البقرة، الآية 53.

2- البحر المحيط، 340/1. روح المعاني، 262/1. والتفسير الكبير، 519/3. والتبيان في إعراب القرآن، 64/1.

3- البحر المحيط، 340/1.

واضح أن القراءة بإسكان الهاء أشمل لاحتمال طلبهم رؤية الله ظاهرا غير مستور، أي رؤية الله رؤية حقيقية أو احتمال قلة حيائهم وعدم خوفهم، وأما القراءة بالفتح فلا تحتل إلا الوجه الأخير من القراءة الأولى.

وعليه فلفظ "الجهرة" قد احتل المراد به المصدر واسم الفاعل، بناء على اختلاف القراءتين.

بـ المصدر واسما المكان والزمان

1- مَفْعَلٌ وَمَفْعِلٌ

مَطَّلَعٌ وَمَطَّلَعٌ: في قوله تعالى (سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)¹ قرأ ابن كثير ونافع

وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمة بفتح اللام، وقرأ الكسائي بكسر اللام، وكذلك روى عبيد عن أبي عمرو بكسر اللام، قال أبو منصور: "من قرأ مَطَّلَعُ الفجر، فهو مصدر بمعنى الطلوع، يقال طلعت الشمس مَطَّلَعًا وطلوعًا، ومن قرأ مَطَّلَعُ بكسر اللام، فمعناه، وقت طلوع الشمس، والعرب تضع الاسم موضع المصدر²

1- سورة القدر، الآية 5.

2- معاني القراءات: الأزهرى، 155/3.

القياس في مصدر الفعل طلع، هو طلوع، لكنه جاء في الآية الكريمة على مَطَّلَع، وهي صيغة مصدرية سماعية، قرئت بفتح اللام وبكسرهما، فمن فتح فهو المصدر بمعنى الطلوع، تقول: طلع الفجر طلوعاً ومطلعاً، ومن قال مطلع بالكسر، فهو اسم لوقت الطلوع، وكذلك لمكان الطلوع الاسم مطلع بكسر اللام.¹ وذهب الفراء إلى أن المطلع، بالفتح هو الأقوى في قياس العربية، وهو الطلوع، والمطلع المشرق والموضع الذي تطلع منه، إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعاً، فيكسرون وهم يريدون المصدر، كما تقول: أكرمته كرامة، فيجتزأ بالاسم من المصدر.²

ويؤكد أبو حيان أن المطلع بالفتح هو القياس، والكسر يرجع إلى الشذوذ³، ويذكر في البحر المحيط، أن مطلع بالفتح وبالكسر، مصدران في لغة بني تميم، وأن مطلع بالفتح، المصدر، وبالكسر موضع الطلوع في لغة أهل الحجاز⁴

يجوز أن يكون مَطَّلَع ومَطَّلِع مصدرين، أو اسم زمان أو اسم مكان، والراجح أنهما اسما زمان لطلوع الشمس، لدلالة السياق على الزمان، ويكون المعنى: سلام هي حتى طلوع الشمس.

إن مرجعية وقوع لفظ مطلع بين المصدر والمشتق، هو اختلاف القراءات، وتعدد اللغات، فهي تدل مرة على حدث الطلوع، ومرة تدل على موضع الطلوع، أو على زمانه.⁵

2- مَفْعَل ومَفْعِل ومُفْعَل

1- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، 348/5.

2- معاني القرآن: الفراء، 170/3.

3- ارتشاف الضرب، 503/2.

4- البحر المحيط، 516/10.

5- الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم، ص: 47.

-مَهْلِكٌ وَمَهْلِكٌ وَمَهْلِكٌ: في قوله تعالى: (فَالْوَأْتِفَاسْمُوا بِاللّٰهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ،

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِيُولِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ)¹. وقرأ الجمهور: مهلك، بضم الميم وفتح اللام من أهلك. وقرأ حفص: مهلك، بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر: بفتحهما. فأما القراءة الأولى فتحتمل المصدر والزمان والمكان، أي ما شهدنا إهلاك أهله، أو زمان إهلاكهم، أو مكان إهلاكهم. ويلزم من هذين أنهم إذا لم يشهدوا الزمان ولا المكان أن لا يشهدوا الإهلاك.

وأما القراءة الثانية فالقياس يقتضي أن يكون للزمان والمكان، أي ما شهدنا زمان هلاكهم ولا مكانه. والثالثة: تقتضي القياس أن يكون مصدرا، أي ما شهدنا هلاكه. وقال الزمخشري: وقد ذكروا القراءات. الثالث، قال: ويحتمل المصدر والزمان والمكان. البحر 251/8

وما يمكن أن نلاحظه من القراءات المذكورة، أنها تنبئ عن وجود علاقة متلازمة بين المعاني المحتملة للفظ، وهي اسم الزمان والمكان والمصدر؛ لأن الآية المباركة تحدثت عن زمان الهلاك بصيغة اسم الزمان، للدلالة على زمان هلاكه، وفي الوقت نفسه، أن الصيغة قد حملت معها معنى الحدث، أي حدث الهلاك، وزمان الهلاك وحدثه، لابد لهما من مكان، ليقع فيه الهلاك، فذكر الزمان علم الحدث والمكان، للعلاقة المتلازمة بينهما²

1- سورة النمل، الآية 49.

2- الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 115.

المبحث الثالث: بين المصدر والجمع

1-فَعْل وفُعْل

رَمَزَا ورُمَزَا: قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا

رَمَزَاً وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾¹ قال أبو حيان: "وَقَرَأَ

عَلَقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ، وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: رُمَزَا، بِضَمِّ الرَّاءِ وَالْمِيمِ، وَخُرِجَ عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ رُمُوزٍ، كَرُسُلٍ وَرُسُولٍ، وَعَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ كَرَمَزٍ جَاءَ عَلَى فَعْلٍ، وَأَتَّبَعَتِ الْعَيْنُ الْفَاءَ كَالْيُسْرِ وَالْيُسْرِ وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ:

رَمَزَا، بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْمِيمِ، وَخُرِجَ عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ رَامِزٍ، كَخَادِمٍ وَخَدَمٍ²، وَذَهَبَ النَّحَاسُ إِلَى أَنَّ رَمَزَا بِالضَّمِّ وَبِالْفَتْحِ اسْمَانِ، وَرَمَزَا بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَتَسْكِينِ الْمِيمِ مَصْدَرٌ³. وَيُوجِهُ الْعَكْبَرِيُّ قِرَاءَةَ فَتْحِ الرَّاءِ

1- سورة آل عمران، الآية 41.

2- البحر المحيط، 140/3.

3- إعراب القرآن: النحاس، ص: 147.

وتسكين الميم على أنه مصدر رمز، أما قراءة الضم فتعني جمع رُمَزَةٍ بضميتين، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسَكَّنَ الْمِيمِ فِي الْأَصْلِ، وَإِنَّمَا أَتَّبَعَ الضَّمُّ الضَّمَّ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا غَيْرَ جَمْعٍ وَضَمَّ إِنِّبَاعًا كَالْيُسْرِ وَالْيُسْرِ.¹

لفظ "رَمَزًا"، مصدر قياسي على وزن "فَعَلَ"، بفتح الفاء وسكون العين، لكنه جاء في الآية الكريمة على ثلاث قراءات كما هو ملاحظ من كلام أبي حيان، والعكبري، والنحاس.

القراءة الأولى: رَمَزًا بفتح الراء وسكون الميم، وتكون مصدرا.

القراءة الثانية: بضم الراء والميم، وتكون جمعا أو حملا على المصدر، بإتباع ضمة العين ضمة الراء.

القراءة الثالثة: بفتح الراء والميم، وتكون جمعا لرامز، كخادم وخدم.

الملاحظ أن تعدد القراءات أدى إلى الاختلاف في توجيه الصيغة، بين المصدر والجمع، لكن الصيغة المصدرية، تؤكد شيئا عاما، وهو الرمز، لعلة الشمولية في الصيغة المصدرية، لأن بها إشارة إلى جنس الرمز، والتركيز على حدثه فحسب، وأما صيغة الجمع، فتعني التركيز على كيفية الأداء وفعله.²

2- فَعَلَ وَفُعِلَ

-الكَذِبَ والكُذِبَ: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ

الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَبْتَزُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ

1- التبيان في إعراب القرآن، ص: 258.

2- الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 51.

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ¹، كَذِبَ عَلَى وزن فعل بكسر العين، وهو صيغة مصدرية قياسية من الفعل الثلاثي فَعَلَ، قال سيبويه: "وقد جاء المصدر أيضا على فَعَلَ وذلك: خَنَقَهُ يَخْنُقُهُ خَنْقًا وكَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا². ويقرأ لفظ الكذب، بفتح الكاف والباء، وكسر الـذال، وهي قراءة الجمهور، ويقرأ بضم الكاف والـذال وفتح الباء، وهو جمع كِذَابٍ بالتخفيف، مثل كتاب وكتب، وهو مصدر، ويقرأ كذلك، إلا أنه بضم الباء على النعت للألسنة، وهو جمع كاذب، أو كذوب، ويقرأ بفتح الكاف وكسر الـذال والباء³.

إن قراءة الكذب بفتح الكاف وكسر الـذال، وفتح الياء، أفادت المصدر، والمعنى، ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب هذا حلال، على فتح الباء، وأما على كسر الباء، فتعني الذي تصفه ألسنتكم الكذب، أو ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم، وأما قراءة الكُذْبُ فأفادت الجمع، المفيد للوصف⁴. إذن اللفظة القرآنية (كذب)، احتملت ثلاثة احتمالات: أولها؛ المصدرية، وأشارت إليه قراءة كسر الـذال، والثاني الجمع في قراءة ضم الـذال، والثالث الوصف؛ أي وصف الألسنة في القراءة الشاذة بضم الكاف والـذال والباء. وقيل: إن قراءة المصدر عدول عن اسم الفاعل لتحقيق معنى المبالغة في الوصف، والتركيز على الحدث، لهذا فالكلمة رغم اشتراكها في أصل واحد، تبقى مركزة تارة على الحدث والمبالغة فيه، وتارة على الجمع، وطورا على الوصف، وكل هذا سببه اختلاف القراءات القرآنية⁵.

1- النحل، الآية 116.

2- الكتاب، 6/4.

3- ينظر التبيان في إعراب القرآن، 809/2. والبحر المحيط، 606/6.

4- معاني القرآن: الأخفش، 419/2. والبحر المحيط، 606/6.

5- الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 52

المبحث الرابع: بين المشتقات

اسم الفاعل واسم المفعول:

1- مُفْعِلٌ وَمُفْعَلٌ

-مُخْلِصٌ وَمُخْلَصٌ: في قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْبَحْشَاءَ

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)¹. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام

في جميع القرآن أي أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء وحجتهم قوله وأخلصوا دينهم وقوله مخلصا له ديني فإذا أخلصوا فهم مخلصون تقول رجل مخلص مؤمن فترى الفعل في اللفظ له وقرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام أي الله أخلصهم من الأسواء والفواحش فصاروا مخلصين وحجتهم قوله تعالى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فصاروا مخلصين بإخلاص الله إياهم² فمُخْلِصٌ: اسم فاعل من أخلص المزيد بالهمزة، والمراد "أنهم أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء وأنفسهم لعبادة الله"³ وَمُخْلَصٌ: اسم مفعول من أُخْلِصَ المبني للمجهول، والمزيد بالهمزة، والمراد "أن

1- سورة يوسف، الآية 24.

2 معاني القراءات للأزهري، 46/2

3- حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 384، 445.

الله أخلصهم من الأسواء والفواحش، فهم مخلصون بإخلاص الله إياهم¹. وفي صرف السوء والفحشاء عنه، وكونه من المخلصين، دليل على عصمته²،

-مردف ومردف: في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ﴾³. فمردفين: جمع اسم الفاعل، مفردة مردف بالمهمزة. واختلف في تأويل الآية،

فقال: ألف من الملائكة مردفين لكم، يأتون لنصركم بعدكم⁴ فتكون الملائكة مردفين المؤمنين⁵، وتكون الملائكة جاءت بعد المؤمنين⁶، فالمردفون: المؤمنون، والمردفون: الملائكة. وقيل: مردفين غيرهم خلفهم لنصركم، أو مردفين مثلهم⁷ فيكون المردف والمردف من جنس واحد وهم الملائكة، أي أن الملائكة أردفت خلفها ملائكة أخرى، وربما كان المردفون هم الملائكة، والمردفون المؤمنين.

-مُنْشَى وَمُنْشَأً: في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَأَتُ فِي الْبَحْرِ

كَالْأَعْلَمِ﴾⁸. قرأ حمزة وأبو بكر / وله الجوار المنشئات / بكسر الشين أي المبتدئات في

السير قال الفراء المنشئات اللاتي أقبلن وأدبرن وقال بعض أهل النحو المعنى المنشئات السير

1- الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص: 194، حجة القراءات: ابن زنجلة، 440/359

2- البحر المحيط، 259/6.

3- سورة الأنفال، الآية 9.

4- البحر المحيط، 279/5.

5- م. نفسه، 279/5.

6- زاد الميسر، 191/2 والبحر المحيط، 279/5.

7- إعراب القرآن: النحاس، 174/2.

8- سورة الرحمان، الآية 22.

فحذف المفعول للعمل به ونسب الفعل إليها على الاتساع كما يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة بهبوب الريح ودفع الرجال.

وقرأ الباقون {المنشآت} بفتح الشين قال أبو عبيدة المنشآت المجريات المرفوعات الشرع وهي مفعولة لأنها أنشئت وأجريت ولم تفعل ذلك أنفسها أي فعل بها الإنشاء فهذا بين لا إشكال فيه.¹

فالمنشآت: جمع مؤنث سالم لمنشئة، مؤنث اسم الفاعل من أنشأ المزيد بالهمزة، وهي الرافعات الشراع، أو اللاتي يُنشئن الأمواج بجريهن، أو التي تنشئ السفر إقبالا وإدبارا²، والمنشآت السير أي: المبتدئات في السير³ والمنشآت: جمع مؤنث سالم لمنشأة مؤنث اسم المفعول، من أنشئ المزيد بالهمزة، المبني للمجهول، بمعنى أجريت فهي مجراة أي فعل بها الإنشاء، والذي أنشأها هو الله أو الناس⁴.

4- مستفعل ومستفعل:

-مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَقَرٌّ: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ

فَمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁵، قرئت لفظة مستقر

1-حجة القراءات 691

2- م، نفسه، 61/10.

3- حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 392.

4- أنظر حجة القراءات: ابن زنجلة، ص: 292.

5- سورة الأنعام، الآية 98.

بقراءتين، فتح القاف، وهي قراءة الجمهور، وكسر القاف¹ فعلى قراءة الفتح يكون مستقر مكانا أي موضع استقرار، وموضع استيداع، أو مصدرا أي فاستقرار واستيداع²، وذكر العكبري أن اللفظ بالفتح يحتمل اسم المفعول الذي يراد به المكان، أي فلكم مكان تستقرون فيه إما في البطون وإما في القبور³، لكن أبا حيان ينفي أن يكون مستقر اسم مفعول، لأنه لا يتعدى مفعوله فيبنى منه اسم مفعول⁴. وعلى قراءة الكسر يكون مستقر اسم فاعل، وهو الولد القار في الرحم، والتقدير فمنكم مستقر أو مكان يستقر لكم⁵.

الملاحظ أن الاختلاف في توجيه لفظ مستقر، نابع من تعدد قراءاتها، بالفتح والكسر، وأن القراءتين للفظه مستقر، سوغتا احتمالاتها الصرفية داخل بنيتها⁶، لذلك وجهت على أنها مصدر ميمي، أو اسم مكان، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو مصدر، مما أتيح معه تغاير المعاني، فبالفتح يكون المعنى مستقر في الرحم ومستودع في أصلاب الرجال، أو فلهم مستقر، ولكم في الأصلاب مستودع، أما بالكسر فالمعنى فمنكم مستقر في الأحياء، أي مستقر في الدنيا موجود، ومستودع في الأصلاب لم يخلق بعد.

-مستفزة ومستفزة: في قوله تعالى: كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنَفِرَةٌ ﴿٤٩﴾⁷ قرأ الجمهور:

حمر بضم الميم والأعمش: بإسكانها. قال ابن عباس: المراد الحمر الوحشية، شبههم تعالى بالحمر

1- ينظر الحجة للقراء السبعة: أبو على الفارسي، 364/3. ومعاني القراءات: الأزهرى، 1/373. والحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ص: 146.

2- ينظر معاني القراءات: الأزهرى، 1/373. والبحر المحيط، 4/595.

3- التبيان في إعراب القرآن، 1/523.

4- البحر المحيط، 4/595.

5- ينظر معاني القراءات، 1/373. البحر المحيط، 4/595. والتبيان في إعراب القرآن، 1/523.

6- الاحتمال الصرفي، في القرآن الكريم، ص: 39.

7- سورة المدثر، الآية 49.

مذمة وتهجيناً لهم. وقرأ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم: مستنفرة بفتح الفاء، والمعنى: استنفرها: فزعها من القسورة وباقي السبعة: بكسرهما، أي نافرة نفر، واستنفر بمعنى عجب واستعجب وسر واستسخر، ومنه قول الشاعر:

أمسك حمارك إنه مستنفر ... في إثر أحمره عهدن لعرب

ويناسب الكسر قوله: فرت. وقال محمد بن سلام: سألت أبا سرار العتوي، وكان أعرابياً فصيحاً، فقلت: كأنهم حمر ماذا مستنفرة طردها قسورة؟ فقلت: إنما هو فرت من قسورة، قال: أفرت؟ قلت: نعم، قال: فمستنفرة إذن.¹

المبحث الخامس: بين المفرد والجمع

2- فَعِيلَة وَفَعِيلَات:

- خطيئة وخطيئات: في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ

خِيَّاتُهُ، فَإِنَّكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹. "قرا الجمهور بالإفراد، ونافع

خطيئاته جمع سلامة وبعض القراء خطاياهم جمع تكسير. فمن أفرد الخطيئة أراد بها اسم الجنس ومقابلة السيئة؛ لأن السيئة مفردة، أي أنه عطف لفظ الخطيئة على لفظ السيئة قبلها؛ لأن الخطيئة سيئة والسيئة خطيئة، أو أن الخطيئة هاهنا يعني بها الشرك، ومن جمعها فلأن الكبائر كثيرة، فراعى المعنى وطابق به باللفظ، أي أن لفظ الخطيئة والسيئة، وإن انفردتا لفظاً فمعناهما الجمع، لأن الإحاطة لا تكون لشيء مفرد، وإنما تكون لجمع، ويمكن أن يكون أراد بالجمع هاهنا وأحاطت به عقوبات خطيئته، والخطيئة تنوب عن الخطيئات، وقد تجمع الخطيئة على خطايا وخطيئات"².

1- سورة البقرة، الآية 80.

2- أنظر البحر المحيط، 450/1. والحجة: أبو علي الفارسي، ص 83. ومعاني القراءات، 159/1.

4- فَعْلٌ وفُعْلٌ:

-سَقَفٌ، وسُقِفَ: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا

لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُفُفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾¹.

إن الاحتمالات في لفظة سقف، لم تغير في المعنى شيئاً، لأن أصولهما اللغوية تشير إلى معنى واحد، وجميعها يدل على التكثير في العدد والمبالغة فيه، لیتلاءم مع أعداد الكفار، فهم كثر، فضلاً عن تحقيق الموازنة مع لفظة معارج، الدالة على الجمع²

5- فَعِلٌ وفِعَالٌ:

-قِيَمٌ، وقِيَامٌ: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّبَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ

لَكُمْ فِيهَا﴾³ وقرأ نافع وابن عامر: قيما، وجمهور السبعة: قياما، وعبد الله بن عمر: قواما

بكسر القاف، والحسن وعيسى بن عمر: قواما بفتحها. ورويت عن أبي عمرو. وقرئ شاذاً: قوما. فأما قيما فمقدر كالقيام، والقيام قاله: الكسائي والفراء والأخفش، وليس مقصوراً من قيام. وقيل: هو

1- سورة الزخرف الآية 32.

2- الاحتمال الصرفي في القرآن، ص: 153.

3- سورة النساء، الآية 5.

مقصور منه. قالوا: وحذفت الألف كما حذفت في خيم وأصله خيام، أو جمع قيمة كديم جمع ديمة قاله: البصريون غير الأخفش. ورده أبو علي: بأنه وصف به في قوله: دينا قيما «1» والقيم لا يوصف به، وإنما هو مصدر بمعنى القيام الذي يراد به الثبات والدوام. ورد هذا بأنه لو كان مصدرا لما أعل كما لم يعلوا حولاً ووعوضاً، لأنه على غير مثال الفعل، لا سيما الثلاثية المجردة. وأجيب: بأنه اتبع فعله في الإعلال فأعل، لأنه مصدر بمعنى القيام، فكما أعل القيام أعل هو. وحكى الأخفش: قيما وقوما، قال:

والقياس تصحيح الواو، وإنما اعتلت على وجه الشذوذ كقولهم: تيرة، وقول بني ضبة: طيال في جميع طويل، وقول الجميع: جياذ في جمع جواد. وإذا أعلوا ديما لاعتلال ديمة، فإن إعلال المصدر لاعتلال فعله أولى. ألا ترى إلى صحة الجمع مع اعتلال مفردة في معيشة ومعائش، ومقامة ومقاوم، ولم يصححوا مصدرا أعلوا فعله. وقيل: يحتمل هنا أن يكون جمع قيمة، وإن كان لا يحتمله دينا قيما. وأما قيام فظاهر فيه المصدر، وأما قوام فقيل: مصدر قاوم. وقيل: هو اسم غير مصدر، وهو ما يقام به كقولك: هو ملاك الأمر لما يملك به. وأما قوام فخطأ عند أبي حاتم. وقال: القوام امتداد القامة، وجوزه الكسائي. وقال: هو في معنى القوام، يعني أنه مصدر. وقيل: اسم للمصدر. وقيل: القوام القامة، والمعنى: التي جعلها الله سبب بقاء قاماتكم¹

المبحث السادس: أفعال التفضيل

يطلق اسم التفضيل على الوصف المصوغ على "أفعل"، الدال على زيادته في محل بالنسبة إلى محل آخر¹؛ أي أن أفعال التفضيل يصاغ على "أفعل" من الثلاثي المجرد، شريطة قابليته للتفاوت والكثرة²؛ بمعنى أن يزيد المفضل على المفضل عليه فيه. وعلى الرغم من وضع علماء العربية شروطاً، قيدوا بها استعمالات أفعال التفضيل، فإن القرآن في كثير من الأحيان ينأى عن تلك الشروط، لذلك تباينت آراء الدارسين عامة، والمفسرين خاصة، حول أفعال التفضيل، لأن البعض منهم، كان دائماً مستحضراً للقاعدة التي تجيز مجيء صيغة التفضيل على غير أصلها في الاستعمال، فتفيد الاتصاف، أو تقع موقع اسم الفاعل، أو موقع الفعل الرباعي حين تشبه به. ونجد هذا في سياقات كثيرة من استعمال اللفظ في القرآن، ومن ذلك:

أ_ في لفظ حبًّا:

في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)³. قال أبو حيان "وعدل في أفعال التفضيل (أحب)، إلى (أشد حباً) لما تقرر في علم العربية، أن أفعال التفضيل، وفعل التعجب من وادٍّ واحد، وأنت لو قلت: ما أحب زيداً، لم يكن ذلك تعجباً من فعل الفاعل، وإنما تعجب من فعل المفعول، ولا يجوز أن يتعجب من الفعل الواقع بالمفعول، فينتصب المفعول به كانتصاب الفاعل... فلما لم يجز ذلك، عدل إلى التعجب وأفعال التفضيل بما سوغ منه ذلك"⁴.

¹ - ارتشاف الضرب، 2319/5.

² - شرح المفصل، 120/4.

³ - سورة البقرة، الآية 165.

⁴ - البحر المحيط، 88/2.

قال الطاهر ابن عاشور: "فإن قيل: لم عدل عن أحب إلى (أشد حباً)؟ فالجواب عنه: هو أن أحب شاع في تفضيل المحبوب على محبوب آخر، تقول: هو أحب إلي... يعني أن فعل أحب هو الشائع، وفعل (حب) قليل، فلذلك خصوا في الاستعمال كلاً بمواقع نفيّاً للبس فقالوا: أحب وهو محب وأشد حباً، وقالوا: حبيب من حبّ وأحب ألي من حبّ أيضاً"¹.

فاسم التفضيل أشد جاء مجرداً من (أل) والإضافة ولفظ من، والمفضل عليه محذوف، وهم المتخذون الأنداد، ومتعلق الحب الثاني فيه خلاف، فقليل، المعنى: والذين آمنوا أشد حباً لله من المتخذين الأنداد لله، لأن حبهم لله بواسطة، ولأنهم يعدلون عنه في الرخاء، ويقبلون إليه في الضراء، وقيل المعنى: والذين آمنوا أشد حباً لله من المتخذين الأنداد لأصنامهم².

والفرق في المعنى بين المتعلقين كبير: فعلى الأول يكون التفضيل واقعا بين محبة المؤمنين لله سبحانه، وبين محبة المشركين له سبحانه، ومن ثمة تفضيل محبة المؤمنين لله سبحانه على محبة المشركين له، أي: أننا نجد علاقة بين المحبتين مشتركة.

أما المعنى على المتعلق الثاني فمختلف تماماً، إذ لا شركة بين المحبتين، فالمؤمنون لا يحبون الأنداد وإنما هو من قبيل: العسل أحلى من الخل، والتقدير: محبة المؤمنين لله زائدة على محبة المشركين للأصنام، وانتصب (حباً) على التمييز ومقتضى التمييز بالأشدية أفراد المؤمنين له بالمحبة، وهو من التمييز المنقول من المبتدأ تقديره: حبهم لله أشد³.

¹ - التحرير والتنوير، 93/2.

² - ينظر: البحر المحيط، 87/2.

⁴ - ينظر: البحر المحيط، 87/2.

ب - في لفظي "خير" و"شر":

يرى معظم علماء العربية، أن الأصل في هذين اللفظين "أخير" و"أشر" على وزن أفعل، لكنه أصل مرفوض إذ حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال وجاء في القرآن على "خير" بدلا من "أخير" و"شر" بدلا من "أشر". ففي قوله تعالى: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ)¹، معناه والمجازين أهل الخير بالفضل، وأهل الجور بالعدل، لأنه فاعل حق في ذلك، والماكر من الشر فاعل باطل في الأغلب، وقال تعالى: (وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكِيلًا)². وقيل: "خير" هنا ليست للفضيل بل هي كهي في قوله، (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَفَرًّا)³.

فالله سبحانه أشد بطشا، وأنفذ إرادة، فهو خير من جهات لا تحصى، لا إله إلا هو⁵، فالفضل هنا واقع من جهة القدرة والتدبير، لأن مكر الكفار لهم قدرة وتدبير، والفضل ينسب على أن كل مكر يبطل في مقابلة فعل الله تعالى، فمكر الله خير من مكرهم؛ لأنه أحكم في التدبير، وأقوى وأنفذ وأبلغ تأثيرا، فهو أقدر على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب⁶. ومثل هذا قوله تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ)⁷.

¹ - سورة آل عمران، الآية 54.

² - سورة النساء، الآية 84.

³ - سورة الفرقان، الآية 24.

⁴ - البحر المحيط، 3/175.

⁵ - المحرر الوجيز، 1/443.

⁶ - الكشف، 1/365.

⁷ - سورة الأنفال، الآية 30.

وفي قوله تعالى: (اَوَلَيْكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَسَ سَوَاءٍ السَّبِيلِ)¹. يكون المعنى،

أولئك الملعونون الممسوخون، شر مكانا من المؤمنين²، إذ الآية تخاطب الحاضرين من بني إسرائيل، وكلمتا "شر" و"أضل" اسما تفضيل، ويحتمل أن يكون التفضيل بين بني إسرائيل الحاضرين وأسلافهم، فيكون التفضيل بين شيئين، لهما اشتراك في الشر والضلال، ويحتمل أن يكون بين بني إسرائيل والمؤمنين، والخلف يذم ويُعَيَّر بمذمات السلف.

ويوجه التفضيل "أضل" على أن الاشتراك في الشر والضلال، هو في معتقد اليهود، فأما الحقيقة فلا شر ولا ضلال عند المؤمنين³. وينقل أبو حيان عن الزجاج أنه قال: شر مكان على قولكم وزعمكم، وعن النحاس: أحسن ما قيل شر مكانا في الآخرة من مكانكم في الدنيا، لما يكفكم من الشر⁴. ويوجه أبو حيان التفضيل على اعتقاد اليهود، بأن من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، قد ضل وخسر، فأجابتهم الآية، بأن الذين غضب الله عليهم ولعنهم، وجعل منهم القردة والخنازير، وعبد الطاغوت، لهم عذاب أشد مما تظنون أنه واقع بالمؤمنين؛ أي وهم شر مكانا على قولكم وزعمكم⁵.

ب- في لفظ أهون:

ذهب أبو حيان إلى أن معنى "أهون" في قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ،

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)⁶، أن العود أهون عليه، وليست أهون -عنده- أفعل تفضيل؛ لأنه تفاوت عند

¹ - سورة المائدة، الآية 60.

² - مفاتيح الغيب، 391/12.

³ - المحرر الوجيز، 519/2.

⁴ - البحر المحيط، 309/4.

⁵ - البحر المحيط، 309/4.

⁶ - سورة الروم، الآية 27.

الله في النشأتين: الإبداء والإعادة، لذلك تأوله ابن عباس والربيع بن خيثم، على أنه بمعنى هين، وقيل: أهون للتفضيل بحسب معتقد الشر، بأن الإعادة أهون من البداءة؛ لذلك قيل: إن الضمير يعود على الخلق، وقيل: هو أهون على المخلوق، فكيف ينكر على الخالق¹. وفي معنى "هين" قراءة أبي بن كعب، وأبي عمران الجوني، وجعفر بن محمد: "وهو هين عليه"².

يبدو أن أبا حيان، نقل مذهبين في معنى أهون، وهما دلالتها على اسم الفاعل "هين"، وعلى اسم التفضيل "أهون"، لكنه يظهر ميالا للرأي الأول.

لكن الزجاج نقل عن أبي عبيدة، أن كثيرا من أهل العربية، يرون أن معناه، وهو "هين عليه"، وأن أهون، ليس بمعنى أن الإعادة أهون عليه من الابتداء؛ لأن الإعادة والابتداء كل سهل عليه³. واعتبر النحاس أن "هين" هو أجود المعاني⁴.

فأهون هنا وضعت موضع اسم الفاعل، لكنها قد تدل على أفعل التفضيل، لكن البعض أجاد توجيهها باسم الفاعل، هروبا من الوقوع في المحذور؛ لأن التفاضل يقتضي وجود مفضل ومفضل عليه، والله سبحانه وتعالى، ليس عليه شيء أهون من شيء.

¹ - البحر المحيط، 386/8.

² - زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، 421/3.

³ - معاني القرآن: الزجاج، 183/4.

⁴ - معاني القرآن: النحاس، 227/4.

ج- في لفظ أحصى.

في قوله تعالى: (لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)¹. قرر أبو حيان أنه يجوز صياغة التفضيل من "أفعل" إذا لم تكن الهمزة للنقل -أي للتعدية- كما في أحصى²، وبهذا يوافق مذهب سيبويه في جواز صياغة أفعل التفضيل من الرباعي المزيد بالهمزة، ويؤيده كثرة السماع، كقولهم هو أعطاهم للإيثار، وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان، لذلك وافق مذهب الفراء³ في أن "أحصى" أفعل التفضيل؛ لأن الهمزة فيه ليست للنقل، وعلى هذا الطبري⁴، والزجاج⁵ والنحاس⁶ والأخفش⁷، ويرى أبو علي الفارسي فيما نقله عنه الرازي أن أحصى فعل ماض، وهو خبر المبتدأ، والمبتدأ والخبر مفعول: نعلم، وأما مفعول به لأحصى، وحاصل الكلام، لنعلم أي الحزبين أحصى أمد ذلك اللبث، ونظيره قوله تعالى: (أَحْصِيَهُ اللَّهُ)⁸

وقوله (وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)⁹، ويوافق ابن عطية، ويؤكد أن الظاهر الجيد في

قوله أحصى أنه فعل ماض¹⁰.

¹ - سورة الكهف، الآية 12.

² - ارتشاف الضرب، 2319/5.

³ - ذهب الفراء إلى عد "أحصى" أفعل التفضيل، حين فسر "بأهون" أي أيهم بالصواب. معاني القرآن: الفراء، 136/2.

⁴ - جامع البيان، 613/17.

⁵ - معاني القرآن: الزجاج، 271/3.

⁶ - معاني القرآن: النحاس، 201/4.

⁷ - معاني القرآن: الأخفش، 70/1.

⁸ - سورة المجادلة، الآية 6.

⁹ - سورة الجن، الآية 28.

¹⁰ - المحرر الوجيز، 500/3.

فأبو حيان يلجأ في توجيه صيغة "أحصى" من قوله تعالى: "(لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)"، إلى اعتماد قاعدة السماع، عكس أبي علي الفارسي الذي يرى أن "أحصى" فعلا ماضيا، معتمدا على قاعدة النظير القرآني، وهو كما سبق، قوله تعالى (أَخْصِيهِ اللَّهُ)، وقوله (وَأَخْصِي كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)، مما يساهم في إثراء المعنى التفسيري للآية الكريمة.

د - في لفظ أضل.

في قوله تعالى: (قَالَ فَإِنَّا فَدَقْتَنَّا فُومَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)¹، إذ قرأ الجمهور: وأضلهم فعلا ماضيا، وقرأ أبو معاذ وفرقة: وأضلُّهم برفع اللام، مبتدأ والسامري خبره، وكان أشدهم ضلالا، لأنه ضالٌّ في نفسه، مضلٌّ غيره، وفي القراءة الشهري أسند الضلال إلى السامري، لأنه كان السبب في الضلال².

فالقراءة بفتح اللام، تجعل "أضلَّ" فعلا رباعيا، ومعناها أن السامري كان سببا في ضلال القوم، بما من صنع العجل وقوله هذا إله موسى، وأما القراءة بضم اللام فتعني أن السامري، كان أشدهم ضلالا، وهي قراءة "أشد في تذييب السامري"³

¹ - سورة طه، الآية 83.

² - البحر المحيط، 367/7.

³ - المحرر الوجيز، 57/4.

هـ - في لفظ أعلم.

في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

إِهْتَدَى)¹ العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: علمت على الشيء علامة. ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب². وأعلم لفظ مشتق من عِلِمَ يَعْلَم.

قال أبو حيان: وأعلم على بابها من التفضيل³، وأجاز النحاس ذلك، بقوله: ويجوز أن يكون على بابها⁴ والمعنى: هو أعلم منك ومن جميع الخلق⁵، وتحتمل أن تكون أعلم بمعنى عالم⁶، والمعنى أنه عالم بالفريقين فيجازيهم⁷. ولقد نقل أبو حيان عن مكي أنها بمعنى عالم بكم، وبين أن مكي راعى عمل أعلم في الظرف، الذي هو: إذ أنشأكم من الأرض، ولكنه أشار إلى أنه "لا ضرورة تدعو إلى إخراج لفظة أعلم عن أصل موضوعها"⁸.

¹ - سورة النجم، الآية 30.

² - مقاييس اللغة مادة علم.

³ - البحر المحيط، 21/10.

⁴ - إعراب القرآن للنحاس، 185/4.

⁵ - جامع البيان، 9/ 510.

⁶ - إعراب القرآن، النحاس، 185/4.

⁷ - زاد المسير، 189/4.

⁸ - البحر المحيط، 21/10.

وذكر الطبري أن معناها، إن ربك يا محمد، هو أعلم بمن جار عن طريقه، في سابق علمه، فلا يؤمن، وذلك الطريق هو الإسلام (وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) يقول: وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سياق علمه، وذلك الطريق أيضا الإسلام¹.

الملاحظ أن لفظة أعلم جاءت مفيدة اسم تفضيل، وهو ما رجحه أبو حيان، ومفيدة العدول بمعنى فاعل، وإليه ذهب مكي، والنحاس.

وفي احتمال العدول أعلم بمعنى عالم ارتباطا بصفات عين الذات، وهي الحي والقادر والعالم، وما عداها خارجة عن الذات ؛ لأنها مرتبطة بالمخلوقين، ويحتاج تصورها إلى وجودهم، أما صفات عين الذات، فيمكن تصورها فيه سبحانه، مع قطع النظر عن أي مخلوق، ومنهم من نعتها بعدم تصور الضدية والعدمية فيها ، فقد وصفوا الحي بعدم الموت، والقادر بعدم العجز، والعالم بعدم الجهل، أما الصفات الفعلية لله عز وجل فإنها تقبل الجمع والعدد ، لذلك ورد أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وخير الرازقين في القرآن الكريم².

و- في لفظ أعمى.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ

سَبِيلًا﴾³. إذ "العين والميم والحرف المعتل، أصل يدل على ستر وتغطي ومن ذلك العمى، ذهاب

¹ - جامع البيان، 530/22.

² - الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم، ص، 108.

³ - سورة الإسراء الآية 72

البصر من العينين كلتيهما"¹ ، والفعل منه : "عمي يعمى عمى"² والعمى أيضاً : "ذهاب نظر القلب"³.

ولقد قع الاختلاف في لفظ أعمى الثاني، من الآية الكريمة، هل هو اسم التفضيل؟ أو وصف على وزن أفعل؟ وأجاب المبرد عن هذا الاختلاف في جوابين، أحدهما أن يكون من عمى القلب، وإليه ينسب أكثر الضلال، لأنه حقيقته، كما قال: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)، فعلى هذا تقول ما أعماه كما تقول ما أحمقه. والوجه الآخر أن يكون من عمى العين، فيكون {فهو في الآخرة أعمى} لا تريد به أعمى من كذا، ولكنه في الآخرة أعمى، كما كان في الدنيا، وهو في الآخرة أضل سبيلاً⁴.

وقال الفراء والعرب إذا قالوا: هو أفعل منك، قالوه في كل فاعل وفعل، وما لا يزداد في فعله شيء على ثلاثة أحرف. فإذا كان على فعلت مثل زخرفت، أو أفعلت مثل احمررت واصفررت، لم يقولوا: هو أفعل منك، إلا أن يقولوا: هو أشد حمرة منك، وأشد زخرفة منك. وإنما جاز في العمى لأنه لم يرد به عمى العين، إنما أراد به- والله أعلم- عمى القلب.

فيقال: فلان أعمى من فلان في القلب ولا تقل: هو أعمى منه في العين. فذلك أنه لما جاء على مذهب أحمر وحمراء ترك فيه أفعل منك كما ترك في كثيره⁵.

يشير الفراء في هذا النص إلى ثلاثة شروط لازمة لصياغة أفعل التفضيل، أولها أن الفعل ثلاثياً، وثانيها أن يكون الفعل قابلاً للمفاضلة، وثالثها ألا يكون فيما هو على أفعل فعلاء. ويجيز

¹-مقاييس اللغة، مادة "عمي".

²-العين، مادة "عمي".

³-لسان العرب، مادة "عمي".

⁴-المقتضب، المبرد، 4/182.

⁵-معاني القرآن، الفراء، 2/128.

الفراء أن يصاغ أفعال التفضيل من أفعال كلفظ "أعمى"، لأن المراد منه عمى القلب، وليس عمى العين، ولأنه لا يجوز صياغة أفعال التفضيل، مما لا يقع فيه التفاوت كالألوان والعيوب.

وأشار سيبويه في كتابه إلى ما ذكره الفراء، مبينا أنه "لا يجوز التعجب، ولا التفضيل في أفعال الذي يكون لونا أو خلقة، لأنك لا تقول: ما أحمره، وإنما تقول: ما أشد حمرة¹، وذهب معظم المفسرين، ومنهم الطبري، والنحاس، والزجاج، والزمخشري، وابن عطية، مذهب الفراء وجوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل².

والذي يؤكد كون أعمى الثاني في الآية أفعال تفضيل، هو: قراءة أبي عمرو بن العلاء إذ قرأ أعمى الأول ممالاً، وترك الإمامة في الثاني، ولولا أنه رآه اسم تفضيل لأمال فيه، لكن الاسم أبعد من الإمامة³. يضاف إلى هذا، أن ما عطف على لفظ أعمى الثانية، هو للتفضيل أيضاً، وهو قوله تعالى: وأضل سبيلاً⁴، وهما حجتان قد اعتمدهما أبو حيان في البحر المحيط، لترجيح كون أعمى الثانية أفعال تفضيل⁵.

بناء على ما سبق، يكون معنى الآية، "ومن كان في هذه الدنيا، أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلاً⁶. وقال ابن عطية: "من كان في دنياه هذه، ووقت إدراكه وفهمه

¹- الكتاب، سيبويه، 97/4.

²- جامع البيان، الطبري، 505/17. إعراب القرآن، النحاس، 279/2. معاني القرآن الزجاج، 253/3. الكشف، الزمخشري، 683/2. البحر المحيط، 89/7.

³- إعراب القرآن، النحاس، 254/2 والمفردات، الراغب الاصفهاني، ص، 361. والبحر المحيط، 88/7. وحجة القراءات، ابن زنجلة، ص، 407. والحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، 112/5.

⁴- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، 445/1. والبحر المحيط، 89/7.

⁵- البحر المحيط 89/7.

⁶- جامع البيان، الطبري، 505/17.

أعمى، عن النظر في آيات الله - تعالى - فهو في الآخرة أشد حيرة وأعمى؛ لأنه باشر الخيبة ورأى مخايل العذاب"¹ ونقل أبو حيان عن ابن عباس وغيره، أن الإشارة بقوله: في هذه إلى الدنيا وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد أي: من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعبره والإيمان بأنبيائه، فهو في الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن الآخرة، وإما أن يكون فهو يوم القيامة أعمى معنى أنه خبر إذ لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجاح².

فالعَدول واضح في لفظ أعمى، من خلال توسيع القرآن الكريم من دلالتها، والنأي بها عن المعنى السطحي إلى المعنى الباطني العميق، باستعارة العمى للقلب، كناية عن الضلال لقرينة المشابهة، وهي عدم الاهتداء³. قال الزمخشري: "والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فللفقد النظر. وأما في الآخرة، فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه"⁴.

وعليه، فإن اللفظة قد احتملت احتمالين، الاسمى في الثلاثي، والهمزة فيه زائدة، للدلالة على اسم التفضيل، والفعلية في الرباعي المجرد، والمعنى يكون أعمى عن آيات الله. والتعبيران كلاهما يتحدث عن أصل واحد وهو عدم الاهتداء بشكل عام. إلا أن الاحتمالين بمعنيين متغايرين لدلالة الاول على الاسمى وفيها معنى المفاضلة والزيادة بين الشيئين زيادة في عمى القلب ودلالة الثاني على الفعلية الماضية؛ لإفادة معنى الاستقبال؛ لأن المعنى يكون الذي أعمى عن ذكر آيات الله سيكون معمياً أيضاً في الآخرة⁵

¹ - المحرر الوجيز : 1157 .

² - البحر الحيط، 89/7.

³ - ينظر: المصباح المنير، الفيومي، مادة "عمي"

⁴ - الكشف، 683/2.

⁵ - الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم، ص، 106.

خاتمة

اشتغلت أبواب وفصول هذه الأطروحة، على دراسة أحكام الصرف وأصول التفسير في البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي، وفق بناء منهجي، تمثل في مقارنة العلم بالأحكام المتعلقة بالظواهر الصرفية؛ لأن ضبط الظواهر الصرفية في تفسير البحر المحيط متوقف على التدقيق في العلم بالأحكام، التي يتقرر من خلالها التعدي وال لزوم للأفعال، ويتقرر الإعلال والابدال والحذف، والزيادة، والتسهيل، للأسماء، كما أن لأصول التفسير تداخلا مع الظواهر الصرفية، خاصة إذا علمنا أن أكثر القواعد والظواهر المتعلقة بالحقل الصرفي تشكل أصولا تفسيرية لغوية، يصح إضافتها الى الأصول التي اصطلحنا عليها في مدخل البحث بالأصول الشرعية.

ويمكن أن نوجز أهم الخلاصات المتوصل إليها فيما يلي:

أن في البحر المحيط عدة معرفية ومنهجية تصلح لأن تكون بحوثا علمية، تجيب عن واقع البحر المحيط بين كتب التفاسير.

أن التصريف والصرف، يرتبطان ارتباطا وثيقا بالتغيير، والتحويل، سواء أكان هذا التغيير بإضافة حروف أم نقصانها. وأن التغيير والتحويل ضربان: ضرب لغرض معنوي، إذ يلتصق

بتغيير بنية الكلمة تغيير في المعنى الدلالي لها، ويندرج ضمنه المشتقات بأنواعها والنسب والتصغير والزيادة، ومعانيها، والجمع، والتثنية، وتغيير لغرض لفظي لا يلتصق بتغيير بنية الكلمة تغيير في المعنى، ويدخل فيه الإدغام والإمالة، وإلى هذين التغييرين أشار العلماء المتقدمون، منهم أبو الفتح ابن جني وابن عصفور الإشبيلي، وابن مالك في حده المرتبط بما هو عملي. وينضاف إليهم "أبو حيان".

أن حقيقة مصطلح التصريف، تدرك من زاويتين: الزاوية الأولى علمية، والثانية عملية، فمن العلماء من ركز على الزاوية العملية؛ لأن مدلول علم التصريف: الأحكام المتعلقة به إيجاباً وسلباً، كسيبويه، حين حصر تعريف التصريف في مسائل التمرين، وإلى هذا نزع ابن جني، وأما ابن الحاجب، فقد اكتفى بالمعنى العلمي، وجنح ابن عصفور إلى حد الصرف بمعناه العملي، لكن ابن مالك جمع بين المعنيين العلمي والعملي، وركز على ضرورة التفريق بينهما، وهو تركيز دقيق؛ لأن مفهوم التحويل مباين -عنده- لمفهوم العلم بكيفية التحويل، فالأول عمل ينشأ من ممارسة القواعد وتطبيقها، والثاني علم بالأصول والقواعد، فثمة فرق -حسب ابن مالك- بين الصرف وعمل المصرف.

أن البحث في مسائل أصول التفسير الشرعية، مما له علاقة بالقرآن والسنة والقراءات القرآنية، والسياق، ليكشف عن حقيقة العدة المنهجية، والمعرفية اللتين استعان بهما أبو حيان للأقدام على مقارنة مراد الله سبحانه وتعالى من الآيات القرآنية.

أن اعتماد القرآن، والسنة، والقراءات القرآنية، والسياق، أصولاً في التفسير، يفصح عن تنوع مرجعيات أبي حيان في التعامل مع توضيح وشرح وبيان المراد من القرآن، كما يفصح عن مدى غنى تفسير أبي حيان بالمعلومات الكفيلة لأن تصلح بحثاً في مجالات شتى معرفية لغوية وشرعية.

أن تعاريف الفعل، من سيبويه إلى أبي حيان، تربط بين الفعل في بنائه للماضي والمضارع، وبين القسمة الثلاثية للزمان، كما أن حد الفعل لدى المحدثين، لا يخرج عن أربعة عناصر أساسية، الزمن، والصيغة، والإسناد، والحدث. وأن نظرتهم للفعل، لا تختلف في شيء عن نظرة القدماء، فلا يخرج الفعل بمعناه عندهم، على تعريفه في ذاته، وتعريفه في علاقته التركيبية داخل الجملة.

أن مرجع الحذف، وضابطه، هو إما التقاء الساكنين، أو اجتماع الأمثال، وأن الهدف منه هو تيسير النطق، والتخفيف لكثرة الاستعمال. وأن ضابط جواز التقاء الساكنين، هو إمكانية النطق بهما.

أنه لا يستقيم جعل كل صيغة من صيغ الفعل، مقابل زمن محدد لها، فكل صيغة من صيغ الفعل، تستعمل في الدلالة على عدة أزمنة، فصيغة الماضي تستعمل في الغالب للدلالة على ما حدث قبل زمن التكلم، ولكنها قد تستعمل للدلالة على الاستمرار، والاستقبال، والإنشاء المجرد من الزمن، وصيغة المضارع في الأصل، تستعمل للحال والاستقبال، ولكنها قد تستعمل للدلالة على الماضي، وللدلالة على الحقيقة غير المقيدة بزمان.

أن العدول في المواطن التي تطرقنا إليها فيما له علاقة بالأفعال كان -في أغلب الأحوال- لغايات معنوية، وللاستفادة من المعاني الصرفية للصيغة المعدول إليها، كالتعبير عن تحقق وقوع الفعل المستفاد من صيغة الماضي، أو استحضار صورة الحدث، كأنه مشاهد، المستفادة من صيغة المضارع.

أنه إذا كانت صيغة الفعل الماضي، تدل في أصل وضعها على الحدث المنقضي أو على الانقطاع، كما عبر عنه أبو حيان في غير موضع من تفسيره البحر المحيط، فإن الأصل في دلالة صيغة المضارع هو الحال والاستقبال، وقد يستعمل استعمالاً أخرى يستجوبها السياق والقارئ

اللفظية والحالية، فيجيء المضارع في كثير من الآيات بعد الماضي لغايات عديدة، قد تفيد مضي الحدث وانقضاءه، وقد تفيد استمرارية الماضي ودوامه، وقد تفيد الدعاء أو تفيد الأمر أو الكف عن الفعل، وقد يفيد مشارفة الفعل، أي الاقتراب منه.

أن صيغة المضارع، لها إمكانات دلالية خاصة، فهي توضح الحال، وتستحضر صورة الحدث، حتى كأن الإنسان يشاهده أمامه، لكن هذا الأمر ليس على إطلاقه، لأنه قد يوجد أفعال مستقبلية معطوفة على أفعال ماضية.

أن ضابط فعل الأمر، هو دلالته على الطلب، وأن هذا الطلب واقع - لا محالة - في حيز المستقبل، فتكون دلالته الزمنية مقطوع بها، لكنه قد يخرج عن هذه الدلالة الزمنية كما خرج الفعل الماضي والمضارع إلى معان أخرى تحكمها القرائن، ويضبطها السياق فيكون الأمر للوجوب، أو النذب أو الإباحة أو الدعاء أو للوعيد أو التعجيز...، وهذا أمر أقره العلماء المفسرون، واعتبروه قاعدة أساسية من قواعد التفسير، إذ يرون أن الأصل في صيغة الأمر، عند ورودها في القرآن، تدل على وجوب الفعل، لكنها قد تدل على غير معنى الوجوب، إذا قامت قرينة تدل على أن المراد غير الوجوب.

أن أبا حيان كان دائماً يتحاكم إلى الأصول والضوابط التفسيرية لتحديد المعنى المراد، والتي رأيناها في توجيه المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل.

أن مرجع استعمال صيغ الأفعال للدلالة على عدة أزمنة هو السياق، الذي أشار إليه سيبويه في كتابه إشارة مبكرة، تدل على الإقرار بضرورة التتبع والاستقراء للنصوص المختلفة، وباستحضار السياق في وضع القواعد، وبناء على مبدأ السياق، وجدنا الماضي يدل على المضارع، والمضارع يدل على الماضي.. وغير ذلك مما ذكرناه في مظانه مما تنبه إليه أبو حيان في كتابه "البحر المحيط".

أن التوافق والاشتراك بين الصيغ الصرفية، الفعلية، المجردة والمزيدة، واقعان في القرآن

الكريم، وهما نتيجتان للزيادة بالحرف والتضعيف، أو بنقل الصيغة الفعلية من وزن إلى وزن.

أن للأتباع، والإعلال، الإبدال، دورا هاما في التوجيه الصرفي للبنية الصرفية الفعلية

والاسمية وتنوعاتها بالقراءات القرآنية.

أن بناء الفعل للمفعول يرتبط بالمعنى من نواح ثلاث، من ناحية الفعل ذاته، أو من ناحية

الفاعلين المحذوفين، أو يكون المعنى مرتبطا بالسباق، وأن للقرآن العظيم إعجازا لغويا في تراكيبه

البديعة ووصفه العجيب، وقد أدت صيغة المفعول دلالات عظيمة نطقت بسنن الكبرياء ومقام العزة

والتحدي للمعاندين، وهذا ما كان واضحا من اختلاف القراءات القرآنية، الذي أدى إلى اختلاف

الدلالة والسياق.

أن التوسع في المعنى حاضر في القرآن، بناء على احتمال اللفظة وجهين صرفيين، وذلك

واضح في اختلاف القراءات القرآنية، واختلاف اللهجات. وأن القراءات القرآنية، اشتملت على عدد

كبير من الظواهر، والقضايا الصرفية، التي شكلت محورا هاما في التحليل الصرفي للآيات القرآنية

داخل البحث.

أن العلاقة ثابتة بين الصرف والتفسير، لأن علم الصرف، يساعد على فهم ما تقصد إليه

نصوص الشريعة، وخاصة النص القرآني، ومعرفة الحكم الشرعي، وهذا ما بينا معالمه، وكشفنا

خباياه، من خلال البحث عن المعاني، والأحكام التي تفيدها اللفظة الواحدة، فعلا كانت أو اسما،

داخل الآية، وما قد تؤثر به في المعنى العام لتلك الآية.

أن النص القرآني هو الأساس في التقعيد اللغوي، لأنه استوعب في خطابه جميع لهجات

القبائل العربية، لذلك ينبغي أن تكون اللغة بقواعدها، تابعة للنص القرآني وليس العكس. وأن

القراءة القرآنية، وهي سبب أساس في حدوث وقوع الألفاظ القرآنية بين صيغة وأخرى، لأنها مرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

(أ)

- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمان بن إسماعيل أبو شامة الدمشقي، تحقيق، وتقديم، وضبط، إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، بدون سنة الطبع، بدون عدد الطباعات.
- الأبنية الصرفية في السور المدنية، "دراسة لغوية دلالية"، عائشة سليمان قشوع "ماجستير" جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، طرابلس 2003.
- الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ-1995م.
- أبو حيان النحوي، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1335هـ، 1966م.
- الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.
- أثر ابن مالك في الدراسات الصرفية، "ماجستير"، محمد آدم الزركي، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة 1400هـ، 1980م.

- أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمان بودرع، مجلة الأحياء، المملكة المغربية، العدد 25، 2007م.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1425هـ، 2004م.
- اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط، جمعا ودراسة، بدر ابن ناصر البدر، مكتبة الرشد الرياض، 1420هـ-2000م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ط 1، 1418 هـ - 1998
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 هـ.
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ-1999م.
- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1983م.
- أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس الطبعة الثانية، 1986م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت.

- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1995م.
- **إعراب القرآن**، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.
- **أعيان العصر وأعوان النصر**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد، ونبيل أبو عشمه، ومحمد موعد، ومحمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1، 1418هـ-1998م.
- **الإقناع في القراءات السبع**، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش، دار الصحابة للتراث.
- **الإكسير في علم التفسير**، سليمان البغدادي الطوفي، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.
- **أمالي ابن الحاجب**، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، 1409هـ - 1989م.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط1، 1406هـ - 1982م.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، عبد الرحمن ابن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، 1424هـ - 2003م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزّجّاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط5، 1406هـ-1986م.

(ب)

- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، ط1، 1414هـ-1994م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت 1420هـ.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، مكتبة التوبة.
- الدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، من طريقي الشاطبية والدرّة، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ - 2002م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ-1957م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- البنية الصرفية، وأثرها في تغيير الدلالة، دراسة تطبيقية على قراءة الإمام عاصم، محمد محروس إبراهيم، دار البصائر، ط1، 1428هـ، 2007م.
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية، وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1413هـ - 1992م.

- **البيان والتبيين**، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثى، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.

(ت)

- **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية..
- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ 1995م.
- **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **التحبير في علم التفسير**، جلال الدين السيوطي، مراجعة وإشراف مكتبة دار البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- **التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، أبو حيان الأندلسي تحقيق: د. حسن هنداي، دار القلم - دمشق (من 1 إلى 5)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا.
- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1387 هـ-1967م.
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ط1، 1416 هـ.

- **التصريف الملوكي**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، مطبعة شركة التمدن الصناعية بالقريبة بمصر، ط 1، 1913م.
- **التصريف عند سيبويه**، وموقف الرضي منه، في شرحه للشافية، محمد إحسان الله مياها "دكتوراه" جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، 1423هـ، 2002م.
- **التطبيق الصرفي**، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.
- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ 1999م.
- **التفسير والمفسرون**، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- **التفكير العلمي في النحو العربي**، (الاستقراء، التحليل، التفسير)، حسن خميس الملوخ، دار الشروق عمان، ط1، 2002م.
- **التوجيه البلاغي للقراءات في الكشف للزمخشري «نماذج»**، لعمارية شيخاوي، إشراف الأستاذ الدكتور خير الدين سيب.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- **التوجيه الصرفي وأثره الدلالي في تفسير القرآن الكريم**، تفسير ابن عطية نموذجاً، محمد حسن سليمان طويلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م.
- **التيسير في أصول واتجاهات التفسير**، عماد علي عبد السميع حسين، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ودار القمة لتوزيع الكتاب والشريط، 2006م.

• **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دراسة وتحقيق، خلف حمود سالم الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل - المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ-2015م.

• **التيسير في قواعد علم التفسير**، محمد بن سليمان الكافجي، دراسة وتحقيق ناصر ابن محمد المطرودي، دار القلم دمشق، دار الرفاعي الرياض، ط1، 1410هـ-1990م.

(ج)

• **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

• **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق محمد زهير ابن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

• **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م.

• **الجمال في النحو**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط5، 1416هـ-1995م.

• **الجملة العربية تأليفها وأقسامها**، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ناشرون وموزعون، الأردن، ط2، 1427هـ-2007م.

• **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

• **جهود عبد القاهر الجرجاني في الدراسات الصرفية**، علي توفيق الحمد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني جامعة اليرموك، العدد 29، 1405هـ-1985م.

- **الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات**، عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط1، 1427هـ-2006م.

(ح)

- **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ -1997م.
- **حجة القراءات**، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402هـ - 1982م.
- **الاحتمال الصرفي في القرآن الكريم**، "دكتوراه" جلال الدين يوسف فيصل العيداني، جامعة البصرة، كلية التربية، 2011م.
- **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب، جامعة الكويت، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401 هـ.
- **الحجة للقراء السبعة**، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جوي جابي، مراجعة وتدقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، طبعة 1413 هـ - 1993م.
- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1411هـ.

(خ)

- **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

(د)

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط 1، 1406هـ.
- دراسات في أصول التفسير، محسن عبد الحميد، دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1404هـ - 1984م.
- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، أزمنة، 1998.
- دراسات في علم الصرف، عبد الله درويش، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، 1408هـ - 1987م.
- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط 13، 1424هـ - 2003م.
- دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، الطبعة 14، الرياض، 1426هـ.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، بدون ت، بدون ط.
- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، ط 2، 1392هـ - 1972م.
- دلالات العدول الصرفي في القرآن، عبد الناصر مشري، دكتوراه، جامعة الحاج لخضر - باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، السنة الجامعية: 2013-2014م.

• ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ-1988م.

• ديوان النابغة الذبياني: شرح، وتكميل، وتعليق، محمد الطاهر ابن عاشور الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.

(ر)

• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.

(ز)

• الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1412 هـ -1992م.

(س)

• السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.

• سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ -2000م.

• سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ-1975م.

- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردى الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 3، 1424هـ-2003م.

(ش)

- الشافية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010 م
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملوي، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، ط 1، 2010م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكبري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 1406هـ - 1986م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط 20، 1400 هـ - 1980 م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1419هـ - 1998م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد ابن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.

- **شرح الكافية الشافية**، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط1، 1402هـ - 1982م.
- **شرح المفصل للزمخشري**، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.
- **شرح المقدمة المحسبة**، طاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط1، 1977م.
- **شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف**، أبو زيد عبد الرحمن ابن علي بن صالح المكودي، تحقيق: عبد الحميد هنداي المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، 1425هـ - 2005م.
- **شرح الملوكي في التصريف**، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد ابن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1393هـ - 1973م.
- **شرح الهداية**، أبو العباس أحمد بن عمار المهدي، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، بدون سنة الطبع، بدون عدد الطباعات.
- **شرح شافية ابن الحاجب**، محمد بن الحسن الرضي الاستربادي، نجم الدين، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1395هـ - 1975م.
- **شرح كتاب سيبويه**، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

(ص)

- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:** أحمد بن فارس ابن زكرياء القزويني الرازي، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.
- **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية،** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.
- **صفوة التفاسير،** محمد علي الصابوني دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1417هـ-1997م.

(ط)

- **طبقات الشافعية الكبرى،** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطنحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.
- **طبقات الشافعية،** أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.
- **طبقات المفسرين،** عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ.
- **طبقات المفسرين،** محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **طبقات النحويين واللغويين،** محمد بن الحسن بن عبيد الله، الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف.

(ع)

- **عقود المرجان في تفسير القرآن،** السيد نعمة الله الجزائري، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، بدون ط، بدون سنة الطبع.

- علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

(غ)

- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد ابن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، ط1، 135هـ.
- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398هـ - 1978م.

(ف)

- فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، صفوت محمود سالم، دار نور المكتبات، جدة - المملكة العربية السعودية، ط2، 1424هـ - 2003م.
- فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1993م.
- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، 1386هـ-1966م.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق، المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت- لبنان، ط2، 1417هـ-1997م.

(ق)

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم، العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط8، 1426هـ-2005م.
- القراءات الشاذة في البحر المحيط، نافع الجبوري، وسحر أحمد محمد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد9، 2007م.

- **قريئة السياق ودورها في التقعيد النحوي، والتوجيه الإعرابي، في كتاب سيبويه.** إيهاب عبد الحميد سلامة، "دكتوراه" جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم اللغة العربية، بدون سنة.
 - **قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير - دراسة تأصيلية تطبيقية،** عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ - 2015 م.
 - **قواعد الترجيح عند المفسرين،** حسين بن علي الحربي، مراجعة وتقديم مناع ابن خليل القطان، دار القاسم، ط 1، 1417هـ - 1996م.
 - **قواعد التفسير جمعاً ودراسة،** خالد بن عثمان السبب، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط1، 1426هـ - 2005م.
 - **قواعد التفسير في السبع الطوال، من خلال البحر المحيط،** رحيمة أوسيف، دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م.
 - **القواعد الحسان لتفسير القرآن،** أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ابن ناصر بن حمد آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ - 1999م.
- (ك)
- **كتاب الإبدال،** أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، تحقيق: عز الدين التتوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1380هـ - 1961م.
 - **كتاب التعريفات،** علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.
 - **كتاب السبعة في القراءات أحمد بن موسى بن العباس التميمي،** أبو بكر ابن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.

- **كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ط، بدون ت.
- **الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها**، نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي، الفارسي الفسوي النحوي، المعروف بابن أبي مريم، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبسي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1414هـ - 1993م.
- **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب ب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط 3، 1408هـ - 1988م.
- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد ابن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي اشرف رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407هـ.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1984م.
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- **الكنز اللغوي في اللسن العربي ابن السكيت**، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: أوغست هفner، مكتبة المتنبّي، القاهرة.

(ل)

- **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1419 هـ-1998م.
- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
- **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط 1، 1427هـ-2006م.
- **اللمع في العربية**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس دار الكتب الثقافية، الكويت.
- **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 1996م.

(م)

- **مباحث في علوم القرآن**، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، كانون الثاني/يناير 2000م.
- **المبدع الملخص من الممتع في علم الصرف**، أبي حيان الأندلسي، تح وتعليق: مصطفى أحمد خليل النماس، المكتبة الازهرية للتراث، والجزيرة للنشر والتوزيع، 2007م.
- **المبني للمجهول وتراكيبه ودلالاته في القرآن العظيم**، شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية، 1999م.

- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله ابن محمد، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
- **مجلد اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1406 هـ - 1986 م.
- **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، 1416 هـ-1995 م.
- **المدخل إلى علم أصوات العربية**: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط 1، 1425 هـ-2004 م
- **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ.
- **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسلي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421 هـ-2000 م.
- **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط 5، 1420 هـ / 1999 م
- **المدارس النحوية**، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، دار المعارف.
- **المرتل في شرح الجمل**، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب، تحقيق ودراسة: علي حيدر أمين، مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق.

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م
- **المسائل الصرفية في الدراسات القرآنية من ق3هـ إلى ق8هـ**، "دكتوراه" خيرة غانم، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2002م.
- **المسائل الصرفية في البحر المحيط**، "دكتوراه" مبروكة الهاشمي البوعيشي، جامعة طرابلس، ليبيا كلية الآداب قسم اللغة العربية، 2012م.
- **مسائل خلافة في النحو**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، تحقيق: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م.
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المكتبة العلمية، بيروت، بدون ط، بدون ت.
- **معاني الأبنية**، فاضل السامرائي، دار عمار، ط3، 1428هـ - 2007م.
- **معاني القراءات للأزهري**، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ — 1991م.
- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.

- **معاني القرآن**، أبو الحسن البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1411هـ - 1990م.
- **معاني القرآن**، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، 1409هـ.
- **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط 1.
- **معاني النحو**: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن ط 1، 1420هـ - 2000م
- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط 2، 1984م.
- **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**، أحمد مختار عبد الحميد عمر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ - 1997م.
- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420 هـ.

- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412 هـ.
- **المفصل في صناعة الإعراب**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
- **المقتصد شرح التكملة**، عبد القاهر أبو بكر الجرجاني، تحقيق: أحمد الدويش، ط1، جامعة الإمام محمد ابن سعود، المملكة العربية، 1428هـ-2007م.
- **المقتضب**، محمد بن يزيد الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- **المتع الكبير في التصريف**، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، مكتبة لبنان، ط1، 1996م.
- **من أسرار اللغة**، إبراهيم انيس، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1966م.
- **مناهج البحث في اللغة**، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1986م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.
- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد ابن محمد بن يوسف، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ-1999م.
- **منشورات محمد علي بيضون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- **المنصف لابن جني**، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ-1954م.
- **منهج المدرسة الأندلسية في التفسير**، صفاته وخصائصه، فهد بن عبد الرحمان ابن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، ط1، 1417هـ-1997م.

- الموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، رمضان يخلف، دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسطنطينية- الجزائر، 2001م.

(ن)

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 15.
- النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط3، 1399هـ-1990م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405هـ-1985م.
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد ابن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، بدون ط، بدون ت.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

(هـ)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال مكرم، عالم الكتب، 1421هـ.

(و)

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ - 2000م.

الفهرس

4.....	مقدمة
17.....	المدخل
17.....	أولاً: التفسير الأندلسي سياقه التاريخي، ومكانته العلمية
17.....	1- السياق التاريخي:
19.....	2- المكانة العلمية:
24.....	ثانياً: أبو حيان الأندلسي: شخصيته، ومقامه العلمي
24.....	1- شخصيته:
26.....	2- مقامه العلمي:
33.....	ثالثاً: البحر المحيط، قيمته المعرفية، ومساره المنهجي
33.....	1- القيمة المعرفية:
36.....	2- المسار المنهجي:
43.....	رابعاً: علم الصرف والتفسير
46.....	خامساً: الحكم، وأقسامه
49.....	سادساً: الصرف، والتصريف، نظرة موجزة
60.....	الباب الأول: مسائل أصول التفسير في البحر المحيط

61	الفصل الأول: في الحدود والمفاهيم النظرية.....
62	المبحث الأول: الأصل.....
64	المبحث الثاني: التفسير.....
69	المبحث الثالث: أصول التفسير.....
76	الفصل الثاني: الأصول الشرعية في تفسير البحر المحيط.....
77	المبحث الأول: الأصل الأول القرآن.....
77	1- منهج أبي حيان في اعتماده أصل القرآن.....
78	2- القواعد التفسيرية المتعلقة بالقرآن.....
90	المبحث الثاني: الأصل الثاني السنة والآثار.....
90	1- منزلة السنة من القرآن.....
90	2- صور بيان السنة للقرآن.....
93	3- القواعد المتعلقة بالسنة والآثار.....
100	المبحث الثالث: الأصل الثالث القراءات القرآنية.....
100	1- القراءات القرآنية، النشأة، وشروط التحقيق.....
105	2- مواقف أبي حيان من القراءات القرآنية:.....
108	3- القواعد المتعلقة بالقراءات في البحر المحيط:.....
116	المبحث الرابع: الأصل الرابع السياق.....

1- السياق، التحديد، والأهمية:	116
2- القواعد المتعلقة بالسياق:	117
الباب الثاني: التوجيه الصرفي لتعدد القراءات القرآنية في تفسير البحر المحيط	
"الأفعال"	123
الفصل الأول: التوجيه والفعل بحث في المفهوم وأشكال التقسيم	124
المبحث الأول: التوجيه وأقسامه	125
المبحث الثاني: الفعل، الدلالة اللغوية، وإشكالية المصطلح.	129
الفصل الثاني: أصول التحولات الداخلية في الأفعال	135
المبحث الأول: صور الزيادة في الفعل المجرد والمزيد	136
1- الصورة الأولى: الزيادة بالحرف والتضعيف.	137
-أفعل وفَعَّل:	137
-فاعل وفَعَّل:	138
-فعل وفَعَّل:	140
-فَعَّلَ وَتَفَعَّلَ:	142
2- الصورة الثانية: الزيادة بالنقل:	143
- فَعَّلَ وافتعل:	143
- فَعَّلَ وأَفْعَلَ	145

146	- فعل واستفعل:
146	- فعَلْ وأَفْعَلْ:
147	- فعل وفاعل:
149	المبحث الثاني: الحذف
149	1- حذف النون من "تك"
150	2- حذف همزة "أنذرتهم"
151	3- حذف التاء من بداية الفعل المضارع
152	4- حذف اللام من "ظلمت":
153	المبحث الثالث: العدول في صيغ الفعل
154	1- الفعل الماضي:
164	2- الفعل المضارع:
171	3- فعل الأمر:
178	الفصل الثالث: التحولات الداخلية في أبنية الأفعال
179	المبحث الأول: الإبدال في بناء افتعل
184	المبحث الثاني: الإدغام في بناء افتعل وتفعل
185	1- في بناء افتعل:
190	2- بناء تفعل:

المبحث الثالث: بناء الفعل للفاعل والمفعول	191
الباب الثالث: التوجيه الصرفي لتعدد القراءات في البحر المحيط	204
"الأسماء"	204
الفصل الأول: التحولات الداخلية في بنية الأسماء	205
المبحث الأول: الاسم، وأقسامه	206
المبحث الثاني: الإتياع	211
المبحث الثالث: الإعلال	219
المبحث الرابع: الإبدال	223
الفصل الثاني: وقوع اللفظ بين صيغة وأخرى	227
المبحث الأول: بين المصدر والاسم	228
المبحث السادس: أفعال التفضيل	268
ب- في لفظي "خير" و"شر":	270
ب- في لفظ أهون:	271
ج- في لفظ أحصى:	273
د- في لفظ أضل:	274
هـ- في لفظ أعلم:	275
و- في لفظ أعمى:	276

280	خاتمة
285	لائحة المصادر والمراجع
308	الفهرس